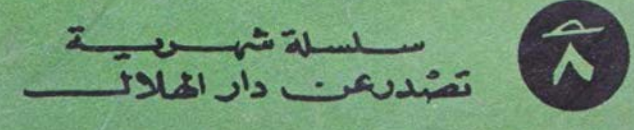
كتاب الهلال

كليوبتره في خان الخليلي

تأليف

محمود تيمور بك







كتاب الهلال

KITAB AL-HILAL

سلسلة شهرية تصدر عن « دار الهلال »
شركة مساهمة مصرية

رئيسا تحريرها : اميل زيدان وشكرى زيدان

مدير التحرير : طاهر الطناحى

العدد ١٧ ـ ذو القعدة ١٣٧١ ـ أغسطس ١٩٥٢

No. 17 — August 1952

مركز الادارة

دار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب بك
(المبتديان سابقا) القاهرة

المكاتبات

كتاب الهلال ـ بوستة مصر العمومية ـ مصر

التليفون : ٧٩٨١٠ (تسعة خطوط)

الاشتراكات

يمة الاشتراك السنوى (١٢عددا) ـ مصر والسودان
٨ قرشا صاغا ـ سوريا ولبنان ١١ ليرة سورية
لبنانية ـ الحجاز والعراق والاردن ١١٠ قروش
صاغ ـ فى الامريكتين ٥ دولارات ـ فى سائر
نحاء العالم ١٥٠ قرشا صاغا أو ٣٠/٩ شلنا

كتاب الهلال

سلسلة شهرية تصدر عن دار الهلال



كليوبتره

فى خان الخليلى

تأليف

محمود تيمور بك



مقدمة المؤلف

أجريت قلمي بهذه القصة، والعالم يومئذ تظله تلك الحرب الكونية الطحون ، وأعلام الساسة في مختلف الأمم يعقدون مؤتمرات دولية ، يعترفون فيها بحقوق الانسان ، ويؤكدون حريات الشعوب ، وينسجون رايات السلام على أرجاء المعمور

ولست أدري ، كيف ان هذه الاتجاهات المثالية الرفيعة التي انعقد عليها اجماع الساسة في ذلك الوقت ، أوحت الى في غير تكلف أن أصور الرأي العالمي العام في اطار تلك الفكاهة الساخرة التي سميتها : «كليوبترة في خان الخليلي»

وحين قدمت هذه القصة للطبع سنة ١٩٤٥ ألقيت بها الى القراء على استحياء ، وكان فيما توقعت من ظنوني أن يجيء يوم قريب تؤدي فيه مؤتمرات الحرية والعدل والسلام رسالتها ، وتبسط على الدنيا وارف ظلالها ، فيكون مصير قصتي أن تصبح أكذوبة ممقوتة ، وأكون أنا من ورائها رمزا للسخرية والتهكم ، ومثالا منبوذا لسوء الظن بالانسان

وليت ذلك كان .. اذن لسرني أن تنعم البشرية بعهد جديد من استتباب الأمن ، وغلبة الحق ، وسيادة الحرية ، واقامة العدل ، ولو كان من جراء ذلك أن أفقد ربيبتي « كليوبترة » تحت أنقاض « خان الخليلي » العتيق

ولكن وا أسفا .. أبى الانسان الا أن يستبقي حياة

« كليوبترة » فترة من الزمن ، فما برح العالم منذ وضعت الحرب أوزارها يشقى بمؤتمرات الاخاء البشرى والسلام الدولى ، وما برحت المبادىء المثالية فى هذه المؤتمرات تبدو فى صور من المهازل أشبه ما تكون بالمآسى ، وما برحت حقوق الشعوب توزن فى أول الأمر وآخره بميزان حق الأقوى ، وفقا لشريعة الغاب !

ولم أكن فى قصتى أسىء الظن بعصر خاص من عصور البشرية ، وما كنت ناقما على من يديرون دفة الجيل الحاضر من ساسة الأمم · فقد استدنيت من عالم الروح أبطالا تطهروا فى آفاق النور ، فما ان وطئوا رقعة الأرض حتى صبغتهم الدنيا بلونها ، وضربتهم فى قالبها ، فاذا هم كما كانوا من قبل ، ينزعون منازع الآدمية الخالدة ···

وقد وقع من نفسى موقع الارتياح أن تتفضل «دار الهلال» باخراج الطبعة الثانية من هذه القصة فى سلسلة « كتاب الهلال » الذى يعد خير مثال لتيسير الأدب، وتقريب مناهله للجمهور الكبير ، فى ذلك المظهر الأنيق

والذين قرأوا « كليوبتره » فى طبعتها الأولى ، أدركوا انى أردت تسليتهم والتسرية عنهم فى أعقاب تلك الحرب العالمية الحامية ، ولعل الناس أحوج اليوم الى مثل هذه التسلية والتسرية ، وهم يعانون قوارص الحرب الباردة يوما بعد يوم ، بل ساعة بعد ساعة

وكما قدمت كتابى أول مرة منذ سبع سنوات على استحياء من ذلك الانسان المثالى الذى تجلى فى مؤتمرات العدالة والسلام ، خشية أن أكون فى تصويرى له قد أسأت الظن به ـ أقدم اليوم هذا الكتاب مرة أخرى على استحياء أيضا ··· ولكنه استحياء رثاء واشفاق على ذلك الانسان الذى لم يستطع حتى الآن أن يكون جديرا بمقعد صدق فى مؤتمر للسلام !

فى قصر الورد

من مذكرات « محيى الدين فريد »
احد موظفى وزارة الخارجية المصريّة

ســـنة ؟ ؟ ١٩

٧ يناير

انه ليوم صاخب عنيف

حفلت اليوم ساحات الوزارة وأبهـــاؤها بالوفود على اختــلاف ألوانها ، وقد اندس بينها زمرة من الصحفيين ، جاءوا ليتثبتوا من النبأ الذى طلعت به صحف الصباح على الناس ، وليتلقطـوا جديدا من المعلومات فى شأنه ، ذلك هو أنه قد قر الرأى على اتخـــاذ القاهرة مقرا لـ « مؤتمر المدينة الفاضلة لدعم السلام » ، وهو مؤتمـر أهلى أممى ، لا صلة له بالحكومات ، فكرت بعض الهيئـــات الكبرى فى العالم أن تقيمه استكمالا لـ « مؤتمر الصلح» الدولى الرسمى العتيـــــد . وقد وعدت الحكومة المصرية أن ترحب بمؤتمر المدينة الفاضلة وأن تعمل على تيسير مهمته اكبارا وتقديرا للفكرة المثالية التى يسعى لنشرها وتحقيقها

ولقد اختارت هذه الهيئات الأهلية الحرة القاهرة مقـرا لهذا المؤتمر ، اذ آنست فيها المثل الأسمى للمدينة المسالمة الوادعة الروح التى لم يخفق قلبهـا بغير المحبة الانسانية والسلام

كان اللغط على أشده فى الوزارة ، والاصوات تتطاير من الأفواه ، فيصدم بعضها بعضا ، وآلات التصـوير تبص بعيونها الملتمعة متطلعة فى الوجوه تطلع الفضول

وأذكر أنى صعدت ونزلت فى الدرج عشرات المرات ، وتناولت خمسة أقداح من القهوة ، وابتلعت أربعة أقراص من الاسبيرين ، وبح صوتى من تتابع الصياح • ولما عدت الى دارى فى أعقاب النهار مهدم الاعصاب ، ساءلت نفسى عما قمت به من عمل مجد ، فلم أجد لسؤالى جوابا شافيا !

٨ يناير

أصابنى من زحمة أمس اعياء ، فلم أبرح دارى طـوال اليوم • وفى المساء أقبل « عبد العال » حاجب الوزارة يحمل الى رزمة من الأوراق ، وكان على حاله هزيلا ضئيلا ، ممتقع الوجه ، يجر قدميه جـرا ، فكأنه دودة جافة تزحف على بطنها ، وهو شيخ فى الحلقة السـادسة من عمره ، شغفه وقتا بالدرس والتحصيل ، فقضى الشطر الأول من حياته بين الكتب والاقلام ، يقرأ ويحلم مرة ، ويسعى لكسب قوته مرة أخرى ، وهو بين هذا وذاك يرمم عبثا من جسمه المريض المكدود ، فخرج من كل هذا بخيبة أمل قاتلة ، واخفاق فى الحصول على ما ينشده من علم وكسب وعافية ، فترك العلم والأدب ساخطا متبرما ••• وقد قر فى ذهنه أن الدرس أس نكبته ، فأقسم أن يتجنبه ما عاش ••• وامتهن بضع مهن ليست بذات شأن ، ثم اسـتقر به المطاف أخيرا فى الوزارة فعين فيها حاجبا



كليوبتره

ناولنى « عبد العال » الرزمة ، وجلس من تلقاء نفسه وهو ينهج

ثم قال لى : أتسمح لى يا سيدى البك بقليل من مغلى النعناع ؟

فربت كتفه وأنا أتضاحك ، وقلت :

أى نعناع هذا الذى تطلب ؟ عليك بكأس من الويسكى أو الكونياك ...

ـ دعنى من هذا يا سيدى ... أتصف لى الخمر وحالى كما ترى ... معدة خربة ، وكبد مقروحة ؟ والأدهى من كل هذا الامسد ...

ـ الامساك ... اعلم ما ستقوله ...

ـ وهل لديك دواء له ؟

ـ دواؤك يا « عبد العال » الحركة والنشاط ... جانب عقاقيرك وانس مرضك وتحرك ... لماذا لا تلتحق بأحد النوادى الرياضية ؟ لديك نادىالعلم الأخضر مثلا على مقربة من دارك بباب الخلق ... تعلم فيه المصارعة والملاكمة ونحوهما ... فلن يمضى عليك قليل وقتحتى ترى نفسك قد عدت شابا قويا لا يشكو من معدة ولا من كبد ... ولا يعرف ...

ـ الامساك !

وطفق يقهقه هنيهة ، ثم غمغم : مر لى بقليل من مغلى النعناع

وما هى الا أن نادى الخادم ، وطلب منه قدحا من ذلك الشراب

ثم واجهنى وقال : « لم تفض رزمة الاوراق ... »

ـ وهل فيها جديد ؟

ـ خبر عظيم ... فض واقرأ

ـ قل ... ما هو ؟

ـ قلت لك فض واقرأ ...
ـ بل أخبرني أنت بالأمر ...
ـ لقد ندبوك « كاتم سر للمؤتمر »
ـ أنا ؟ !
ـ وجنابي « الحاجب الأول للمؤتمر » !

ومددت يدي الى الرزمة ، وسرعان ما بسطت أوراقها أمامي ، فتأكد لي صدق ما قاله « عبد العال » ، فأخذت يده بين يدي، وهززتها وأنا أردد : « أهنئك ... مبارك لك... مبارك لنا ... »

فتثاءب طويلا ، وقال : « علام التهنئة ؟ »

ـ سنعمل في المؤتمر العالمي العظيم : « مؤتمر المدينة الفاضلة لدعم السلام » !

ـ سيرهقوننا بالمتاعب !

ووقعت عيني بين أوراق الرزمة على ورقة فيها أسماء أعضاء المؤتمر ، فواصلت قولي : ستعمل يا عبد العال مع عشرة من مندوبي أمم العالم بينهم مندوب مصر ... كلهم من عظام الشخصيات !

وجاء الخادم بالنعناع ، فراح « عبد العال » يجرع من القدح على مهل ، وهو يقول : وما فائدة هذا المؤتمر ؟

ـ منع الحروب، واقرار سلام دائم يهنأ به العالم، وبسط أسباب العدل ، ومحو الفقر ... و ...

ـ عجيب !... أيستطيعون تحقيق هذا كله ؟

ـ أتشك في ذلك ؟

ـ ان الفساد قد تغلغل في العالم تغلغل المرض في جسمي ، فلم يعد له دواء يصلحه ...

ـ أنت رجل متشائم !

ـ بل اني لا أثق بهؤلاء الزعماء من أهل العلم والرأي والحجا ...

ـ سترى ··· سترى أية معجزة يقومون بها
ـ أية معجزة ؟
ـ ان هؤلاء السادة أيها الرجعى المتفلسف سيعيدون بناء صرح المجتمع على دعائم جديدة ··· سيبيدون الأنظمة العتيقة المهلهلة فى التعليم والصحة والاقتصاد والاجتماع ، وسيحلون محلها نظما فتية صالحة/لانشاء دنيا جديدة تظلها السعادة بظلها الوارف ···

فتضاحك برهة وهو يغمغم : انهم اذن لآلهة !

ـ فيهم من روح الله ···
ـ لم يبرهن ابن آدم حتى الساعة على أنه اقتبس شيئا من نور الله عز وجل ··· انه يقتبس من لهيب الشيطان ··· والشيطان عامل على خراب العالم ودماره
ـ أنت رجل تعيش بعقلية القرون الوسطى ، ولا ترى الى أى مدى نعم الكون بما قدمه اليه العلم ورجاله من منافع ···
ـ حقا يا سيدى ··· ولولا هذا العلم ورجاله لما رأينا العالم يسبح فى بحر لجى من الدماء ، ويخط القبور المكتظة بالقتلى على أطلال مدنه العامرة ···
ـ افهم يا رجل وتعقل ··· ان زعماء هذا العصر أنبياء بعثوا ليشيدوا لنا مدنية جديدة ويخرجوا للعالم نشئا يدين بدين جديد وعقلية جديدة··· سيكون الهدف الأكبر اسعاد البشرية !
ـ ولكن خبرنى كيف يتم ذلك ؟
ـ يتم ذلك بوسائل كثيرة ، فى مقدمتها : التربية والتعليم ، فاذا سهر رجالنا الأفذاذ على تنشئة الأجيال المتعاقبة تنشئة مثالية أساسها التخلق بأخلاق نبيلةسامية، تأصلت هذه الاخلاق على مر الزمن ، وأصبحت لها قوة الغرائز ، بل تغدو هى نفسها غرائز خيرة تدفع الانسان

بقوة غير شعورية الى ايتاء الخير ...

فأخذ « عبد العال » يصعد فى بصره هنيهة ، ثم قال :

ــ أو تصدق هذا يا سيدى وتؤمن به ؟

ــ أكمل تصديق ، وأشد ايمان !

فهز رأسه مرات ، ثم تثاءب ، وقال :

ألا تأخذ مثلى قدحا من مغلى النعناع ؟ !

١٨ يناير

قدم أعضاء المؤتمر بالطائرة ، واستقبلوا استقبالا حافلا ... وعم أهل القاهرة شعور ابتهاج عظيم ، فالشوارع مزدانة بأعلام الأمم العشر ، والموسيقى لا ينقطع لها عزف، والناس رائحون غادون فرادى وزرافات تهتف وتتصايح ، ويخطب قادتها متلاحقين ، وعواصف التصفيق يتجاوب بها الفضاء ... حتى فى الأحياء الوطنية كنت ترى العربات الكارة تغص بتلك الشراذم الآدمية، وقد لفوا على خواصرهم أحزمتهم وراحوا يرقصون ويغنون على دق الطبول وصوت المزمار . فاذا سألتهم : لم ذلك ؟ صاحوا بملء أفواههم :

ان يوم الفرج قريب ... سيهبوننا بدر الأموال دون حساب ، ويوزعون علينا الكساء والغذاء دون مقابل !

ونزل أعضاء المؤتمر فى « قصر الورد » ذلك المبنى الجديد الرائع المشرف على النيل فى منطقة الجيزة ... وقد كنت هناك بالباب فى استقبالهم فراعنى مظهرهم النبيل ، وما ارتسم على محياهم من أمارات الدعة ولين الجانب . وكانوا وهم يتحدث بعضهم الى بعض كأنهم أطيار ملائكية رخيمة النغم عذبة التغريد ... وكان بينهم رجل مهيب الطاعة جم الوقار ، تنبسط على صدره لحيته الشهباء ، وله رأس حاسر بشعر غزير يتهدل على كتفيه ، وهو يرتدى الملابس الفضفاضة من الحرير الابيض . وصورته أقرب

شبها بصور القديسين الأطهار التى حفلت بها آثار الفنانين من المصورين والمثالين القدامى ... فما ان وقع بصر « عبد العال » عليه ، حتى قال هامسا :
من يكون هذا الشخص ؟
ـ انه عالم روحانى كبير ممن يحضرون الأرواح من عالم الغيب ...
ـ وما مهمة هذا المحضر للارواح فى مؤتمر يعمل لدنيا الأحياء ولمستقبل العالم الأرضى ؟
ـ لقد استدعوه ليسترشدوا بآرائه فى حل معضلات المؤتمر ...
ـ كيف ؟
ـ سيتصل هذا العالم بالأرواح ليستشيرها فيما يغمض من الأمور ... يقولون ان هذه الكائنات النورانية قد صفا جوهرها ودق احساسها واستنارت بصيرتها ، فلا تلبث أشد المسائل خفاء واشكالا أن تستبين أمامها وتنجلى ...
ـ وهل ترضى الأرواح أن تفعل ذلك من أجلنا ؟
ـ هذا ما سيجلوه لنا ذلك العالم الجليل ...
ـ ألا فليدعوا الأرواح هانئة فى مستقرها ... لقد فرغت جعبتها من مشكلات الدنيا بعد أن عانت من ضجيجها ومنغصاتها ما كفاها . فلماذا يريدون اقحامها فى مشكلاتنا المعقدة المضنية ؟ !
ـ على الأرواح أن تسهم فى خير المجتمع !
ـ ان خير المجتمع فى نظرها هو زوال هذه الدنيا بما حوت من شرور وآثام ، ولحاق أناسها بالعالم الآخر . هناك تصفو النفوس وتزول الأحقاد ويعيش الناس فى وئام...
ـ انه ليؤسفنى أن أراك دائما جامد العقل ضيق أفق التفكير ، خاضعا دائما لنزعتك المتشائمة الغلابة ... افهم يا رجل أن العلم الحديث أثبت أن ليس ثمة انقطاع بين عالم

الأحياء وعالم الأرواح ، فالاتصال دائم على نحو يدعو الى العجب ... ان الارواح تملأ الدنيا وتشاركنا فى كل شىء ... وانها أقرب الينا من أى كائن آخر ...

ـ انى أدرك بعقليتى الكليلة القاصرة أن الروح خير كلها ... أما الانسان فهو شر كله ... وثمة بون شاسع بين الخير الصرف والشر المحض...فكيف تريدون المزج بينهما ؟

ـ لا يصعب شىء على العلم الحديث ... انه معجزة العصر ، وسترى كيف تكون جولاته الموفقة فى سبيل خير الانسانية ...

ـ يسمع الله منك !

١٩ يناير

حرص المؤتمر على ألا يهدر من وقته شيئا ، فقد بدأ عمله فى صباح اليوم التالى لوصول أعضائه ... وعندما قدمت للرئيس برنامج التسلية والتنزه الذى أعددناه للاعضاء بعد جلسات العمل ، قال لى وابتسامته العذبة تشع فى وجهه :

لغير التسلية والتنزه جئنا أيها الصديق الكريم ، انما جئنا لانقاذ العالم مما حل به من خراب ودمار ... سيكون لدينا الوقت الكافى لهذه التسليات حين ننتهى من وضع برنامج التعمير العالمى ...

ـ وحفلة التكريم يا جناب الرئيس ؟

فرنا الى دهشا ، وقال :

تريدون أن تكرمونا ؟ شكرا لكم !... ولكننا لم نأت بعد بشىء نستحق عليه هذا التكريم ... سنرجىء هذا أيضا حتى ننتهى من حل مشكلات العالم ...

ـ ولكن المراسم والتقاليد يا جناب الرئيس تحتم علينا أن نقيم لكم حفلة تكريم يخطب فيها الخطباء معددين للملأ آثاركم و ...

ـ سندع لأعمالنا أن تتكلم هى بنفسها عن مآثرنا ان كان لنا مآثر ...

كانت أولى الجلسات ممتعة حقا... ولا أبالغ اذا سميتها بالجلسة الروحانية ، فقد مضى الوقت كله فى التحدث عما سيفيده المؤتمر من الأرواح . وقد انتهوا الى نتيجة خطيرة لم أكن أتوقع أن نصل اليها بأية حال ...

التف أعضاء المؤتمر حول المنضدة المستديرة العظيمة فى بهو الاحتفالات الكبير . وكان تمثالا « رمسيس الثانى » و « محمد على الكبير » اللذان يحتل كل منهما أحد أركان القاعة يشرفان من عل على المنضدة، كأنما يرعيان الاعضاء، ويلهمانهم الحكمة والمضاء !

وكان لألاء الشمس الملتمع على صفحة النيل أمام القصر يتدفق من النافذة المستطيلة الكبيرة ، وينعكس على المرايا العظيمة التى تزين جدران القاعة ، فيبهر الأنظار ...

والتفت الى رئيس المؤتمر بوجهه العريض ذى البشرة الوردية الملتمعة، وبعد أن حك بخنصره جلدة رأسه الأصلع، قال :

يلوح لى أن الاعضاء لم يكتمل عددهم ..

ـ ثلاثة لم يحضروا يا صاحب السعادة، الأول : مندوب الجبهة العليا للمحاربين القدماء ، لقد كان متغيبا فى أقاصى السودان حينما تم انتخابه ، وهو حاضر غدا . والثانى : مندوب البلاغة الدولية ، وسيحضر بعد يومين على الأكثر، لاشتغاله الآن برياسة مؤتمر توحيد اللغات فى مدينة « ماين »

ـ والثالث ؟

ـ مندوب مصر نور الدين بك

ـ صائد الدببة العالمى ؟

ـ هو نفسه ... انه الآن مع البعثة العلمية لتحسين

نسل الدببة والعمل على اكثارها بمدينة أورلوف بمنطقة القطب الشمالى ، وقد أبرق الينا أنه آت فى أقرب فرصة، فالبعثة قد أوشكت أن تتم أعمالها ...

ـ حسنا ...

ونهض الرئيس قائلا : فتحت الجلسة

وقام على أثره العالم الروحانى يتحدث الى الجمع فى صوته الأغن الساحر ، فقال :

أيها الوصفاء الافاضل من دعاة السلام ... لقد رغبتم الى ليلة أمس فى الاتصال بعالم الأرواح ، وقد اضطلعت بما كلفتموني اياه . وهاكم تقريرى

وحبسنا أنفاسنا مرهفين المسامع . فاستأنف قائلا :

لقد طلبتم الى أن أتحدث الى أقطاب السلام ودعاة المحبة فى العالم الآخر ، من وقفوا حياتهم على خدمة الانسانية ومحاربة الطغيان ، والتبشير بمثل الخير ، أمثال : بوذا ، وكونفشيوس ، وغيرهما . ولكن خبرتى الطويلة فى عالم الروح دعتنى الى التخلى عن تنفيذ هذه الفكرة، مع احترامى لهيئة المؤتمر الموقرة ، فليس لمثل بوذا وكونفشيوس ذكر اليوم فى العالم الثانى . فانى لم أسمع بخبرهما ، ولطالما بحثت عنهما ، فلم أهتد الى مستقرهما ...

فنهض مندوب اتحاد الشرق الأعلى ، بقامته القصيرة ، وقال وعيناه الضيقتان تلتمعان حيرة وغضبا :

كيف لم تهتد الى مستقرهما ؟ وأين هما اذن ؟

ـ قد يكونان مختفيين فى مكان منزو منعزل فى ذلك العالم السحرى المملوء بالأسرار ، وقد يكونان شخصيتين من صنع الوهم والخيال !... ان كتب التاريخ التى بين ظهرانينا هى من صنع أيدينا ، فليس لنا أن نثق بصدق كل ما جاء فيها ... كم فى هذه الكتب من تمويه وتضليل !...

فسرت همهمة بين الجالسين ، ولفظ مندوب اتحاد الشرق الأعلى بعض كلمات احتجاج ، جلس على أثرها وهو يداعب عثنونه المنتفش مداعبة عنيفة ··· وواصل العالم الروحانى حديثه قائلا :

لسنا فى مؤتمر تاريخى مقصده الأول التثبت من شخصيات عصور التاريخ ، بل نحن جماعة من دعاة السلام يريدون الاستئناس برأى الأرواح فى تحقيق هذه الدعوة ··· وقد وقع اختيارى على زعيمين كفئين لن تجدوا لهما مثيلا ، وسنفيد من رأيهما الناصح أكبر الفائدة بلا ريب ···

فصاح أعضاء المؤتمر فى صوت واحد : من هما ؟

وانثنى العالم الجليل يمشط لحيته الفضية صامتا وهو يراعينا بنظرة حنان ···

ثم قال : لقد اخترت لكم تيمورلنك ، وكليوبترة

فغمغم الجمع مدهوشين · ونهض مندوب اتحاد أوربة الشمالية بقامته الفارعة وعوده النحيف الأعجف ، وهو يمسح نظارته الفردية فى الحاح ومعاودة ، وقال :

كيف تريدنا على أن نسترشد برأى زعيمين من الطغاة لم تخل سيرتهما المسطرة فى كتب التاريخ من استعباد للناس وعيث فى الارض فسادا ؟

فأجابه العالم الروحانى بابتسامة ساحرة، شفعها بقوله: لقد قلت ان التاريخ لم يكن أمينا فى كل ما نقله الينا من أحداث الدهر الغابر ، بيد أنى قد اعتمدت فى اختيارى لهاتين الشخصيتين على رأى أبسطه أمامكم الساعة ، لكم أن تأخذوا به وأن تطرحوه جانبا ··· نعلم جميعا كما قرر زميلنا مندوب اتحاد أوربة الشمالية البالغ الاحترام أن تيمورلنك كان طاغية سفاكا شقيت به الانسانية ردحا من الزمن ، ولكنه قضى فى عالم الروح حقبا طويلة تطورت فيها نفسيته كبير تطور ، وانتهى به الأمر اليوم الى أن

أصبح من شيعة السلام ، فقد اقتنع بعظم الجرم الذى ارتكبه فى حق الانسانية ، ويرغب الآن فى أن تتاح له الفرصة ـ وهو الخبير الفنان بالحروب ، والعالم المتفقه فى مآسيها ونكباتها ـ حتى يصلح بعض ما أفسد بما يقدمه لهيئة المجلس الموقر من آراء صائبة فى السلام ومنع الحرب، ولا مرية أن آراءه تلك وليدة خبرة عميقة وتجارب طوال ...

وارتفع صوت دقيق حاد ، فالتفتنا كلنا صوبه ، فاذا بوزير المناطق الجنوبية السبع قد قام بجسمه المتكتل القصير ووجهه الكروى المقبب ، وقال :

وما حجتك أيها الاستاذ الجليل فى دعوة كليوبترة ؟

فقال العالم الروحانى على الأثر: انى بانتخابى لكليوبترة أهدف الى غرض وجيه عزب عن بال المؤتمر الموقر ، وهو اشتراك الجنس اللطيف معنا فى هذا العمل الانسانى . ومن أحق من الجنس اللطيف ـ وهو رمز الحنان والحب ـ بأن يدلى برأيه ؟ ومن أولى منه بأن يقيم الحجة فى مؤتمر قضيته الأولى والأخيرة: الحب الانسانى فى أسمى مراتبه ؟

فأجابه مندوب المناطق الجنوبية السبع وهو يغلو فى الاشارة بيديه : ولم انتخبت كليوبترة دون سواها ؟

ـ لأنها تأمرت على هذا الوادى الجميل حينا من الدهر، فنحن اليوم فى ضيافتها !... هذا الى أنها ملكة قديرة عركت الحياة الدنيوية وخاضت غمارها فى كل ناحية من نواحيها ، فاستبان لها خيرها وشرها . وكان عصرها عصر حروب متلاحقة ، وملتقى قادة جبابرة ، فهى اذا تكلمت صدر كلامها عن خبرة وحصافة ...

وصاح وزير المناطق الجنوبية السبع ، وهو يشكل ملامح وجهه تشكيلا عجيبا :

لتؤخذ الأصوات ...

فوافق أغلب الاعضاء على رأى العالم الروحانى ، فنهض

من فوره يشكر المؤتمر فى لهجته الهادئة الساحرة ، وقال متابعا حديثه :

والآن أنهى اليكم أيها السادة الأجلاء رغبة كل من تيمورلنك وكليوبترة فى الحضور للاشتراك فى جلسات المؤتمر ...

ففغر الأعضاء أفواههم، وشملهم الصمت العميق هنيهة، ثم لاح الوجه الكروى المقبب وقال فى لهجة المتلعثم :

تقصد أيها العالم الجليل ... أن صاحبي الجلالة الامبراطورية تيمورلنك وكليوبترة ... سيحضران هما ... هما نفساهما ، من العالم الآخر ؟

ـ هذا ما أعنيه ... سيحضران متجسدين ...

فعاد وزير المناطق الجنوبية السبع يتأتىء بصوته الدقيق، قائلا :

ولكن ... الأرواح أيها العالم الجليل ... لا تتجلى متجسدة الا فى ملابسات خاصة وفى أمكنة معينة ... ولا تلبث الا أوقاتا قصيرة ... و ...

ـ هذا عملى أيها الزميل المحترم ... ان شئتم قصدنا جميعا الى المطار غدا فى مطلع الفجر ، لاستقبال صاحبى الجلالة الامبراطورية ، فسيحضران على متن طائرة ...

فتكلم رئيس المؤتمر بلهجته الرصينة وصوته الواضح النبرات ، وهو يحك صلعته :

تقصد طائرة من طراز طائراتنا ؟

ـ انها طائرة مصنوعة من السحاب الوردى ...

فهمهمنا جميعا :

من السحاب الوردى ... !

٢٠ يناير

قضيت ليلة أمس مسهد الجفن ، فريسة لحيرة شديدة واضطراب بالغ . وكان رأسي يموج بشتى الأمور ، لا أفتأ

اذرع بخطواتى ارض الغرفة جيئة وذهوبا . و « عبد العال » الحاجب جالس على حشية فى ركن قصى ، يجرع من مغلى النعناع ، ساهما فى تبلد . ووقفت أمامه مغيظا وقلت :

احسبك تظل على هذه الحال تجرع من نعناعك ، هادئا مستنيما ، حتى لو أطبقت السماء على الارض . . .

ــ وماذا تريدنى أن أفعل . . .؟

ــ تكلم . . . قل شيئا . . . حدثنى فى الأمر الخطير الذى سيتمخض عنه مطلع الفجر

ــ ما زلت تقلق نفسك بهذا الحادث على غير جدوى . . .!

فهززت كتفيه قائلا : اصح يا عبد العال افنــدى . . . يا حاجب مؤتمر المدينة الفاضلة لدعم السلام . . . الا تعلم أن صاحبى . . .

فقــاطعنى بقوله وهو يتثــاءب : أن صاحبى الجــلالة الامبراطورية تيمورلنــك وكليوبترة سيهبطــان على متن سحابة . . .؟ !

ــ اذن . . .

ــ ان الله على كل شىء قدير . . .!

ــ ولــكن تصــور أنك سترى أمامك روحى تيمورلنك وكليــوبترة متجســدين . . . سيقع نظرك أول مرة على روحين . . . تستطيع أن تتحــدث اليهمــا وتجالسهما بل تلامسهما . . .

ــ لست ممن يرهبون الأرواح !

ــ مهما يكن من الأمر فالحادث خطير . . .

ــ الحادث خطير حقا فى ناحية واحدة . . .

ــ أيه ناحية يا عبد العال ؟ !

فأفرغ « عبد العال » جرعة وافية من مغلى النعنــاع فى حلقه ، ثم قال على الأثر :

لو تمادى هذا العالم الروحانى فى دعوة الأرواح من العالم

الثانى ، وجاء لنا كل يوم ببضعة أرواح من آبائنا الأقربين وأجدادنا الأولين ... فماذا يحدث ؟ !

ــ ألا تسر اذا عادت اليك روح محببة من أرواح ذويك ؟

فأطرق « عبد العال » وتلاعب بقدحه وقتا ، ثم قال :

أتريد الحق ؟... لا أدرى على وجه التحقيق ، ولكنى أستطيع أن أؤكد لك أنى لا أرتاح لرؤية روح يناقشنى الحساب !

وانسرحت أفكر فى جملة هذا الرجل الساذج المتفلسف ، وتبين لى أن فلسفته الرجعية لا تخلو من طرافة . وربت كتفه مداعبا وأنا أقول :

ماذا يكون مصير صاحبنا العالم الروحانى اذا قام بهذه التجربة الخطيرة ، وأعاد الينا أرواح موتانا ؟

فغمغم « عبد العال » : أكبر ظنى أن الجمهور لن يمكنه من التمادى فى ذلك ... سيبعث به هو نفسه وشيكا الى عالم الأرواح ....!

... وفى منتصف الساعة الثالثة صباحا خرجت مع « عبد العال » الى الباب ، فألفيت سيارة المؤتمر فى انتظارى . ووقع بصرى على « الشاويش سيد متولى » ، وكان واقفا عن كثب من السيارة وقفته الصلبة المتخشبة ، ورأسه مرفوع ، وصدره بارز يكاد يشق صداره ... فقلت له على الأثر :

هل أشرفت على اعداد الجناحين فى فندق « الشرق المتوج » ؟

فأدى التحية العسكرية ، كأنه دمية تتحرك بلولب ، وقال :

كل شىء على أتم استعداد ...

ــ وأعضاء المؤتمر ؟ !

ــ سينتقلون الساعة بكامل هيئتهم الى المطار ...

وركبت السيارة ومعى الحاجب « عبد العال » والشاويش

« سيد متولى » وسرنا قاصدين المطار . وما كاد المطار يلوح لنا على ضوء المصابيح الكهربية الكشافة حتى تراءت جموع الناس الزاخرة فى هرج ومرج . . . وتركت السيارة وقصدت توا الى المكان المعد لأعضاء المؤتمر . وما لبثت أن رأيت سيارة الأعضاء الفخمة العظيمة تتهادى فى سيرها نحونا ، فما أسرع أن هرولت اليها . . . ونزل الأعضـاء يتقدمهم العالم الروحانى ، وكانوا كلهـم فى لبوس الحفـلات تحلى صدورهم أوسمتهم البراقة ، ولمحت الرئيس يهمس فى أذن العالم الروحانى بقوله :

اثمة تأجيل فى موعد وصول الطائرة أيها العالم المبجل ؟ !

ـ كن مطمئنا يا صاحب السعادة ، فقد انتهت الى برقية سماعية رمزية تؤكد لى أن الطائرة ستهبط المطار عند بزوغ أول خيط من أضواء الفجر

وتطلع الرئيس فى الأفق مليـا ناحية الشرق ، ثم حك باصبعه جلدة رأسه اللامعة . ووقفنا جميعا موقف الانتظار، قلقين لا نستقر على حال . بيد أن وزير المناطق الجنوبية السبع كان أكثرنا قلقا ، يتابع الهمس والاشارة ، والنظر فى ساعة معصمه . وظللنا كذلك وقتا . . . وكنت أنظر خلسة بين الفينة والفينة الى العالم الروحانى ، فما هى الا أن رأيت وجهه قد استنار بغتة وسمعته يهمهم، وهو يشير باصبعه نحو السماء : انظروا . . .

فتحولت نظراتنا على التو حيث أشار ، فلمحنا خيطـا دقيقا من نور يشق السماء شقا . . . وما لبثنا أن تبينا فى مقدمة هـذا الخيط جسما يبدو فى توهج وردى ، فعلت صيحات الجميع بغتة متهللة مبتهجة . وظل هذا الجسم يكبر رويدا رويدا ووجهته المطار . وكان كلما تدانى نحونا خفت الضجة والتصايح ، فما ان توضح لنا هذا الجسم وتكشف عن سحابة وردية شفافة حتى غشى المكان صمت . . .

وهبطت السحابة على الارض ، وخيل الى انى أستمع الى موسيقى خافتة تصحبها اهازيج تنشدها جماعة مستورة ، وكان اللحن بالغ العذوبة حتى أنسانى نفسى وموقفى من هذا الجمع ... وانتبهت على صوت الرئيس وهو يصيح :

ـ أين كاتم السر ؟... فليتقدم كاتم السر ...!

وأحسست قدمى تدفعانى الى مكان الطائرة ، وما كدت أرفع بصرى اليها حتى رأيتها ترق وتتزايل معالمها فى سرعة عجيبة ، واختفت فى لحظة . فتلفت حولى ، فاذا بالعالم الروحانى يتقدم الى سيدة متشحة بشبه غلالة وردية ووجهها يسطع بهاء وعظمة . وعلى مقربة منها رجل أسمر متهدل الشارب على رأسه شبه طرطور طويل لفت عليه عمامة ناصعة البياض . وشاهدت العالم الروحانى ينحنى على يد السيدة يقبلها فى خشوع ، فاذا بها تجذب يدها فى تلطف وهى تقول : لا . لا يا سيدى ... أستغفر الله ...!

ووخزنى رئيس المؤتمر فى جنبى وهو يهمس :

تقدم ... تقدم ... وحى الزائرين الجليلين ...!

ومشيت بخطا مضطربة ، وحاولت الكلام فخانتنى حنجرتى . وأحسست الألفاظ تتراقص على شفتى بلا صوت ، فانحنيت انحناءة بالغة ، ثم ارتددت خطوة الى الوراء فاذا بوزير المناطق الجنوبية السبع يدرج بجسمه الكروى نحو الملكة ويقف وقفة ترحيب جريئة . ثم يصيح :

فليحى صاحبا الجلالة الامبراطورية ...!

وما لبث أن تخاذلت أعضاؤه ، وسقط على الفور مغشيا عليه ... فحمل على التو الى ظلة الاسعاف ...

ولم أجد بدا من التقدم ، فدنوت من الملكة وقلت :

أنا كاتم سر المؤتمر ورئيس المراسم ... تجديننى دائما رهن اشارة جلالتك ... أتأمرين بشىء يا مولاتى ؟ !

فقالت فى صوتها الرقيق المنغم : لا شىء ... شكرا لك

وشعرت بشيء يحفزنى الى أن أرفع بصرى الى وجهها البين ملامحه ولاسيما الأنف ... ذلك الذى قيل فيه انه لو كان صغيرا أكثر مما هو قيد أنملة لتغير وجه التاريخ !... ولكن عينى ارتدتا حسيرتين . وقلت وأنا أستر حيرتى :

واين حقائب صاحبة الجلالة ؟ !

فرنت فى أذنى قهقهة لطيفة ، واذا بالرجل الأسمر ذى الطرطور يقول :

هون عليك يا صاحبى ... لا حاجة لنا بحقائب

فالتفت اليـه فاذا به يسـير فى تبـاطؤ ، يعانى عرجا خفيفا ... فانحنيت أحييه تحية بالغة ، مرددا :

صاحب الجلالة سلطان المغول وأمير سمرقنـد وعاهل مملكة ما وراء النهر و ...

فسمعته يقاطعنى بقوله فى صوت هادىء لين : على رسلك يا صاحبى ... انها لألقاب كلها زيف وبهتان ... سمنى بتيمور الأعرج وكفى

... واقبل أعضاء المؤتمر يحيون الملـكين واحدا أثر واحد . وشعرت بالنشاط يدب فى جسمى ، وأدرت بصرى حولى وانا أجمجم : أين الشاويش متولى ؟ أين الشاويش متولى ؟...

وما كدت أتم قولى حتى علا صوته قائلا :

قرقول سلاح ...!

وصلصـل العسكر بالسلاح ، وضربوا بأقدامهم الارض فاهتزت ، ومرت « كليوبترة » يرافقها « تيمورلنك » بين صفين من الجنـد ، وأعضاء المؤتمر يسيرون خلفهما فى خطا متعثرة ... ووقفت « كليوبترة » بغتة أمام جندى ومضت تحد بصرها فى بندقيته ، ثم رنت الى « تيمورلنك » تقول :

اترى هذا السلاح العجيب ؟

فلاح على وجهه طيف ابتسامة وقال : يقولون انه أشد فتكا من القسى والرماح !

ــ ما أغناهم عنه !

ومالت على رئيس المؤتمر تقول :

لم لا يستبدلون بهــذا السلاح سعف النخــل وطاقات الزهور ؟ !

ــ سنفعل يا صاحبة الجلالة ... هــذه مهمتنا التى من أجلها جئنا ...

وخرجنا من الصفين ، فألفينا أنفسنا نسير وسط طوفان زاخر من الناس يتدافعون حولنــا بالمنــاكب ، ويتطاولون بالأعناق ، ويتطلعون الى الضيفين الكريمين فى شغف واقبال. وتسلل من بين هذا الجمع الحاشد كلب هزيل متراخى الأذنين يثنى ذيله بين ساقيه ويعدو فى رعدة الجبان ، فاذا بالشاويش « سـيد متــولى » يمضى فى أثره وشيكا وقد رفع فى يده هراوته القصيرة يريد أن يهوى بها عليــه ، تأديبــا له على اقتحام ذلك المكان وافساد نظام الاحتفال . ولكن ما أسرع أن ندت صيحــة من « تيمورلنك » تهيب به ألا يفعــل ، فتراجعت يد الشاويش « سيد متولى » الى مكانها صاغرة ، ورأينا « تيمورلنك » يتقدم من الــكلب مستوقفا اياه فى صوت وافر الحنو والرأفة ، فاطمأن اليه بعض الاطمئنان ، وتطلع اليه ذاهلا ... فجثا « تيمورلنك » أمامه وراح يربت ظهره ويقول : أيها الحيوان الطريد ... لا تخش بأسا ... لن تشقى بعد اليوم ؟...

وحمله بيديه وسلمه الى الشاويش « سيد متولى » وهو يقول :

فلتعنوا بأمره ... أحســنوا اطعــامه ... انه حيوان أخرس مضطهد ... ان بين هاته العجماوات ما يفضــل بنى الانسان خصالا !

وحيا الشاويش « تيمورلنك » تحية عسكرية والـكلب على ذراعه يرعد ... وما كدنا نخطو بضع خطـوات حتى تقدم نحو الملكين مندوب الصحافة المتحدة وخلفـه جمع من المصورين ، فانحنى انحناءة شديدة ثم قال :

ايسمح صاحبا الجلالة أن نلتقط لهما بضع صور تذكارا لهذه الزيارة السعيدة ؟ !

فتخـايلت على شفتى « كليوبترة » ابتسامة رقيقـة وقالت لـ «تيمورلنك» : انظر . .انهم الصحفيون والمصورون، من وصفهم لنا بعض رفقائنا المحدثين فى العالم الآخر

ثم دنت من مندوب الصحافة المتحدة وقالت : يؤسفنى يا سيدى أن أخبرك بأنه ليس فى مقدورى أن ألبى لك هذا الطلب . . ان صورنا لا تظهر البتة على الألواح الحساسة لهذه الآلات المصورة ...

فوقف مندوب الصحافة لحظة فاغرا فاه ، وانطلق الجمع ينظر بعضه الى بعض مغمغما . وما كاد مندوب الصحافة المتحدة يملك نفسه حتى انحنى ثانية أمام الملكة وقال :

يقينى أن الملكة لن تخيب رجائى فى حديث قصير

ـ اى حديث تريد ؟

ـ سؤال واحد ...

ـ سل ما بدالك ...

فتريث مندوب الصحافة وقتا ثم قال :

اتأذن الملكة أن تتحدث الينا بكلمة مختصرة فى شأن العالم الآخر ؟...

فأرسل « تيمورلنك » قهقهة فيها رزانة الحكماء ، وقال : اتحسبون العالم الآخر دنيا غريبة لا تصلها بدنياكم هذه مشابهة ؟ !

وتقدم العالم الروحانى ، ينقـل بصره فى اضطراب بين

« كليوبترة » و « تيمورلنك » ، فقالت له الملكة على الأثر وهى تكركر ضحكا :

اطمئن أيها الصديق الجليل ... لن نفشى سر المهنة ...!

ثم التفتت نحو مندوب الصحافة ، وقالت :

ثق يا سيدى أن العالم الآخر ما هو الا دنيا متممة لدنياكم هذه ، ولكنها دنيا أوسع وأرحب وأسمى ... حسبك هذا منى ...

ومضت فى خطواتها الهادئة ونحن خلفها سائرون

وظهرت أمامنا السيارة الفخمة التى أعدت لركوب الضيفين ، فهرولت أفتح بابها وقلت للملكين : فليتفضل صاحبا الجلالة بالركوب ...!

فسمعت « كليوبترة » تقول « لتيمورلنك » : انها السيارات التى وصفها لنا الرفاق المحدثون بأنها تتحرك من تلقاء نفسها دون أن تقودها الدواب ...

وطفقت تطوف ببصرها فيها ، ثم غمغمت :

وددت لو أحضرتم لى دابة مكانها ...!

فقلت على الأثر :

ان الشقة بعيدة ، والدابة بطيئة الحركة ، وفى ركوبها مشقة ...!

فقالت « كليوبترة » لـ « تيمورلنك » : ماذا ترى ...؟!

ــ الأمر لك ... اذا لم تجدى بأسا فلنركبها على سبيل التجربة ...

والتفتت نحوى « كليوبترة » وقالت : والى أين تريدوننا أن نذهب ؟!

ــ الى فندق الشرق المتوج يا صاحبة الجلالة ...

فقالت على الفور فى لهجة حازمة : كلا ، لن أسكن الفنادق البتة ...

ووجهت كلامها الى « تيمورلنك » : وأنت ؟

ـ وانا ايضا لا أسكنها ...

وتقدم رئيس المؤتمر من الملكين ، وهو ينظر الى مستنجدا . فرنوت الى العالم الروحانى فى استعطاف ورجاء ، فاقبل العالم على الضيفين يتحدث اليهما هامسا ، ثم التفت الينا وقال :

ان لصاحبة الجلالة رغبة فى أن تسكن المعبد المجاور لابى الهول !

فقلت : ولكن المعبد ليس معدا للاقامة ...

فقالت « كليوبترة » : لقد اخترته لنزولى ولن أستبدل به مكانا آخر ... حسبى منه حجرة واحدة لا تحوى الا حصيرا ووسادة ...

فانحنيت مستسلما وأنا أردد : أمر صاحبة الجلالة مطاع

وسمعت « تيمورلنك » يقول : أما أنا فانطلقوا بى الى جامع السلطان حسن ، سأصطفى ركنا هادئا أقضى فيه وقتى بين الصلاة والتأمل

ودخلا السيارة ومعهما العالم الروحانى ، ودخلت فى اثرهم ، على حين اعتلى «عبد العال» مقعده بجوار السائق . وقد وقع أثناء ركوب الملكين حادث خشيت أن يثير غضب « تيمورلنك » لما أعلمه من حمقه وصلفه ،كما وصفته لنا كتب التاريخ . وذلك أنه حين دخوله السيارة اصطدم طرطوره بأعلى الباب فوقع الطرطور على الارض يتدحرج ، فما أسرع أن التقطته وأحسنت مسحه واماطة الغبار عنه ، ثم ناولته اياه ، فأخذه منى شاكرا فى دعة وايناس ، وأحله من رأسه محله

ومضت السيارة وفى أثرها رتل من السيارات الأخرى تقل أعضاء المؤتمر وبعض كبار المستقبلين . وكان الناس فى بعض الطريق وقوفا جماعات تحيى الضيفين ، فيرد الضيفان التحية باشارات يتجلى فيها أسمى معانى النبل وسماحة

الخلق . وانطلق العالم الروحانى يتحــدث الى الملــكين عن « القاهرة » وما حفلت به من مبان فخمة ، ومعاهد راقية ، وحدائق فياحة ، وما الى ذلك من أسباب التمدن والعمران. فكانا يستمعان اليه فى لطف ومودة وينقلان بصرهما بين مشاهد الطريق ، دون أن يظهر على ملامحهما أثر للدهشة أو الفضول ...

وانتهى بنا المسير الى فندق مينا هاوس حيث طلبت أن يسارعوا بارسال بعض العمال الى معبد أبى الهول ليهيئوا مكانا يليق بمقام صاحبة الجلالة .. وواصلنــا سيرنا الى المعبــد ، ووقفنا عن كثب منــه . وبارحت « كليوبترة » و « تيمورلنك » السيارة ، ووقفت الملكة وقتا أمام أبى الهول صامتة تتأمله... ومعارف وجهها على حالها هادئة صافية. ولاحظت أنهــا كانت تهمهم فى صــوت خافض ... أما « تيمورلنك » فانطلق يطوف ببصره فيما حوله لا ينبس . على حين كان أعضاء المؤتمر واقفين صفا خلفهما فى لبوسهم الأسود ، وقد بدأت أشعة الشمس يشتد وهجها ، فأخذت وجوههم تحتقن ويتحلب منها العرق

وانتبهت « كليوبترة » من أحلامهــا ، فوقع نظرها على الأعضــاء وهم كالدمى واقفون لا يتحـــركون والشمس لا ترحمهم من سياطها الملتهبة ، فأقبلت عليهم وقالت :

لا تؤاخذونى ... لقد شغلت لحظة عنكم بحــديث مع أبى الهول ... انى شاكرة لكم حسن استقبالكم... سنلتقى غدا ...

وحيتهم فى وداعة واتجهت نحو المعبــد ، فانصرفوا الى سياراتهم راجعين

وكانت يد الاصلاح والتجميل قد بدأت تمتد الى المعبد وما حوله ، فتزيل كثبان الرمال المحيطة به ، وتثقب بعض النوافذ فى حجراته استجلابا للضوء والهواء

ودخلنا المعبد فاختارت « كليوبترة » حجرة صغيرة لها نافذة تطل على رحاب الصحراء ، ثم قالت : هذه طلبتى...

واقبـل العمال ينظفون المكـان ، ويعدونه وفق مشيئة الملكة ... وعنى بعضهم بوضع آلة التليفون اللاسلـكى ، فقالت لى الملكة :

اكبر الظن انهم يعدون الجهاز المسمى بالتليفون ...

ـ الأمر كما قالت صاحبة الجلالة ...

ـ لماذا تريدون مضايقتى بهـذه الأجهزة ؟... أريد أن اقضى وقتى هنا فى العبادة والتأمل ...

ـ قد تدعو الحاجة يا مولاتى الى أن تتصلى ببعض أقطاب الساسة ...

فقاطعتنى بقولهـا : حسنا ... حسـنا ... افعلوا ما تريدون !

واستأذن « تيمورلنك » الملـكة فى الذهاب الى مستقره بجامع السلطان حسن ، فأذنت له ، وجعل يتفقد الحاضرين هنيهة ، ثم استقرت عينه على الشاويش « متولى » وكان واقفا بجوار عمود من عمد المعبد ، وقفـة الدمية كعادته لا يتحرك ولا يطرف ، فدنا منـه مبتسما وهو يقـول : ستكون مرافقى أيها الصديق ...

فأدى الرجل التحية العسكرية فى ضجة وعنف وقال : أمر مولاى مطاع ...

ـ والكلب ...؟ !

ـ لقد عهدت به الى شخص أمين سيعنى به أشد عناية

ـ شكرا لك ... سيكون جزاؤك عند الله عظيما ...

وخرجا فركبـا السيارة ، وتبعتهما سيارة أخرى من السيارات الكبيرة غاصة برجال الشرطة

وما أسرع أن انتهى العمال من اعداد المعبد ، فقد كانت مطالب الملكة غاية فى السذاجة والتواضع ، وقد أمرت أن

تكون حجرتها خالية من أدوات الزينة والتجمل ... حتى لقد رفضت أن يكون للمرآة فيها مكان ...

وجاء مهندس التليفون وانحنى أمام الملكة وقال :

ألا تتكرم صاحبة الجلالة فتجرب جهاز التليفون ؟...

فنظرت الى الملكة وقالت : مع من تريدوننى أن أتحدث ؟

فقلت : مع من تشائين يا مولاتى ... مع صاحب الجلالة تيمورلنك اذا رغبت ... أن فى السيارة التى أقلته الساعة جهازا لاسلكيا ...

فابتسمت وقالت : لا بأس ... ستكون مباغتة لهـذا المسكين ..!

وسبقتها الى مكان التليفون ، فما كادت تخطو خطـوة أثرى حتى دق الجرس ، فتوقفت عن المسير ، وتطلعت الى ، فأسرعت بقولى : انه التليفون ...

ـ أيطلبوننى ...؟

ـ أحسب ذلك ...

ـ اذهب وانظر ماذا يريدون ؟...

وهرعت الى التليفون . وما ان انتهيت من مكالمتى حتى عدت اليها أقول : مولاتى ... انها اشارة من مأمور الصحراء الشرقية يقول انهم ضبطوا شخصا غريبا فى ملابس غير مألوفة كان يحاول التعلق بأعقاب السيارة التى أقلت جلالتك من المطار ... ولما سئل عن اسمه وعما كان يريد ، أجاب بأنه لن يفضى بدخيلة أمره الا بمحضر منك يا مولاتى

فانسرحت « كليوبترة » تفكر وقتا فيما قلته ، ثم انثنت تقول :

لا بأس ، فليتقدم الى ...

فعدت الى التليفون ونقلت الى المأمور اشارة الملكة ، ثم رجعت فاذا بقعقعة سلاح تعلو فى الخارج تصحبها تحيـة مجلجلة . ثم ظهر بعد حين على عتبة البهو شخص أسمر

البشرة ، منبسط العود ، مهيب الطلعة ، وضاء المحيا ، فى مكتمل رجولته... يلبس ملابس الضباط على الزى القديم ، وعلى صدره تزدحم مختلف الأوسمة وهو متقلد سيفا طويلا مرصع المقبض ... دخل فى خطوات رصينة رنانة ... فما ان توضح له شبح « كليوبترة » فى الضوء الخافت حتى تباطات خطاه وارتسمت على قسمات وجهه مظاهر الحيرة والتهيب ... ثم وقف يتطلع الى الملكة فى خشية وتردد . وبدا عليه انه يحاول الكلام ولكنه لم يفعل ... ورأيت « كليوبترة » ترنو اليه فى وداعتها المحببة ، وقالت :

تقدم ... تقدم يا سيدى ...

وبسط الرجل قامته ورفع هامته وقد زم قدميه فى فرقعة ، ورفع يده الى حاجبه يؤدى التحية العسكرية ، وهو يقول :

السلام على ملكة الشرق « كليوبترة » العظيمة

ثم وقف لا يتحرك ، فقالت الملكة :

تقدم أيها الفارس ... من تكون ؟

واهتز شاربه الغليظ المفتول باحكام واناقة ، ثم خطا خطوتين الى الأمام وهو يقول : خادمك زين السيوف !

فقلت على الأثر وقد وضحت لى شخصيته :

انه الجنرال زين السيوف باشا مندوب الجبهة العليا للمحاربين القدماء ... لقد كان متغيبا فى أعالى النيل فى مهمة ، وقد حضر اليوم على متن طائرة

فقالت « كليوبترة » : أهلا وسهلا بالجنرال ...

ومدت له يدها ، فما أسرع ان هبط عليها يودعها قبلة احترام بالغة ...

وواصلت « كليوبترة » حديثها قائلة :

اكانت غيبتك فى أعالى النيل لشأن من شئون الحرب ؟

فتكلم « زين السيوف باشا » بصوت رصين ، وقد تملك

نفسه : كنا نحارب البعوض ... نرغب فى القضاء عليه القضاء المبرم . وكنا نخوض المعارك ضد السدود الكثة العنيفة الرابضة فى الأنهار وعلى الجسور ، معارك حامية متصلة ... أما الحرب بمعناها الصحيح فلم يعد لها فى هذا العصر سوق قائمة يا مولاتى ... ان السلام يخيم على الدنيا بأسرها ، وخاصة فى بلدنا هذا ...

ـ وقد اجتمعنا لندعم هذا السلام

ـ حسبنا أن نصغى لمشورتك يا صاحبة الجلالة ...

وجلست « كليوبترة » على مقعد حجرى من مقاعد المعبد ، وأشارت الى « زين السيوف باشا » أن يجلس بجوارها . فنظر اليها خاشعا وهو يقول : مولاتى ...

ـ تعال اجلس ... لا تثريب عليك ...

ـ انى جندى يا صاحبة الجلالة ... ومن أول واجبات الجندى أن يرعى من هو أعلى منه مقاما ...

ـ أنسيت أننا أعضاء مؤتمر واحد ؟...لا يفضل شخص شخصا ... كلنا سواء

ـ مهما يكن من أمر فانى جندى صميم ...

ـ وأنا أدعو هذا الجندى الصميم ليشاركنى مقعدى ...

ـ سألبى طلبك يا مولاتى كأنه أمر صادر لى من رئيسى

وفسحت له مكانا فجلس بجانبها ...وواصلت حديثها قائلة :

لماذا تتحرج أن تجالسنى و «المساواة» طابع هذا العصر وشعاره ؟!

ـ لى فى المساواة رأى خاص ...

ـ أو تعد نفسك من معارضيها ؟

ـ لست ممن يعتقد صلاحيتها كل الصلاحية ...

ـ كيف ؟

ـ ان « المساواة » يا مولاتى أمر مناهض لمظاهر الطبيعة

لمسها ·· ان الطبيعة تزخر بالفروق · هنا سهل منبسط وادع ، وهناك جبل شامخ شاهق · هنا جدول يجرى ماؤه فى سكون وطمأنينة ، وهناك بحر ثائر الامواج لا يهدأ له زئير ··· أفراد الجنس البشرى يختلف بعضهم عن بعض فى الذكاء والنشاط والقوة ··· ان منهم عباقرة يتساءون الى مرتبة القديسين والانبياء فى حين نرى غيرهم وقد ختم الله على عقولهم غباوة وجهلا فأضحوا يتدانون من مرتبة الأنعام ··· كيف أسمح لنفسى أن أساوى بين هؤلاء وهؤلاء ؟··· انى أنكر المساواة يا مولاتى الانكار كله ، وخاصة ما كان منها بين الجنس اللطيف والجنس الخشن !

ـ ولكن لا تنس يا جنرال أن المساواة بين الجنسين قد اصبحت فى العصر الحاضر ، كما علمت من رفقائنا الجدد فى العالم الآخر ، حقيقة راهنة · ان المرأة قد نالت حقها كاملا من الرجل فلم يعد بين الجنسين من فروق فى الحقوق والالتزامات والمعاملات

ـ مهما قيل يا مولاتى فالمساواة اسمية ··· والفروق قائمة ، ولن تمحى أبد الدهر ···

ـ أتزعم يا جنرال أن الرجل هو المسيطر على المرأة مهما يكن من أمر ؟

ـ بل الأمر على خلاف ذلك يا مولاتى · ان المرأة هى المسيطرة على الرجل مهما يكن من شىء ··· وانه لن ينجو من سيطرتها أبدا ···!

فأضاءت وجه « كليوبترة » ابتسامة وضاحة ، وقالت وهى ترسل ضحكة خفيفة :

ظريف منك هذا القول !

ـ ثقى يا مولاتى أنه لا مكان للمساواة فى القلوب والغرائز · وقد فطر الرجل على عبادة المرأة ، فهل ثمة مساوآة بين العابد والمعبود ؟!

ورفع طرفه اليها يجتلى محاسنها ، فما ان لمحته يحدق فيها حتى أشاحت بوجهها عنه ، فغض من بصره • وبعد لحظة تكلمت « كليوبترة » فى صوت هادىء خافت قائلة

بالرغم من كل ما تقوله يا جنرال فالمساواة تحمل معنى ساميا نبيلا •••

ـ ان العقل البشرى يا مولاتى قد اخترع فيما اخترع هذه الالفاظ البراقة : مساواة ، اخاء ، عدالة اجتماعية الخ•••وأضفى عليها تلك المعانى السامية النبيلة ليخدعنا بلمعتها •••

ـ أراك تنتقص من قيمة العقل يا جنرال !

ـكلا يا مولاتى ليس لمخلوق أن ينتقص منقيمة «العقل» ولكننى لا أحب منه هذه العنجهية والتطاول وهذه الشهوة القاتلة فى فرض سلطانه على كل شىء ••• انه ليقتحم على النفس البشرية حرمها المقدس يريد أن ينفذ الى قواها الخفية من غرائز ونوازع ليحاول أن يتحكم فيها ويسيرها وفق مشيئته

ـ أتراه قد نجح فى اخضاع الغرائز لسلطانه ؟

ـ انه يحاول أن يوهمنا ذلك ويقنعنا بأنالنفس البشرية انما تعمل تحت امرته •••

ـ ألا ترى فى ذلك تغاليا ؟

ـ كل التغالى ••• أيستطيع العقل أن ينكر قوة الغرائز ؟••• ثمة حرب طاحنة تقوم بينهما ، لا هوادة فيها ولا رحمة

ـ ولمن ستكون الغلبة يا ترى ؟

ـ هذا أمر علمه عند ربى !

ـ ولكن اذا انتصرت الغريزة يا جنرال ، أليس هذا معناه العودة الى الهمجية الحيوانية ؟

ـ واذا انتصر العقل يا مولاتى واستطاع أن يفرض

ديكتاتوريته القاسية الجافة ، أليس هذا معناه شقاء المجتمع البشرى اذ يتحول الى آلة يسيطر عليها مزهو عاجز !

ـ ولكن العقل ـ كما يقولون ـ يسعى لخير المجتمع

ـ ان هذا « العقل » الذى يبدو لنا قوة أساسها المنطق والاتزان والرزانة يخفى بين أعطافه قصورا وغرورا ٠وهو مجد دائب فى سبيل الكشف عن أسرار الوجـود ٠ فاذا نال نصرا امتلأ زهوا وعجبا وسار يطلب نصرا آخر وهو يدعى أنه ملك ناصية المعرفة وأنه لن يمضى قليل وقت حتى تذل له عناصر المادة فيستغلها لخير الانسان

فقالت « كليوبترة » : ولكن لا تنس أنه يقع أحيانا أن تمتد يد الغريزة الى ما أنتجه العقل فتستغله استغلالا قد يكون سببا فى شقاء الانسانية

فقال « زين السيوف باشـا » : يجب الحد من سلطان العقل على كل حال ، كما يجب أن نجعـل من الغريزة قوة مناهضة٠ليست الغريزة يا سيدتى ـ كما يتوهمها البعض ـ شرا كل الشر٠ان جوهرها ينطوى على الخير ، ويهدف الى سعادة البشرية،ويدفعها دائما فى سبيل تطورها وارتقائها

ـ العقل يعمـل من ناحية فى سبيل خير الانسـان ، والغريزة تعمل كذلك من ناحية أخرى فى هذا السبيل ٠ ولكننا نرى أن كلا منهما يعمل على اضعاف الآخر والنيل منه والتحكم فيه ٠٠٠ فما العمل اذن ؟ ألا نستطيع أن نعقد بينهما صلحا ؟

ـ حبذا الصلح بينهما

ـ صلح عادل شريف

ـ صلح خال من ذلك المبدأ العتيد : تسليم بلا قيد ولا شرط ٠٠٠!

ورأيت « زين السيوف باشـا » يضرب جبهته بيـده

ويصيح : ألا يمكننا أن نحيل هذا الصلح الى عقد زواج بين الطرفين : زواج بين العقل والغريزة ؟

ـ انهما كالذكر والأنثى لا يصلح أحدهما بدون الآخر

ـ بل ان أحدهما مكمل للآخر ...

ثم ابتسمت « كليوبترة » وواصلت كلامها : ولكنك يا جنرال نسيت أن الزواج ليس صلحا خالصا .. وقد يؤدى الى انفصام اذا احتدمت المناقشة واندلع لهيب المنافسة

فتضاحك «زين السيوف باشا» يقول : بربك يا سيدتى فليكن الزواج هذه المرة وحدها صلحا كله ... وليكن الطلاق محرما بالثلاث ...!

وهنا قدم شرطى يعلن حضور الغريب الذى أخبرنا به مأمور الصحراء الشرقية ، فأذنت الملكة بلقائه على الفور . وما عتمنا أن رأينا شخصا حاسر الرأس بوجه مستطيل عليه طابع النبل ، وعينين تلتمعان بوميض هادىء . دخل يدلف بقامته المبسوطة فى خطا متزنة ، وهو يرنو الى الملكة فى ابتسام ويعبث بملحفه الرومانى الابيض ، فما ان وقع بصر « كليوبترة » عليه حتى صاحت :

أنطونيو ...

فتقدم منها والابتسامة لم تبرح محياه ... وقالت الملكة :

ماذا ؟... أأنت هنا ؟... أجئت تلاحقنى ؟

فقال وفى صوته ضراعة محببة : جئت لأكون منك على مقربة !

ـ انك حقا تضايقنى

ـ لن تشعرى بوجودى

ـ طالما سمعت منك هذا القول ، ولكنك كنت تضجرنى دائما بنظراتك الملحة . كنت أطلب منك دائما فى العالم

الثانى أن تلتزم جانب العقل وتسلك سبيل الحكمة ، ولكنك كنت ...

ـ كنت طوع أمرك دائما ...

ـ كلا ... لن تعاود أمامى هنا ما كنت تفعله هنالك ...

ـ وما الذى تأخذينه على فى حياتنا فى العالم الآخر ؟ أتاخذين على صداقتى الصافية الروحانية لك ؟ أتأخذين على ذلك الطهر الذى يفيض به روحى نحوك ...؟ سأكون فى الارض معك كما كنت هنالك !

ـ يجب أن تعود !

ـ أتخشين من شبح أنطونيو القديم ، أنطونيو الأرضى؟ لقد غدونا روحين يا كليوبترة ، روحين لا يربطهما الا رباط الصداقة العميقة النورانية ..

ـ ولكننى فى شغل عنك .. بربك قل لى لماذا جئت ؟ ادعاك أحد ؟

ـ دعانى واجبى أن أكون من حراسك وضمن حاشيتك

ـ أى فضول هذا !

ـ ألم أكن الى جانبك فى حكم هذا الوادى ؟...

وخطا « زين السيوف باشا » خطوة نحو « أنطونيو » وحنى رأسه يحييه ثم قال :

اذا لم يخطىء ظنى فأنا أمام عاهل رومة الكبير القيصر مارك أنطوان

ـ لم يخطىء ظنك يا سيدى ...!

ـ لى كبير الشرف أن أحظى بالتعرف الى قائد عظيم من قواد العالم القديم . ولكن أتسمح لى يا سيدى أن أقول انه يبدو لى أنك متعب ؟

ـ كلا ... كانت رحلتى من العالم البعيد طيبة ...

وقالت « كليوبترة » تخاطبه وهى تزيغ بصرها :

أكنت معنا فى الطائرة دون أن نراك ؟!

ـ كنت متعلقا بذيلها ٠٠٠!
ـ وتزعم أن رحلتك كانت طيبة ؟!
ـ ما دمت عن كثب منك أحس وجــودك معى فكل شيء طيب ٠٠٠
فقالت « كليوبترة » وقد بدا على وجهها الضيق :
ستقضى الليلة فى قصر الورد ٠٠٠ سيرافقك الجنرال الى مكانك ، وغدا نقطع فى أمرك برأى ٠٠٠
ونظر « زين السيوف باشا » الى « أنطونيو » وقال له :
ثق يا سيدى أن ليلة هادئة تقضيها فى قصر الورد سيكون لها أحسن الأثر فى صحتك ٠٠٠
ـ أتحسبنى مريضا يا جنرال ؟!
ـ انك شديد الشحوب يا سيدى ٠٠٠
ـ هذا من فرط اقبالى على العبادة ٠٠
ـ عبادة ٠٠٠؟!
ـ نعم يا جنرال ٠٠٠ عبـادة الجمال ٠٠٠ انى مشغوف بالجمال ٠٠٠ الجمال فى كل مظاهره ، وعلى اختـلاف ألوانه ومذاهبه ٠٠٠
ـ لك العذر فى هـذا ، لأن العالم الآخر يزخر بمظاهر ذلك الجمال ٠٠٠ أما هنا فلن تجد شيئا تعبده ٠٠٠
ـ اسمح لى بأن أقول لك يا سيدى انك لست فى قولك على حق ٠ ان دنياكم تزخر أيضا بالفتنة والحسن ٠٠
ـ انى لأراها ملأى بالبشاعة والقبح ٠٠
ـ خلف ما تسميه بشاعة تكمن عناصر الجمال ٠٠ ولكن العبـــرة بالعين التى تنظر وبالنفس التى تلقى بضـــوئها السـحرى على المرئيات فينفذ الى مواطن الجمال الأصيلة ويكشف عنها ٠٠
ـ امنحنى فديتك هذه النفس وتلك العين لأبصر الجمال كما تبصره كل الأعين والنفوس ٠٠

ـ ان الله لم يفرق بين عين وعين وبين نفس ونفس٠كلها جوهر واحد ٠ ولكن هناك عين ناعسة وأخرى يقظة ٠ وثمة نفس بليدة وأخرى نشيطة ٠ ولن تستيقظ العين وتنشط النفس الا بالرياضة الصوفية الرائعة ٠٠

وسمعنا « كليوبترة » تقول في شيء من الملل :

متى تسمح لضيفك يا جنرال أن يستريح ؟

ـ بأمر مولاتى أصطحبه الساعة ٠٠٠

ـ اذا راقك هذا ٠٠٠

وتنحنح «زين السيوف باشا» وهو يسوى طرف سترته، ثم قال :

لى مطلب يا مولاتى،أرجو أن ينال منك شرف القبول٠٠٠

ـ تكلم يا جنرال ٠٠٠

ـ انها لجرأة حقا أن أسمح لنفسى بدعوة مولاتى الى تناول الشاى ٠٠٠

فصمتت « كليوبترة » لحيظة ثم عادت تقول : كنت أود تلبية طلبك ٠٠٠ ولكنك تعلم أنى قدمت هنا وقد تجردت من مظاهر الحياة الدنيوية٠٠٠لقد سمعت الكثير عن حفلات الشاى فى عصركم هذا ٠٠٠

ـ لن تكون حفلة جامعة مما انتهى اليك خبر مثيلاتها٠٠٠ انما أهدف الى أن أقدم اليك قدحا من الشاى فى جلســة هادئة بعيدة عن شراذم المتطفلين ٠٠٠

ـ اذن لنشرب هذا القدح هنا فى هــذا المعبد فى الوقت الذى يروقك

ـ ألا ترغب مولاتى فى التنزه قليلا ؟٠٠٠ نخرج مثــلا الى ضاحية حلوان ٠٠٠هناك قهوة الاسكندر الأكبر،مشرفة على النيل فى بقعة كلها روعة وسكينة ٠٠٠

ـ قهوة الاسكندر ؟!

ـ أجل يا مولاتى ، لقد سميت قهوة الاســكندر الأكبر

تيمنا باسم ذلك الملك العظيم ··· اذ أن أحد المنقبين عن الآثار يزعم أنه عثر فى هذه البقعة على قبر الاسكندر

ـ وهل وجدوا جثمانه ؟!

ـ وجدوا رميم عظام ···

ـ وهل ثبت أن هذه عظام الاسكندر ؟!

ـ انهم مختلفون حتى اليوم فى نوع هـذه العظام ··· فبعضهم يقول انها عظام آدمية ··· وبعض آخر يقول انها عظام مصنوعة وردت الى هذه الديار من أمريكا ···

فقالت « كليوبترة » : كيف ؟ أتصدر اليكم أمريكا عظام الملوك الغابرين ؟!

فقال « زين السيوف باشا » : ان أمريكا بلاد العجائب حقا · يقولون انها تصنع العاديات والآثار على اختـلاف أنواعها وترسلها الى مصر لتباع فى أسواقها للسائحين من الامريكيين الذين يقدمون هذه الديار شـغفا بآثارها ··· حتى «المومياوات» الملففة فى أكفانها القديمة تلك التى نستطيع أن نشم منها عطر الزمن السحيق ، هى من وارد أمريكا ·· انى أخشى أن أقول ان القبور المطمورة فى بطن الصـحراء التى يكشف عنهـا المنقبون من علماء الآثار قبور من صنع أمريكا أيضا !

فقال « أنطونيو » : اذن ليس كل ما سمعنا به مما تزدان به المتاحف من الآثار المصرية جديراً بأن نعده أصيلا ···!

ـ بت أشك فى أصالة كل شىء ، قديما كان أو حديثا ··· انى لأشك حتى فى نفسى ···

ـ ماذا ···؟!

فتضاحك « زين السيوف باشا » ملء شدقيه وقال : أخشى أن أكون أنا أيضـا من واردات أمريكا دون أن أشعر !

وقالت « كليوبترة » بعد لحظة : اذن لنا أن نرتاب فى

سبة هذا القبر وما ضمه من رَفات الى الاسكندر ...
ـ ان الله وحده هو الذى يعلم أقبر الاسكندر هذا أم قبر مزيف ؟!
ورأيت « كليوبترة » تقف لحظة ساهمة ، ثم قالت :
وقبرى ، هل عثروا عليه ؟ وماذا وجدوا فيه ؟...
فبدت الحيرة على « زين السيوف باشـا » ، ولبث برهة يفكر ثم قال :
يؤسفنى أن أعلن جهلى بهذا الموضوع ...
وتقدم « أنطونيو » يقول لـ « كليوبتره » :
انى لأذكر أننا دفنا معا
فقالت « كليوبترة » : انى أسأل هل عثروا على رفاتى ؟
فأجاب « أنطونيو » : وماذا يهمك من أمر الرفات البالى ما دامت الروح قد خلدت محتفظة بكل عنـاصرها على مر العصور ؟..
ـ يهمنى ألا أعرض فى المتاحف كالسلعة المزجاة الفاسدة ... انه امتهان لقدسية الموت ...
فقال « زين السيوف باشـا » : كونى على ثقة يا مولاتى أن أحـدا لم يخطر بباله أن يتهجم على قدسـية شخصك الجليل ... لم أسمع قط عن قبرك ولا عما حواه شيئا... والآن هل قبلت دعوتى الى قهوة الاسكندر ...؟
ـ أخشى أن يكون المكان حافلا بالرواد ...
ـ انه على عكس ما تظنين ... قليل من الناس من يفكر الآن فى زيارة هذا المكان...انه ليس فى حلوان المدينة ، بل فى ضواحيها العازبة ... ثقى أنك ستقضين فيه وقتا هادئا لطيفا ...
ـ أشكر لك يا جنرال ... انى أقبل دعوتك ...
ـ متى تأمر مولاتى ؟

ـ غدا أستريح فلا أغادر حجرتى ... نستطيع أن نذهب بعد غد ...

ـ لقد أنلتنى شرفا به أعتز ...

وانحنى أمامها انحناءة عسكرية ، وزم قدميه فى فرقعة ، ثم استدار وقال لـ « أنطونيو » : هيا يا سيدى القائد ...

وخرج يقعقع بسيفه ومعه « أنطونيو » يسير فى تباطؤ

ونظرت الى « كليوبترة » قائلة : مرهم ألا يدخلوا على أحدا ... سأخلد الى الراحة فى حجرتى ... تستطيع أن تستريح أنت أيضا يا سيدى ...

ـ أمرك مطاع يا صاحبة الجلالة ...

وما كادت تخطو خطوتين نحو حجرتها ، حتى التفتت الى وقالت :

لتعلم يا حضرة السكرتير أنى لا أرغب فى أن يخدمنى غير النساء ... النساء فقط ... أما الحراس فلا رغبة لى فى ابقاء أحد منهم حول المعبد

ـ ولكن يا مولاتى لابد من الحراس . وأول واجب علينا هو المحافظة على النظام حول مسكن جلالتك ...

فرفعت هامتها وقالت فى جد :

لا رغبة لى فى الحراس ... أرجو أن تنفذوا رغائبى

فانحنيت أمامها طائعا ... وما لبثت أن تقدمت منها وقلت :

ان هيئة المؤتمر الموقر قد وضعت تحت تصرف جلالتك وجلالة تيمورلنك مبلغا من المال للنفقات النثرية الطارئة . والمؤتمر على استعداد دائما أن يستجيب لأى مطلب ترغبان فى تحقيقه ...

فشكرتنى فى لهجة رقيقة وقالت لى :

ليس بى حاجة الى المال ...

فانحنيت أمامها ثانيا . وما أن رأيتها تتوارى فى خدرها

حتى أنفذت أمرها الخاص بالخدم،فأبعدت منهم عنصرالرجال وجمعت الوصيفات وأوصيتهن بالسهر على راحة الملكة ، ثم خرجت الى الحراس فأمرتهم أن يتنحوا عن المعبد ويتخذوا أماكن حراستهم بعيدا عن عين « كليوبترة » حتى لا تشعر بوجودهم . وقد استطعت أن أوفق فى ذلك بين رغبة « كليوبترة » وبين الواجب الملقى على

ولما استوثقت من أنى لم أفرط فى أمر ، ركبت السيارة ومعى « عبد العال » الحاجب الى منزلى ...

وعلى الرغم مما نالنى من ارهاق وكد كانت أعصابى فى حالة من التيقظ والهياج ... وحانت منى لفتة الى « عبد العال » فوجدته مسبل الأجفان يغط غطيطا خفيفا فهززته وأنا أصيح : ألا يحلو لك النوم الا فى هذا الوقت ؟

فغمغم وهو يجاهد النعاس :

ومتى تريدنى أن أنام ؟ ألم ينته عملنا ؟

ـ أمامنا أعمال أخرى ... اعداد برنامج غد ...

فقال مهمهما وهو يفرك عينيه : وأين نحن من غد ؟

ـ لم أجد فى حياتى أكسل منك ... قل لى ما رأيك فيما مر بنا من حوادث عجيبة ؟...

ـ أمن أجل هذا أيقظتنى ؟!

ـ انى أسائلك ... ما رأيك فى كليوبترة ؟

ـ امرأة كسائر النساء ...

ـ يا للوقاحة ... ماذا تقول ؟

ـ انها ليست من الحسن بحيث تقع من أجلها كل هذه الكوارث التى تتناقلها الألسن ...

ـ لا ريب أنك مخبول ...

ـ أقسم بالله انى لأفضل عليها زوجتى أم السعد ... دعنى أنعم بشىء من الراحة ..

وانثنى يعتمد برأسه على ساعده،فهززته ثانيا ، وقلت :
وتيمورلنك ؟

فغمغم : انه شديد الشبه بممثلى « الموالد » !

فوكزته فى جنبه وأنا أردد : لن أواصل الحـــديث مع جاهل غبى مثلك ...

وألقيت برأسى على ظهر السيارة ، أنشد بعض الراحة ... وسرعان ما وجدتنى أقول لـ « عبد العال » : لقد دعاها زين السيوف باشا لشرب الشاى فى حلوان ...

ـ نعم ما صنع ...

ـ لقد لبت دعوته على كره منها ... لولا ما أثاره فيهـا من فضول بشأن قبر الاسكندر لما استجابت ...

ـ وأنطونيو ... ما رأيها فيه الآن ؟

ـ يلوح لى أنه أضحى بضاعة مهملة ...

ـ هل يقيم بيننا طويلا ؟

ـ أحسب أنه سيعود قريبا الى عالمه البعيد ...

ـ يحسن صنعا ... أليس هذا أجدى عليـه من أعمال المؤتمر ؟...

... وبلغت بنا السيارة الدار فنزلنا،وسرعان ما رأيت « عبد العال » قد اختـــار مكانا فى البهو تكور فيه وتهيأ للرقاد ، فتركته حيث هو ، وقصدت الى حجرتى ، أطلب الراحة والنوم.ولكن تنافر جفناى واستعصى على أن أنام. فأخذت أدون مذكراتى ، وطالت جلستى أمام المكتب أحبر الصفحة تلو الصفحة غير شـاعر بمرور الزمن ، وفيما أنا منهمك أكتب اذ طرق سمعى صوت الشاويش « ســـيد متولى » فألقيت بالقلم جانبا وقصـدت الى البهو ، فألفيت الشاويش يعالج ايقاظ « عبد العال » ، فما ان رآنى حتى أقبل على يقول :

لقد وكلت الى شأن هذا الأمير...وليتك ما فعلت...!

ـ لم ٠٠٠؟!
ـ لم أستطع منه خلاصا الا الساعة ٠٠٠
ـ ماذا كنت تفعل ٠٠٠؟
ـ لقد أمرنى أن أجمع له ما أستطيع من الشحاذين ، فتسربت فى الأزقة والحارات ، ومررت بأبواب المساجد وأضرحة الأولياء باحثا منقبا ٠ ومن الغريب أن هذه الطائفة التى لا يخلو منها سبيل أثناء النهار والتى تطالعك فى غدوك ورواحك قد عز وجودها حين طلبتها ، على أننى استطعت بعد لأى أن أجمع له منهم نفرا ، فما أن وقع بصره عليهم حتى أمر أن يعد لهم على التو شهى المأكل والمشرب ٠٠٠ تصور يا سيدى مبلغ دهشتى وحيرتى أمام هذا المطلب العسير ٠٠٠ ولكننى لم أجد مفرا ، فهرعت لاستدعاء الطاهى وجلب اللحم والخبز ٠٠٠ وأنشأنا الأفران فى الساحة الخارجية للمسجد ولم نلبث أن أوقدنا النار وصنعنا الثريد ومددنا الموائد ٠٠٠
ـ وبعد ؟٠٠
ـ وبعد ٠٠٠ لم يهدأ لصاحبك بال حتى أعد لضيوفه مضاجع فى صحن المسجد ، ووسدهم الفراش وهو يدس فى يد كل واحد منهم حفنة من النقود ٠٠٠
ـ وبعد ؟٠٠
ـ وماذا تريد بعد ذلك ٠٠٠؟!
ـ كيف تخلصت منه وحضرت هنا ؟!
ـ طلب منى الأمير أخيرا أن أجهز له الميضأة والمغطس فأعددتهما له ، وما ان رأيته يدخلهما ويرد الباب خلفه حتى تسللت هاربا
وسمعنا «عبد العال» يقول فى صوت يختلط فيه التثاؤب بالكلام : والكلب ؟!
ـ لقد أعددنا له ظلة نظيفة ، وقدمنا له صحافا ملأى

بشهى الأطعمة ، وقد تركته ينعم بنوم هنىء بعد أن وكلت به أحد الخدم ...

فقلت له : وهل رتبت ما يلزم من الحراس والحاشية... ؟

ـ ان تيمورلنك بعد أن عرضهم فى ساحة المسجد قبل اعتكافه طلب الى ألا أبقى منهم الا خفيرين للحراسة، وشيخا متقدما فى السن يخدمه ... لقد كان بهم رفيقا لين المعاملة ... ولطالما كرر على مسمع الحراس أنه يرجو أن يراهم وقد نزعوا أسلحتهم لا يعودون لشىء منها أبدا !...

٢١ يناير

انه ليوم هادىء اذا قيس به أمس ... لم يقع فيه شىء غير مألوف الا ما كان من الدهشة التى أثارتها عودة « أنطونيو » الى الارض بهذا الاسلوب الخفى ... وكان العالم الروحانى بطبيعة الحال أكثر الاعضاء اهتماما بالأمر، فقصد الى « أنطونيو » فى حجرته وقد نم احتقان وجهه واختلاج قسماته عما كان يشيع فى نفسه من هم وضيق ، فقد عد هذا الحادث افتئاتا على سلطته ، وامتهانا لنفوذه وكرامته ، واخلالا بما هو قائم من علاقات منظمة بمراسم ثابتة بين سكان الارض وسكان السماء ... وأيقنت أننا نواجه أزمة عاصفة ، وأن الطائرة الوردية الشفافة على وشك الظهور ثانيا فى سمائنا لتعود بالضيف المتطفل الى مقره السرمدى ... ولكن ما كان أطيبها من مفاجأة اذ رأيت العالم الروحانى يزايل حجرة «أنطونيو» وقد عاد اليه صفاء نفسه وبشاشة محياه ... وعلمت أن ذلك العالم الكبير القلب قد صفح عن « أنطونيو » وأجاز له الاقامة فى العالم الدنيوى بعض الوقت يقضيه كأحد السياح

وقد لزم أعضاء المؤتمر حجراتهم الخاصة فى « قصر الورد » واعتكف كل من « تيمورلنك » و « كليوبترة » فى

مخدعيهما ··· أما « أنطونيو » فظل طوال اليوم فى شرفة حجرته لا يريم ··· وقد زاره « زين السيوف باشا »وقضى معه حينا ··· ولاحظت أن غلام الفندق صعد اليهما حاملا صينية عليها بعض قنانى من جيد الخمر ، وصحاف تزدحم عليها المشهيات ···

٢٢ يناير

افتتح المؤتمر اليوم أولى جلساته فىالساعة الحاديةعشرة قبل الظهر ··· وانتظم الاعضاء حول المنضدة المستديرة ، وبينهم « كليوبترة » فى غلالتها الوردية الساذجة ، و « تيمورلنك » بطرطوره الابيض الطويل ·· والعالم الروحانى فى جلبابه الناصع الفضفاض مشرق الوجه طلق الأسارير ، ولم يسمح لـ « أنطونيو » بالاشتراك فىالمؤتمر، فترك فى الردهة الكبرى مع الحاجب «عبد العال»والشاويش « سيد متولى » ··· وكنت أثناء الاجتماع أسمع وقع خطاه فى جيئة ورواح

وكانت الجلسة بالغة الهدوء ، فقد طلبت « كليوبترة » من « زين السيوف باشا » أن يتحدث الى هيئة المؤتمر عن الحملة التى شنها على الملاريا والسدود في مناطق النيل العليا ، فراح يلقى بيانه فى لهجة حاسمة تصحبها اشارات رائعة فى جد ورصانة وصلابة · فشرح أولا كيف قسم جيشه وحدات مختلفة : فهذه وحدة الدبابات ، وتلكوحدة الطائرات ، والثالثة وحدة المشاة تحمل الفئوس والمعاول ، وتخفى وجهها تحتأقنعة المطاط ، والرابعة وحدة الطائرات مجهزة بأحدث المخترعات العلمية،ومحملة بالقنابلالساحقة لبيض البعوض ··· هذا فضلا عن أسطول القوارب العجيب ، وهو المسمى بأسطول الجيب الذى ينطلق فى الماء كما تنطلق قنابل الطوربيد تأتى بالعجب العجاب ·

واختتم خطبته بالاشادة بنجاح الحملة ، وكيف أنها طهرت المناطق الموبوءة ، وهدمت قلاع السـدود ، وأقامت على أنقاضها الوحدات الصحية ، تصل بينها الطرق المعبدة...

وما ان انتهى من خطبتـه البليغة حتى دوت القـاعة بالتصفيق المتواصل ...

وكان وزير المناطق الجنوبية السبع قد غفا غفوة طويلة ، فراعته تلك الضجة ، فانتبه مذعورا يتساءل ، فلما أخبرته بالأمر أشرقت على وجهه المقبب ابتسامة رحيبة ، وانطلق يصفق فى حمية وحماس

وتكلم الرئيس فقال : ان حديث الزميل الكريم قد أثبت لكم أيها السـادة أن الجيوش ومعدات القتـال اذا حسن استخدامها وتوجيههاكان فضلها على الانسانية لا ينكر... وعلينا أن ندعم هـذه الفكرة ونعمم نشرها ، فهى ضمن برنامج السلام الدائم الذى نعمل على تحقيقه

وانتهت الجلسـة ، وفتحت الابواب ، فترك الأعضـاء مجالسهم وانتشروا فى الردهة الكبرى فرادى وزرافات ، وكان قد اجتمع فيها فوج من الصـحفيين ومن يهمهم أمر المؤتمر من السراة وكبار الموظفين...وأخذ الغلمان يدورون عليهم بأقداح القهوة وعلب اللفائف . وكانت «كليوبترة » تتوسـط حلقة تضم الرئيس و « زين السيوف باشـا » و « تيمورلنك » وبعض الوجهاء والصحفيين . على حين ظل « أنطونيو » واقفا عن كثب منهم يرنو الى « كليوبترة » بين حين وحين ... أما العالم الروحانى فقد انتبذ مكانا قصيا، يهيم فى أحلامه ، ثم اختفى من القاعة لا ندرى كيف زايلها، ومتى فارقها ...

ومال « زين السيوف باشا » على « تيمورلنك » قائلا :
ما رأيك فى هذه الحملة ؟

ــ حملة موفقة أصبت فيها نجاحا ملحوظا ...

أرغب فى أن أعلم رأيك الشخصى فى التقسيم الحربى للحملة والخطط الاستراتيجية والتكتيكية التى اتخذتها فى الهجوم على مناطق العدو ومحاصرته طلبا للتغلب عليه ٠٠٠

فجعل « تيمورلنك » يعبث بشاربه المتهدل على جانبى فمه هنيهة ثم قال :

أنت تعلم يا جنرال أن ليس لى رأى فى الحرب الآن ٠ انى أمقتها وأمقت أساليبها

ـ ولكنها لم تكن حملة حربية بالمعنى الصحيح للحرب ٠٠ انها حملة على الأوبئة والسدود ٠٠٠ اذا رغبت فى أن أعيرك هذه المستندات لتدرسها على مهل فعلت ٠٠٠

ـ فلنتركها لفرصة أخرى ٠٠٠

ـ كما تشاء ٠٠٠

وتقدم « أنطونيو » من « كليوبترة » فقال :

ما أطيب جو اليوم ٠٠٠

فقالت دون أن تلتفت اليه :

أليس لديك يا أنطونيو غير هذا تتحدث به الى ٠٠٠؟!

ـ أقصد أن الجو صالح للنزهة،ولاسيما بعد هذه الجلسة المرهقة

ـ لم تكن بالجلسة المرهقة ، ولكننى سأقصد على أية حال الى حلوان مع زين السيوف باشا برا بوعدى اياه ٠٠٠

ـ اذن أستطيع أن أطلب من كاتم السر أن يجهز لنا السيارة ٠٠٠

ـ ومالك ولهذه النزهة يا أنطونيو ؟

وتدانى الصحفيون منها ، وبدءوا فيض أسئلتهم ، واتسعت الحلقة ، فاجتذبت روادا جددا،واستفاض النقاش وتشابك ، واختلطت الاصوات فى شبه هرج وصخب ٠ ولكن ضحكات « كليوبترة » الرقيقة كانت تتسلل وسط تلك الزحمة المضطربة كالنغمة الصافية المنسجمة فتعيد

الهدوء الى نصـــابه · أما « تيمورلنك » فكان يتهادى بين الصفوف فيحييه الناس فى خشوع ، ويوسعون له الطريق فى اكبار ··· وبينما كنا على هذه الحال اذ تعالى الهتـاف فى الخارج ، فهرولت الى الشرفة ، فألفيت جموعا متـدفقة زحفت على الفنـــدق ترغب فى تحية الضيوف · فحدثت الرئيس فى ذلك · فعـــرض على الملكة أن تخرج لتطل على تلك الجموع ، فتمنعت معتذرة ، ولكنه استطاع أن يثنى من عزمها ، وانتقلت هيئة المؤتمر الى الشرفة حيث قابلها الجمع بالهتاف والتصفيق ، صائحين مرددين :

فليحى حماة الانسانية ، فليحى بناة المستقبل ، فليحى مؤتمر المدينة الفاضلة ···!

وما عتمنا أن سمعنا صوتا يقول :

وليحى ضيفانا العظيمان : الملـكة كليوبترة ، والأمير تيمورلنك ···

فردد الجمع نداءه فى جلجلة مدوية ··· وصاح صائح :

فلتحى كليوبترة الملـكة الفاتنـــة العظيـمة ، وليحى تيمورلنك القائد العظيم ···

فانطلق الجمع يردد النـــداء فى نشوة واندفاع ، وعاد الاعضاء الى البهو وآلات التصوير تحاصرهم وأضـــواؤها الخاطفة تلمع كالبروق فى اليوم الغائم ··· وتدفق الناس على القاعة ، واشتد الزحام حول «كليوبترة» و «تيمورلنك» وكانت الجموع تلاحقهما بنظرات الشغف والاعجـاب ··· وتعالى اللغط فكنا نسمع بين لحظة وأخرى همس قائل يقول: « يا لها من ملكة ساحرة ··· انها تبعث الفتنة والجـــلال حولها أينما خطت ! » وآخر يردد : « انظر اليه ··· يا له من قائد عظيم··· ان المهابة والعظمة لتتجليان فى كل حركة من حركاته ···! » ولم نلبث أن سمعنا ضجة جـديدة ، واقتحمت القاعة كشافة الهلال الابيض بموسيقاها، وارتفع

« نشيد الحرية والسلام » ينشده فى حماس واقبال أعضاء الكشافة على نغمات الموسيقى ··· وكان النشيد قويا يهز المشاعر بحماسته الحربية على الرغم مما يتضمنه من معانى الألفة والسلام·واشترك الجمع معأعضاء الكشافةينشدون، فاصبحت القاعة تتجاوب بالاصوات كأنها هزيم الرعود ·· ولمحت « تيمورلنك » وقد وقف وقفة صلبة والتمعتعيناه وهو يصغى الى النشيد ويساير بعض النغمات بيده ···

وانتهى النشيد ، فانطلقت الأكف تصفق بشـــدة ، ثم خفتت الاصوات ، ولكن الناس اشتد اقبالهم على القاعة فى هرج ومرج ، ورأيت « زين السيوف باشا » يأخـــذ بيد « كليوبترة » وينحيهـــا جانبا فيتبعها « تيمورلنك » ··· وانطلقوا يتسارون ··· ثم أقبل على «زين السيوف باشا» والقى الى بهذه الكلمات :

مرهم أن يأتوا بالسيارة الى الباب الخلفى ، لا تعلم أحدا برغبتنا فى الخروج ···

فمضيت أنفذ مشيئته وعدت عجـــلا ، فرأيت « زين السيوف باشا » يصطحب « كليوبترة» ، ويتسللان الى الممر الصغير ، هما و « تيمورلنك » ، وما أن لمحهم « أنطونيو » حتى هرع اليهم ··· وفيما كنـــا نمر أمام احـــدى المرايا الكبيرة ألفيت « كليوبترة » تترفق فى سيرها متمهلةوتلقى ببصرها على المرآة هنيهة ··· ثم ما لبثت أن حثت خطاها مستندة الى ذراع «زين السيوف باشا» وخلفها«تيمورلنك» و « أنطونيو » ··· وصـــعدوا فى السيارة متعجلين وأنا معهم ··· فانطلقت بنا الى معبد أبى الهول متخـــذة دروبا غير مألوفة ، وشملنا الصمت وقتـــا ، وكان « تيمورلنك » مستغرقا فى وجوم عجيب ، أما « كليوبترة » فكان وجهها متوهجا ووجنتاها متقدتين ···

وسمعت « زين السيوف باشــــا » يهمهم : انه ليــوم حافل ...!

فأجابتــه « كليوبترة » وهى تمسح وجهها بمنــــديلها الحريرى فى حركة يسودها بعض الاضطراب :

أخشى ألا أستطيع المكوث طويلا بينكم اذا استمرت على ذلك الحال ...

ـ لن يتكرر ما حدث ... سنتخذ اجراءات صـــارمة تضمن لك الراحة والهدوء ... كونى على ثقة من ذلك...

وتكلم « أنطونيو » يقول :

ان الجمهور لم ينس أن يهتف للجمال حين هتف للسلام والوئام !

فأجابته « كليوبترة » :

ان الجمهور يهرف بما لا يعرف ...!

وقال « زين السيوف باشا » : للجمهور عذره اذ هتف للفتنة والحسن،فالجمال يهز مشاعرنا على الرغم منا فيدفعنا الى تمجيده والتسبيح باسمه ...!

وقال « تيمورلنك » مغمغما :

ما الجمال الا مظهر من مظاهر السلام ، وداعية مندواعى المحبة والوئام ...

فغمغم « أنطونيو » وهو فى نشوة صوفية : لا يستطيع العالم أن يصل الى السلام الا اذا عرف الجمال فى معنـــاه الأسمى ومظهره الأعلى ...

ومال « زين السيوف باشا » على « تيمورلنك » يقول :

لم ينس الناس تيمورلنك الفاتح العظيم والقائد المغوار

فقال له وهو يحدق فى الفضاء : لقد خلعت هذا الثوب البالى منذ أحقاب طوال . سأجعل النـاس تذكرنى فاتحا لعهد السلام ، وقائدا لجيوش الخلاص التى تعمل فى سبيل انتشال الانسانية من وهدة العذاب

وخيم علينا الصمت مرة أخرى
ووقفت السيارة أمام معبد أبى الهول ، فنزلنا منها ...
واقبل « زين السيوف باشا » يقول للملكة :
اكبر ظنى أنك لم تنسى موعد اليوم يا مولاتى ... قهوة الاسكندر فى حلوان
ـ تستطيع أن تحضر الى بعد الغداء يا جنرال ... انى فى انتظارك ...
فانحنى على يدها يودعها قبلة التحية والشكر ، ولاحظت أن القبلة قد امتـد بها الوقت ، فسلت « كليوبترة » يدها بلطف من يد «زين السيوف باشا» وحيته بابتسامة رقيقة، واتجهت صوب باب المعبد
وفيما كان « زين السيوف باشـــا » خارجا وفى يده المستندات والمصورات الخاصة بحملته على البعوض والسدود، قال له « تيمورلنك » :
ما زلت تحمل هذه الاوراق؟أراك ستقتلها بحثا وآستيعابا
ـ لا حاجة لى بها الآن ... فاذا رأيت أن أعـيرك اياها لتتسلى بقراءتها ...
ـ انها ليست للتسلية بل للفائدة ... لقد ضمنتها آراء من خير الآراء نفعا للانسانية ...
ـ أشكر لك لطفك أيها الأمير ... أتأمر بأخذها ؟...
ـ لا أرفض لك مطلبا ... سأهتم بقراءتها ...
ـ وستدلى الى برأيك فيها ...
ـ لن أتأخر ما دمت على ذلك مصرا ...
ـ كل الاصرار ...!
ودعا « تيمورلنك » بالشاويش « ســيد متولى » وطلب منه أن يحتفظ برزمة المستندات ، ففعل
وصعد « زين السيوف باشا » فى سيارته
وعاد « تيمورلنك » فصادف « أنطونيو » يطوف حـول

المعبد ، فدنا منه وقال له : أتطول اقامتك بيننا يا قيصر ؟!
فنظر اليه « أنطونيو » نظرة فاحصة وغمغم :
أيضايقك وجودى أيها الأمير ؟
ـ كلا ، بل ثق أنى أرحب باقامتك ··· أنت منا ، وقد تفيدنا فى عملنا بما تسديه الينا من آراء ··· ولكن يبدو لى أن مقامنا فى هذه الدنيا عسير
ـ ولم ؟
ـ انى لأشعر ببعد الشقة بيننا وبين أناس هذا المجتمع ···!
ـ أنسيت يا صديقى أن مهمتكم التى جئتم من أجلها هى أن تقربوا هذه الشقة ، وأن ترسموا لهؤلاء الآدميين الخطة المثلى لحياة أعلى وأمجد ···
فجعل « تيمورلنك » يصعد ببصره هنيهة فى «أنطونيو» ثم همهم :
ثق بأننى سأحاول ذلك ما استطعت·والله المستعان···
ولم تحل الساعة الثالثة حتى وقفت أمام المعبد سيارة « زين السيوف باشا » فنزل منها ، فألفى « كليوبترة » فى انتظاره فى الردهة الكبرى ، يحيط بها « تيمورلنك » و «أنطونيو» ، وما أن وقع بصرها عليه حتى بادرته بقولها :
يحسن بنا أن نخرج توا الى النزهة ··· علينا أن نزور قبر الاسكندر وأن نجول بعض الوقت فى حلوان نتفرج
وصعدنا فى السيارة ، وركب « عبد العال » بجوار السائق ، وانطلقت بنا السيارة تعدو وقد اتخذت فى سيرها أقرب السبل الى حلوان مخترقة الصحراء من الغرب الى الشرق ، ووجهتها النيل فى الطريق المعبد الجديد الذى دعوه « طريق المستقبل » · ولم يكن ثمة ما يلفت النظر الا كثبان الرمل وبعض النخيل قائما فى شبه واحات صغيرة يحيط بها بعض المنازل الريفية الحديثة بطلائها الناصع···

ولم تستغرق السيارة فى طريقها طويلا من الوقت ، فلم يدر بيننا من الحديث الا كلمات متقطعة • وكان الجو صحوا ، والهواء طليقا يعبث بشعر « كليوبترة » فيزيدها فتنة وملاحة ، ولاحظت أن « زين السيوف باشا » يختلس النظر اليها بين وقت ووقت ، وكانت هى تحس نظراته ، ولكنها كانت تتغافل • أما « أنطونيو » فقد غرق فى شبه أحلام صوفية على حين كان «تيمورلنك» ينقل بصره فى الحاضرين• واشرفت السيارة على النيل ، وانتهت منه فجازت جسرا أسلمها الى طريق حلوان ، فسرنا فيه وقتا ، ثم تحولنا عنه الى شعاب ضيقة فى الصحراء ، متجافين قليلا عن النيل ، حتى طالعنا فى نهاية الطريق مبنى صغير على طراز رومانى فما كاد يبصره « زين السيوف باشا » حتى أشار اليه قائلا : لقد وصلنا •••

ووقفت السيارة أمام المبنى ، وألفينا غلام القهوة بالباب، فاستقبلنا فى ترحاب ممزوج بشىء من الفضول لغرابة ما يرى من الأزياء • وتركنا السيارة بالباب ، وفيها « عبد العال » مع السائق ، ودخلنا ندلف مخترقين الاعمدة الرومانية الى الداخل ، والغلام معنا يرشدنا • ووصلنا الى بهو صغير ذى شرفة واسعة تبصر النيل

••• وكان المبنى ساذجا ، فى بقعة تنأى عن العمران ، ولم يكن فى المكان أحد من الرواد حينما دخلناه ، فاتخذنا مجلسنا فى الشرفة ، وقال « زين السيوف باشا » لـ « كليوبترة » : ما رأيك فى المكان ؟••• أليس وفق هواك ؟••• هدوء شامل ••• منظر رائع ••• هواء طيب •••

فأجابته فى سهوم : حقا انه جميل •••!

وطلب « زين السيوف باشا » الشاى وبعض الكعك ، فما أسرع أن أحضر الغلام ما طلب ، وبدأ « زين السيوف

باشا » يصب الشاى ، ويوزع الكعك・وما هى الا هنيهات حتى أقبل على المكان بعض الرواد الاجانب ، وكانوا فتاتين فى صحبة شاب !・・・ وما كادوا يستقرون فى مجلسهم حتى ألفيناهم يكثرون من التطلع الينا ويسألون غلام القهوة عنا ، وما لبث الشاب أن ترك مقعده واتجه الى مائدتنا ، تلوح البشاشة على محياه ، وحنى رأسه أمام « كليوبترة » وهو يقول :

لتغفر لى سيدتى هذه الجرأة اذ تقدمت اليها دون دعوة أو استئذان ・ انه ليشرفنى أن أكون فى حضرة الملكة العظيمة كليوبترة ・・・ اسمحى لى أن أقدم نفسى・・・شارل مارتن، من رجال الفن الامريكى・・・هبطت القاهرة بالطائرة صباح اليوم آتيا من أمريكا فى مهمة فنية ・・・

ثم رأيناه قد التفت ينادى صاحبتيه・・・وهرعت الفتاتان مقبلتين على الملكة تصافحانها فى أدب ولباقة على الطريقة الامريكية الصريحة ・ وقدمهما « مارتن » بقوله :

الآنسة جانيت ، الآنسة فلورا ・・・ من فنانات الزى، قدمتا معى للاشتراك فى مهمتى الفنية

وسرعان ما وجدنا الثلاثة قد أخذوا مقاعدهم معنا دون كلفة ، وبدا على « كليوبترة » بادىء ذى بدء بعض الضيق، ولكنها حيت الضيوف بابتسامتها العذبة ・ ولاحت على « زين السيوف باشا » مظاهر الحيرة والارتباك ، وجعل ينقل بصره هنيهة بين الملكة والضيوف الامريكيين ・・・ ثم نهض مقطب الجبين وقد تطاول بقامته وانتفخ بصدره ، وقدم نفسه ورفاقه فى صوت أجش ، فما كاد يلفظ اسم « أنطونيو » حتى صاح الامريكى متهلل الوجه :

هالو مارك ・・・ لشد ما أنا سعيد بلقياك ・・・!

وشد على يده بحماس ، وتابع قوله : إنى كثير الاعجاب بك ・・・

والتفت الى الملكة يقول : يسرني أن أخبرك يا سيدتي التي استوعبت تاريخ جلالتك دراسة وتحليلا ..

فقالت « كليوبترة » : وكيف كان حكمك علي ؟!

ـ اني ممن يقدسون الحب ويعجبون بسير أبطاله ...

ـ أتعتقد أن كل ما قرأته صحيح ؟!

ـ لا يهمني أصحيح هو أم غير صحيح ؟... ولكني قرأته في شغف ... ولفرط اعجابي بشخصيتك الرائعة قدمت منذ عام على المسرح عرضا موسيقيا أظهرتك فيه على صورة مبتكرة لم يسبقني الى اظهارها أحد ... وقد فاز هذا العرض بالجائزة الأولى من « معهد أبولو الدولى »

فابتسمت الملكة قائلة :

ما كان أشوقني الى رؤية نفسي في هذا العرض ...!

ـ اذا سمحت الملكة فاني على استعداد لتقديم هذا العرض هنا في مصر ...!

ـ أشكر لك يا مستر مارتن ، بيد أنه يلوح لي أن هذه الفكرة لا محل لتنفيذها الآن ...

وقال « زين السيوف باشا » : لقد تفضلت الملكة بالهبوط الى دنيانا لتشترك في مؤتمر المدينة الفاضلة لا لتشغل نفسها بالعروض المسرحية ...

فقال « مارتن » : اني أعد الفكرة ـ على كل حال ـ سابقة لأوانها !

والفيناه ينادي الغلام ، ثم التفت الى «كليوبترة» وقال :

ألا تسعدني الملكة بأن أقدم لها كأسا من البراندي !

ولم ينتظر جواب « كليوبترة » بل أمر الغلام باحضار الشراب

وتكلمت الآنسة « جانيت » موجهة الحديث الى « أنطونيو » :

عذرا اذا قلت انه لم يكن يخطر ببالى أن أرى «أنطونيو» على هذه الصورة ...
فألقى عليها « أنطونيو » نظرة حالمة وقال :
كيف كنت تريديننى أن أكون ؟!
هـذه النظرات الوديعة ، وهذه القسمات الهادئة ، لم تكن فيما أظن من سمات أنطونيو القديم !
فقالت « كليوبترة » : أنسيت يا آنســـة أن ما ترينه الآن أمامك شـــخص من عالم الأرواح لا يمت بصلة الى أنطونيو ابن عالم الفناء ؟!
فقال « مارتن » : يسوءنى أن أعلم ذلك ، فان ما قرأته عن قيصر القديم ما يزال يملأ ذاكرتى بأخيلته العذبة ...!
وخرج « تيمورلنك » عن صمته الطويل بقوله موجهـا حديثه لـ « جانيت » :
وأى الشخصين تفضلين يا آنسة ... أنطونيو الغارق فى صفحات الماضى ، أم الماثل أمامك الساعة ...؟
فحدقت « جانيت » فى «أنطونيو » وقتا وهمت أن تتكلم فسبقتها رفيقتها « فلورا » تقول :
أما أنا فأفضل أنطونيو هذا ...
فلاحت على وجهه ابتسامة سانحة وهمهم : أشكر لك..!
وقال « تيمورلنك » :
ولكن ألا تبسطين لنا يا آنسة فلورا وجهة نظرك فى هذا التفضيل ؟!
فأسرعت « جانيت » تقول وهى تزجى ضحكة لينة :
ان فلورا شاعرة يروقها فى الرجل الخيال والاحلام ...
فقالت « كليوبترة » : وأنت ؟
ـ ليست لى شاعريتها المتدفقة . بيد أن الخيال والاحلام يضفيان على الشخصية صفات محببة ...
فقال « تيمورلنك » :

يلوح لى أن أنطونيو قدكسب الشوط من أولجولة···!
فتضاحكت الفتاتان · وطفق « أنطونيـو » ينقل بصره بينهما وبين « كليوبترة » ، فألفى الملكة تتكلف الابتسام
وأقبل الغلام بالشراب ، ورص الأقداح أمامنا
وألفيت « زين السيوف باشا » يعبث بالملعقة فى ضجر وتململ ···
وصب «مارتن» الشراب فى الأقداح ، ونهض وقد رفع كأسه يقول :
نشرب « نخب » الملكة ورفاقها الأمجاد
وجرع كأسه دفعة واحدة ، فالتمعت عيناه على الأثر · ورشف كل منا من كأسه رشـفة ، والتفت « مارتن » الى « تيمورلنك » وقال :
لا يروقنى كثيرا يا سـيدى منظر غطاء رأسك ، ذلك الطرطور المستطيل ، ولكن دعنى أسألك : كيفكنت تقبل على المعمعة وعلى رأسك هذا التل ···؟!
فأجاب « زين السيوف باشا » وقد تغضن جبينه : انه كان يحارب بسيفه لا بغطاء رأسه ، وكان عظيما فى ضرباته التى يكيلها للأعداء ···
وأجاب «تيمورلنك» هادىء الصوت والابتسامة ما زالت تتخايل على فمه :
لقد مضى زمن الحرب والضرب···والعالم اليوم يستقبل عهد سلام دائم ومحبة شاملة ···
وكان « أنطونيو » قد أفرغ كأسه ، فملأها « مارتن » له ، وملأ لنفسه كأسا ، وما أسرع أن صبها فى حلقه··· وقال ل « كليوبترة » وهو يضعالكأس على المائدة : ما رأيك يا سيدتى فى أن تأتى معى الى أمريكا بعد انتهاء المؤتمر ؟·· ان الناس ليتشوفون الى مرآك ··· أؤكد لك يا سـيدتى أنك تستطيعين أن تربحى فى الليلة الواحدة مليون دولار

فرمقه « زين السيوف باشا » بنظرة نكراء وغمغم :
ماذا تقول يا سيدى ؟!
وتابع « مارتن » قوله غير معنى بما سمع :
أؤكد لك أنك تربحين مليون دولار نظير ظهورك على المسرح عشر دقائق فقط ... أستطيع أن أتعاقد معك الساعة ...!
وزمجر « زين السيوف باشا » يقول :
أنسيت يا سيدى من تخاطب !
فقال « مارتن » : ليس من العدل يا جنرال أن تستأثروا بهذه الفتنة الرائعة ، وتحبسوها عن أعين الناس ... انها مغالاة فى الأثرة وحب النفس ...
وهمهم « تيمورلنك » يقول ل « مارتن » :
وكم تعطينى أنا نظير مثولى على المسرح فى بلدكم ؟!
فقال « مارتن » ، وقد أفرغ كأسا من البراندى فى حلقه :
ولا سنت واحد يا سيدى .. الا اذا كنت فى ركاب الملكة ...!
فندت من « أنطونيو » ضحكة عابثة ما كاد يطلقها حتى تمالك ، وقال :
أما أنا فأتطوع بالظهور على المسرح بجانب الملكة بلا أجر قل أو كثر !
وألقى « زين السيوف باشا » بنظرة خاطفة على ساعة معصمه وهو يزفر . ثم مال على « كليوبترة » يقول :
ألا ترين يا صاحبة الجلالة أن الوقت قد حان لزيارة قبر الاسكندر ؟
فأومأت اليه أن نعم ، ونهضت فنهضنا جميعا ...
وصاح « مارتن » يقول :
قبر الاسكندر ؟ قبر الاسكندر ؟ ... لقد حضرت لمشاهدته ... اذا سمحت الملكة سرنا معا ...

فنهض « زين السيوف باشا » وجعـــل يضرب الارض بقدميه ـ كحصان موثق يريد الفكاك ـ وهو يفسح المكان لخـــروج « كليوبترة » • أما هى فالتفتت الى « مارتن » واشارت اليه اشارة الموافقة •••

وما كادت «كليوبترة» تتهيأ للخروج حتىألفينا «مارتن» يقفز اليها ويأخذ بيدها ويسيربجانبها • وقد أقبل يتحدث اليها فى اهتمام • على حين رأينا « زين السيوف باشـــا » وقد وقف لحظة وقفة صلبة وعيناه تقدحان شررا • ونهض « أنطونيو » ، فأحاطت به الفتاتان ، وقد أخذتا بساعديه ، وسمعناه يقول : أرغب فى أن أعلم على وجه التأكيد أأنا اليوم أحسن منى فيما مضى ، أقصد فى الزمان الغابر ، أم كنت فيما مضى أحسن منى اليوم ؟•••

فأجابته « فلورا » : ثق أنك الآن رائع بديع •••!

فقال « أنطونيو » : ورأى الآنسة جانيت ؟

فقالت « جانيت » وهى ترجع فىضحكتها : ربما أفضل أنطونيو القديم

فأجابها : لست ظريفة يا صديقتى •••!

وانطلق الثلاثة يضحكون ، فالتفتت « كليوبترة » اليهم ولمحت فى عينيها بريق التأفف والاستنكار ، ولكنها تابعت سيرها مع « مارتن » ••• ورأيت « تيمورلنك » يأخذ بيد « زين السيوفباشا » ويسير خلف « أنطونيو » والفتاتين• أما أنا فكنت فى عقب الجمع ، وجعلت أرقب هـذا الموكب المبتكر وهو يتخايل بين الأعمدة الرومانية

وسألت الغلام عن قبر الاســـكندر ، فأخبرنى بأنه غير بعيد عن القهوة ••• وتطوع لمرافقتنا • فما ان دنونا من الباب الخارجى حتى هرعت الى الملكة وقلت لها : ان القبر غير بعيد من هنا ، فهل تفضلين أن نذهب اليه فى السيارة أو سيرا على الأقدام ؟

فآثرت أن نذهب راجلين ، فأعلنت الأمر للحاضرين وملت على « عبد العال » وكان واقفا بجوار البـــاب وقلت :

ألا تأتى معنا لزيارة قبر الاسكندر ؟

فغمغم : مالى ولقبور الموتى ٠٠٠؟

فجذبته من يده وسرت به وأنا أردد :

انها فرصة يجب ألا تضيعها ٠٠٠

وسار الجمع يتقدمه غلام القهوة٠٠وألفيت «زين السيوف باشا » يتســلل من « تيمورلنك » ويلحق بـ « كليوبترة » فيسير على جانبها الأيسر

وانحدرنا على الشاطىء فى طريق رملى نظيف معبـــد ، وكانت أشعة الشمس المائلة نحو المغيب تتلألأ فى لونها الاحمر القانى على صفحة النيل الهادئة والجو رخى النسمات، والمراكب منتشرة على الماء بقلاعها البيض العريضـــة رائحة غادية تحيى الكون بأناشيدها الفطرية العذبة ، والنخيـــل قائما على حافتى النيل يتمايل سعفه فى بطء وجلال،ويبعث لنا بين الحين والحين بهمساته اللطاف ٠٠٠

ووقفت «كليوبترة » تسرح الطرف حولها صامتة والجمع فى سكون ٠ ثم سمعت « أنطونيو » يهينم : لم يتغير شىء فى هذا الوادى الوديع منذ تركناه٠٠٠كأنى بالزمن قد عاد القهقرى مئات الأعوام ٠٠٠

ورنا الى « كليوبترة » ، وقال : أتذكرين ٠٠٠؟

وتلاقت نظراتهما فترة ٠٠٠ وتقــدم « تيمورلنك » من الملكة يقول :

ان أنطونيو يزعم أن مصر كما كانت منذ آلاف السنين ، لم يعترها أى تغيير ٠٠٠

فمسحت « كليوبترة » بيدها على جبهتها ، وآعتدلت فى وقفتهـــا وقالت فى لهجة متئدة : لن يثبت شىء على حال

واحدة ... كل أمر مصيره للتبدل والتغير ...
وقال «زين السيوف باشا» وهو يفتل شاربه : ان مصر اليوم غيرها بالأمس ... انها تســـاير الزمن وتخطو مع الحضارة خطواتها الجبارة
فعقد « مارتن » ساعديه على صدره ، ووقف يتأمل قرص الشمس الوهاج وهو يتخايل خلف النخيل وقال : ان مصرك يا سيدى الجنرال هى هى لم تتغير ولن تتغير . أما ما تزعمه من أنها نالت قسطا من الحضارة ، فما هــذه الحضارة التى نالتها الا طلاء سطحى رقيق لم ينفذ الى الجوهر ...
فعقد « زين السيوف باشا » حاجبيه وقال :
أتزعم يا سيدى أن مصر ما زالت على الفطرة ، وأنهــا لا تساير الحضارة الجديدة ...؟
فقال « تيمورلنك » :
هون عليك يا جنرال ... انك اذا سألت مستر مارتن عن أمريكا نفسها وعلاقتها بالحضــارة الجديدة فانه يجيبك بمثل ما أجابك به عن مصر ...!
وقالت « كليوبترة » :
أتزعمون اذن أن جوهر الشىء لا يتغير مهما تبدلت الاحوال وتقدم الزمن ؟ انه لخطأ ظاهر أن نعتقد ببقاء الشىء على حاله أبد الدهر !
فأجاب « أنطونيو » : ان جوهر النفس الأصيل لن يتغير أبداً ... انه والعاطفة الصادقة سواء ... خذوا مثلا عاطفة الحب ... الحب الروحانى الطاهر ... الحب الصادق العظيم ... انه دائم دوام الأزل ... انه ...
وتحركت « كليوبترة » تقول :
أخشى أن يغشانا الظلام ولما نزر قبر الاســكندر ... هيوا يا رفاق ...
وسارت وسرنا معها ... وألفى « أنطونيو » نفسه بين

فتاتيه تحثانه على المسير ... وما ان خطونا بضع خطوات حتى التقينا فى الطريق ببعض فتيات من بنات البلد يتلففن بالملاءات ، وينتقبن بالبراقع ، ويتخذن العصـــائب الملونة المبرقشـــة على الجبـاه . فوقفت « كليوبترة » ترقبهن فى إهتمام . وصاح « مارتن » يقول : حقا انه لمنظر خلاب... انى مستعد أن أدفع خمسمائة دولار لكل فتاة لقاء ظهورها فى عرض موسيقى على المسرح ...

فدنا « عبد العال » من « مارتن » يقول :

وأنا يا سيدى .. ألا تجدنى صالحا للظهور فى«عرضك» الموسيقى ؟!

فرنا اليه « مارتن » يتفحصه ثم قال :

ان لك وجها معبرا ... ثق أنى لن أنساك عند الحاجة

ــ أطال الله عمرك ...!

فقالت « كليوبترة » لـ « عبد العال » :

وهل ترضى أن تعرض على المسرح نفسك ؟!

فأجاب على البداهة : ولم لا يا ســيدتى ؟... المسألة كسب وارتزاق ...!

وقالت « جانيت » وهى تشير الى الفتيات البلديات :

سأعمل على أن أتخذ من هذه الازياء زيا مبتكرا أشيعه فى أمريكا ...

وقالت « فلورا » : انى لجد معجبة بعصائبهن المبرقشـة التى يدرنها على جباههن ... سأتخذ من هـذه العصائب نوع قبعة طريفة تتحدث بجمالها أمريكا كلها ...

وأخذت أشباح الفتيــات البلديات تبتعد وتتزايل ... وتابعنا السير الى المقبرة ... ولم يطل بنا المســير حتى ألفينا أنفسنا أمام فجوة مسورة ، فما أن أشرفنا عليها حتى وجدنا درجا صخريا يفضى الى باب ... وهبط الغلام الى حارس المقبرة الماثل بجوارالمدخل يحدثه فى شأننا ، فهرع

الينا يرحب بنا ويعد تذاكر الدخول ...
وهمهم «عبد العال» : بالله عليكم لا تأخذوا لى تذكرة..!
فالتفتت اليه « كليوبترة » تقول :
ألا تريد أن تزور قبر الاسكندر ؟!
ـ انى أكره زيارة القبور يا سيدتى ...!
ـ ولم ...؟
ـ سأشبع من القبر بعد قليل ، فلم العجلة ؟!
فضرب « مارتن » بيده على كتف « عبد العال » وقال :
انها « بروفة » دفن يا صاحبى ...!
ـ وهل ترى أن أجلى قد دنا ؟!
وقالت « كليوبترة » : أتخشى الموت يا عبد العال ؟!
فهرش « عبد العال » رأسه هنيهة ثم قال :
وأنت يا سيدتى ... ألا تخشينه ؟
فرنت اليه صامتة برهة وهى تبتسم ، ثم قالت :
ان الموت ليس بالشىء المفزع المخيف كما تتوهم...اذا رغبت فى أن تتخلص من وساوسه التى تبعث على الخوف فعليك بمصادقته ...
ـ أصادق الموت ؟... أتريديننى على أن أقطع صلتى بالحياة وأنا فيها ...! فتقدم « تيمورلنك » وربت كتف « عبد العال » وقال :
مصادقة الموت يا صديقى لا تقطع صلتك بالحياة ولا تبعدك عنها ، مصادقة الموت تدفعك لأن تتعرف الحياة على حقيقتها ، ومن ثم يتوضح لك طريق السعادة ...
فصاح « مارتن » مقهقها :
اذا تمرنت على الموت بين حين وحين ألفيته شيئا مألوفا غير بغيض !
وقدم الحارس التذاكر الينا ، فقال « عبد العال » :

الموت هو الموت ... بالله عليكم اتركونى ... سأنتظر هنا حتى تخرجوا !

وهبطت « كليوبترة » الدرج ونحن خلفها ، وفتح الحارس باب المقبرة ، وتقدمنا وقد أشعل شمعة فى يده ، ودخلنا فاذا بنا فى دهليز ضيق منحدر بسقف منخفض يكاد يلامس رءوسنا ، وانتهى بنا السير الى ردهة ليست متسعة، خالية من النوافذ ، يتوسطها ناووس مصرى من الصخر الاسود اللامع يحيط به سياج حديث الصنع ... وكان الناووس فاخرا تحليه بعض النقوش المصرية وقليل من الرموز الهيروغليفية والاغريقية ، ووقفنا حوله نتأمله صامتين ...

وهمهم « زين السيوف باشا » :

لقد أحسنوا صنعا بوضع الاسكندر فى تابوت مصرى أصيل ...

فقال « مارتن » :

يقولون ان الكهنة توجته فرعونا على مصر وجعلت منه ابنا لآمون ...

وانطلق الحارس فى ثرثرة فياضة يفسر لنا الرموز ويروى لنا خليطا من تاريخ الاسكندر ، وكان يتحدث فى سرعة بالغة كأنه يلقى درسا محفوظا . ولكن نغمة صوته كانت راتبة تبعث على الملل والضيق . وصاح « مارتن » أخيرا

أين العظام ...؟ نريد أن نرى العظام ... !

فقادنا الحارس الى حجرة فى الداخل أكثر ضيقا من الردهة ، قائم فى أحد أركانها صندوق زجاجى على حامل مذهب يحوى كومة من عظام أو بقايا عظام ...

وهينمت « كليوبترة » تقول :

انه من المؤلم أن يعرضوا رفات الراحلين من الملوك على هذه الحال

فقال « مارتن » : ليس بالثابت أن تكون هذه عظـــام الاسكندر ••• !

فقال « زين السيوف باشا » : اذن عظـــــام من تكون يا سيدى ؟ !

ـ أكبر الظن أنها عظام بعض الحيوانات المنقرضة !

ـ أتفهم ما تقول يا سيدى ••• ؟ ان الطفل ليستطيع ان يميز بين عظام الحيوان وعظام الانسان •••

ـ بل ان أكبر عالم قد لا يستطيع هذا التمييز ••• ان علم الانثروبولوجيا أثبت أن التشابه تام بين هيكل الانسان وهيكل الحيوان

ـ هذر ما تقول ••• هذر ما تقول ••• !

وسمعنا « جانيت » تقول وقد اندفعت تمسح وجههـــا بمنديلها وتروحه :

يا لله ••• كيف استطاع الاسكندر أن يقضى فى هـــذا المكان الخانق تلك الأعصر المتتابعة ••• ؟ !

وندت من « فلورا » صيحة وقالت :

لا ••• لا أستطيع المكوث ••• لا أستطيع ••

واستندت الى ذراع «أنطونيو» فخرج بها ومعه «جانيت»

وأقبل « زين السيوف باشا » على « كليوبترة » يقول :

ألا ترغبين في مغادرة المكان ••• ؟ !

فأجابته وهى تشيع بنظرتها « أنطونيو » ورفيقتيه :

أريد أن أعلم أعظام الاسكندر هذه حقا ••• ؟ !

وأخذ وجههـــا يحتقـــن ويتصبب عرقا ••• فالتفت « زين السيوف باشا » الى الحارس صائحا : أليس عندكم مراوح ••• ؟ !

ووقف الحارس مشدوها لا يجيب • ووجه «زين السيوف باشا » كلامه لـ « كليوبترة » قائلا : يؤلمنى ألا يكون فى

المقبرة من وسائل الراحة العصرية ما يخفف عنك هـــذه المتاعب ...

فقال « مارتن » على الفور : ان المقبرة على هذه الصورة لا ينقصها شيء ... انها محتفظة بطابعها الاصيل ...

فقال « زين السيوف باشا » : لابد من وضع آلة لتكييف الهواء ...

فقال « مارتن » : اذن لفسد الأمر كله ...

وبدا العرق غزيرا على جبين « كليوبترة » وازداد احتقان وجهها واضطراب تنفسها ...

وصاح « زين السيوف باشا » بالحارس : أين المراوح يا رجل ... ؟ !

فأجاب الرجل فى حيرة وارتباك : سأزود المقبرة بكل ما تريدون ... اذا أتيتم مرة أخـــرى وجدتم المكان وفق المرام ...

وتلفت حولى لأرى ما يفعل « تيمورلنك » فلم أجده ...

وهمهم « مارتن » للحارس : ولا تنس من فضلك الثلاجة الكهربية وزجاجات الويسكى والصودا و ...

ووثب « زين السيوف باشا » صائحا فى وجه الحارس: أيها الحيوان ... أريد أن تحضر لى مراوح فى الحال...

وخرج الحارس يعدو بالشمعة و « زين السيوف باشا » فى أثره ، ولفنا الظلام فى شملته ... وسمعت « مارتن » يقول فى صوت رقيق لـ « كليوبترة » :

هاتى يدك ... لا تخشى شيئا ... اعتمدى على ذراعى ... هكذا ...

وشعرت بهما يتحركان ، وأخـــذت أتلمس طريقى فى الظلام خلفهما . ودلفنا الى ردهة الناووس فوجدناها أقل حلوكة من « حجرة العظام » اذ كانت فلول أشعة الشمس الغاربة ما زالت تضطرب فيها . وأقبل علينا «زين السيوف

باشا » وبيده خوصة عريضة على شـــكل مروحة ، وقال لـ « كليوبترة » وهو يروح وجهها : عذرا يا سيدتى ••• لم اجد غير هذه •••

فقال « مارتن » : نحن فى حاجة الى شمعة أو عود من الثقاب يا سيدى •••

فلم يجبه « زين السيوف باشا » بل تابع ترويحه وهو يقول لـ « كليوبترة » :

انى آســف يا مولاتى اذ أزعجت خاطرك بهذه الزيارة المضنية •••

ـ ليس ثمة ما يوجب الأسف يا سيدى ••• انى شاكرة لك لطفك •••

وخرجنا من الدهليز فاستقبلنا الهـــواء المنعش ••• ولمحت « تيمورلنك » واقفا مع « عبد العـــال » على رأس الفجوة يطـــارحه الحديث ، وصـــعدنا الدرج ، وقالت « كليوبترة » لـ « مارتن » : أشكر لك جميل عنايتك •••

ـ أنا فى خدمة سيدتى دائما •••

وتلفتت « كليوبترة » حولها وهى تقول :

لقد حان موعد الأوبة ••• ولكننى لا أرى أنطونيو •••

وصاح « تيمورلنك » ينادى : يا قيصر•••يا قيصر••• أين أنت •••؟

وهمهمت « كليوبترة » : انه سـيعطلنا ••• سأتركه حتما •••

وظهر « أنطونيو » من خلف كثيب،وعن جانبيه الغادتان يحمل لهما مرآة • وكلتاهما منهمكة تتزين وتتعطر

وصاح « زين السيوف باشا » : لقد أزف موعد الرجوع ••• هلم ••• !

وترك « أنطونيو » المرآة للفتاتين وهرع الى « كليوبترة» فعاجلته بقولها :

حقا انك مجرد من الذوق ••• ان ضيفتينا لم تستكملا زينتهما بعد •••

فغمغم « أنطونيو » وقد خفض بصره : عفوك ••• عفوك كليوبترة •••

فعقدت « كليوبترة » ما بين حاجبيها وقالت : ماذا تريد أن تقول ؟

ــ لا يتبادر الى ذهنك أننى •••

فقاطعته قائلة : قلت لك عد الى ضيفتيك ••• ولا تكن طفلا •••

والتفتت الى تقول : ادع لنا بالسيارة •••

فحثثت خطاى الى القهوة مصطحبا « عبد العال » ، وعدنا وشيكا بسيارتنا تتبعها سيارة « مارتن » ، فألفيت الغادتين تستوفيان زينتهما فى ناحية ومعهما « مارتن » يتحدث اليهما • أما « كليوبترة » فكانت ترقب الشمس الغاربة صلبة الملامح صامتة ، تصغى الى أناشيد الملاحين، يرددونها فى عرض النيل ، وعن كثب من الملكة « أنطونيو » واقف يرنو اليها • أما « تيمورلنك » فكان جالسا على كثيب وبيده عصا يعبث بها فى الرمل • وأمامه « زين السيوف باشا » يروح ويجيء عليه سيماء الاهتياج ••• ورأيت « أنطونيو » يدنو من « كليوبترة » مترفقا ، وسمعتها تقول له : دعني، لا تقطع على تأملاتي ••• !

ولما أحست بحضور السيارة تهيأت للركوب ، فاقترب منها «مارتن» وهو يقول : أأطمع فى لقائك غدا ياسيدتى؟!

فأجابته « كليوبترة » :

ــ لا أدرى على وجه التحقيق ، فقد تعوقنى أعمال المؤتمر

ــ اذن بعد غد ••• ؟

ــ أرجو ••• ولندع الأمر للمناسبات ••• انى سعيدة بالتعرف اليك •••

ثم حيته فى أدب ، وكذلك حيت صاحبتيــــه ، وارتقت سيارتها ، وتبعناها أنا و « أنطونيو » و « تيمـــورلنك » و « زين السيوف باشا » ••• واقتعد « عبد العال » مقعده جوار السائق ، ومضت السيارة والصمت يخيم علينـــا ، وما أسرع أن عبرنا النهر عائدين أدراجنا ، وكان النسيم يهب علينا فيعبث بشعر « كليوبترة » فتصففه • ولاحظت أن « زين السيوف باشا » قلق يرصد فرصة للتحدث ، وقد تحيل لذلك فأعيته الحيل •••! اذ كان يكثر من التنحنح ، ومسح وجهه بالمنديل، ولا يفتر عن فتل شاربه فى الحاح• ولما طال الصمت ، وجدته يصيح بى دفعة واحدة يقول :

يا حضرة السكرتير ، ألا تخبرنا بجدول أعمال المؤتمــر غدا ••• ؟

فأخذت ، وغمغمت قائلا :

سيبدأ المؤتمر وضع المواد الأولى فى ميثاق « المدينـــة الفاضلة » •••

ــ قبل أن يفرغوا من درس تقريرى عن الملاريا والتعليق عليه بما يعن لهم من آراء ••• ؟ !

فقال « تيمورلنك » :

يجب الانتهاء أولا من تقريرك ، وسأدلى برأيى فيه غدا

ــ انى شيق الى معرفة ملاحظاتك القيمة فى هذا الصدد

وكانت هذه فرصة لاندفاع « زين السيوف باشا » فى حديثه عما فعله فى مكافحة البعوض والقضاء على السدود فى أعالى النيل •••

ووجدت « كليوبترة » تخرج شيئا عن صمتها وتشارك فى الحديث بتلطفها المعهود • أما « أنطونيو » فلم ينبس • وكان غارقا فى تيار من الأحلام ، وأخيرا بلغنا المعبــد : معبد أبى الهول ، وتركت « كليوبترة » السيارة ، وتتابعنا خلفها ، وخطا نحوها « أنطونيو » يقول :

ثقي يا كليوبترة أني راحل غدا ••• راحل الى مقـــرى السرمدى !
ـ لقد أخبرتك غير مرة يا أنطونيو أن أمـــرك بين يدى العالم الروحاني ، وكلتك اليه ونفضت منك يدى ••• !
ـ ما أحب أن تكونى على غضبى •••!
ـ اني عليك مشفقة •••
ـ سأرتحل ••• سأرتحل ••• على ذلك بنيت عزمى ، وانما يعنينى ألا يخامرك الظـــــن بأنى رفعت الى هاتين الأمريكيتين بصرى
ـ لا يعنينى الا شيء واحد ، هو أن تكون مثالا للخلق الفاضل ••• نحن هنا رموز المثل العليا والفضائل السامية
ـ أنا عند ظنك بى •••
وانحنى على يدها فقبلها ، ثم عاد الى الســـيارة فصعد فيها •••
والتفتت « كليوبترة » الى « زين السيوف باشا » تقول:
أتصحب أنطونيو الى قصر الورد يا جنرال ••• ؟ !
فأجابها من فوره والابتسامة تزهو على شفتيه :
اذا منحتنى فرصة قصيرة أجلس فيها اليك متحدثا فى برنامج أعمال المؤتمر غدا كنت لك شاكرا •••
ـ لا بأس ••• تفضل •••!
وتقدم منها « تيمورلنك » يقول : أما أنا فأذنى لى بالمصير الى المسجد•••بى شوق الى الصلاة أخلص اليها بنفسى•••
ـ أرجو لك ليلة هانئة •••
فحياها واتجه نحو السيارة ، وسمعته يصيح منـــاديا الشاويش « سيد متولى » ••• فهـــرول اليه • فقـــال « تيمورلنك » : لدينا عمل كبير يا سيد متولى هذه الليلة••
ـ أبرغب سيدى أن أجمع له الشحاذين لاطعامهم كليلة أمس •••؟

ـ سنطعم الليلة طائفة أخرى ••• ستجمع لى ماتستطيع ان تجمعه من شوارد الحيوان ••• أقصد القطط الضالة التى يطاردها الناس

وظهرت على وجه « سيد متولى » أمارات الدهشة ، وبادلنى أنا و « عبد العال » النظرات ، ثم قال بصوت المستسلم :

سأقوم بهذه المهمة كما يبغى سيدى

وصعد « تيمورلنك » وفى أثره « سيد متولى » ،وتحركت السيارة ، ودخلت « كليوبترة » المعبد مع « زين السيوف باشا » ، وجلسا فى الردهة ••• وسمعته يقول : أرجو ألا يكون هؤلاء الامريكيون قد أثقلوا عليك •••

فمطت شفتيها ، وقالت فى اهمال : كلا ، لقد كانوا سلوة على أية حال •••

ـ يحسب هؤلاء الأمريكيون أن فى استطاعتهم تطبيق نظرياتهم الغريبة فى أى صقع ومع أى ناس ••• ان همهم جمع المال وكفى ••• لقد كان ألمى شديدا حين تحدث هذا المسمى مارتن فى شأن العرض الذى أرادك على الاشتراك فيه ••• يحسبون أن فى مكنتهم شراء كل شىء بالدولارات

ـ أظنك لا تعارض يا جنرال اذا أدخلوا فى عروضهم الفنية هذه النماذج المصرية من صواحب الملاءات والعصائب والبراقع اللواتى مررن بنا فى طريق حلوان ••• الملاءات الهفهافة اللطاف ، والعصائب المبرقشة ، والبراقع المثقبة••

ـ ما أرى فى كل هذا الا تهريجا ولغوا باطلا •••

ـ ان نساءكم يبدون فى هذا الزى ملاحا •••!

ـ أترين ذلك ••• ؟

ـ ان لهذا البرقع الاسود أثره فى تجلية مفاتن العيون، فكأنها النجوم تتلألأ فى حواشى ليل دامس ••• !

ـ اسمحى لى يا سيدتى أن أصرح لك بأن هذا المنظر

لايروقنى ـ ان والدتى رحمها الله حينما كانت تريد تخويفى وكفى عن الصراخ لم تكن تفعل الا أن ترتدى ملاءة وبرقعا فأنكمش فى مكانى وأرد صوتى فى حلقى ...

فتضاحكت « كليوبترة » ثم قالت : على أية حال ... لا أرى هذه الملاءة والبرقع حجابا للمرأة كما يقال ، انما هما للمرأة زينة وفتنة ...

ـ زينة فيما يبدو ، ولكنها زينة مزيفة متكلفة ...

ـ يقولون ان الزينة المصنوعة لا بأس بها لاظهار مفاتن الجمال الطبيعى ...

ـ ان الجمال الطبيعى الحق لا يحتاج الى زخرف ...!

ـ أوافقك على هذا ... ولكنى أرى النـــــاس جميعا لا يقتنعون بهذا الرأى ، فمثلا اذا أخذنا نموذجين : الحقل والحديقة ، الأول نموذج الطبيعة بلا زينة مجلوبة ، والآخر نموذج الطبيعة التى مستها يد التجميل المصنوع . فأى النموذجين أملأ بعناصر الجمال وأدعى الى الافتتان ...؟

ـ أفضل جمال الحقل ، فانظرى الى ذلك الجدول الساذج يشق الارض متعرجا دون هندسة ولا تدبير ، ألا يبدو فى نظرنا أحسن من تلك القناة المحفورة خلال الحديقة بالمسطرة والفرجار ؟

فأرسلت « كليوبترة » ضحكة لطيفــة ، وهى تترشف قدح القهوة ، ثم قالت :

يا لك من شاعر يا جنرال .. ؟ !

فرنا اليها لحظة ، وقال فى صوت لين النبـــرات : من يستطيع ألا يكون شاعرا وهو بين يدى « كليوبترة » ملهمة القلب وموقظة الوجدان !

فحولت نظرها عن نظره ، وتشاغلت بقدح القهوة تضعه فى مكانه ، ثم قالت :

ولكنهم يقولون ان الطبيعة نفسـها تعمـــد الى الزينة

والزخرف لتبدو جميلة تجتذب الانظار . فالزهرة لا تبدو جميلة حقا الا بهذا التناسق والتآلف فى الشكل واللون والرائحة . ألا تسمى هذا زينة وزخرفا ...؟

ـ انه نوع من الزينة والزخرف لا ريب

ـ انهم يزعمون أن الزينة ليست من الكماليات فى الحياة ، بل هى عنصر أساسى فيها . انها مظهر من غريزة حفظ النوع ...

ـ حقا ... ؟

ـ خذ مثلا زينة الطيور ، فلولاها لما وقع بينها تجاذب وتحاب ، ولولا زينة الأزاهر لما أقبل عليها الفراش يمتص رحيقها ويتنقل بينها ليحمل بذور الحياة من زهر الى زهر ...!

ـ اذن فالزينة والتجمل على هذا الاعتبار يا سيدتى أساس التعاطف بين الكائنات ، أو بمعنى آخر أساس الحب ... اذا كان الأمر كذلك فليس لى أى اعتراض ، بل انى من محبذى التزين بلا قيد ولا شرط ...

فتضاحكت « كليوبترة » وقالت : على رسلك يا جنرال ... انها خواطر يموج بها الفكر ... من يدرى مبلغ الحقيقة فيها ؟...

ووقف « زين السيوف باشا » وقد انسرح يفكر ، ثم قال :

ولكن صبرا يا سيدتى ، لى سؤال هين في هذا الشأن ... ألا نعتبر الجمال فى المرأة الفاتنة زينة وزخرفا قد وهبتهما لها الطبيعة اجتذابا لأليفها ، عملا بسنة حفظ النوع ؟ فلماذا تلجأ اذن للزينة المصنوعة ...؟

ـ تلجأ للزينةالمصنوعة لتبرز بها ما أودعتها اياه الطبيعة من كوامن الحسن ، فتتجلى فتانة خلابة ...!

ـ كأن المـــرأة لا حد لأطماعها فى الظفـــر بافتتـــان الرجل ٠٠٠!
ـ قد يكون هذا صحيحا ٠ انهم يقولون ان المرأة لا حد لنزعتها فى اجتذاب القلوب ٠ وهذا يتفق مع الرأى القائل بأن ذلك مسايرة لسنة حفظ النوع
ـ اذن لقد انتهينا الى نتيجة واضـــحة ، اطلاق الحرية للمرأة فى التزين طوعا لحكم الطبيعة ولو كلف هذا الأمر خراب البيوت ٠٠٠ والأمر لله أولا وأخيرا ٠٠٠ !
فتضاحكت « كليوبترة » وقالت :
أحسبك متزوجا يا جنرال ٠٠٠
ـ لم أحظ بعد بهـــذا الشرف ٠٠٠ ولو تم لى ذلك لما توانيت فى الأخذ بهذا المبدأ ، على الأقل من باب الأثرة ، حفظا لنوعى !٠٠٠
ودقت الساعة فى هذا الوقت منتصف العاشرة ، فنهض « زين السيوف باشا » يقول : أخشى أن أكون قد أثقلت عليك بزيارتى ٠٠٠
ـ كلا ، بل انى لأجد لمجلسك متعة طريفة ٠٠٠
ـ أشكر لك هذا التلطف ٠٠٠ أظن أن الوقت قد حان لأن أتركك تنعمين من الراحة بقسط ٠٠٠
ـ يسرنى أن نستأنف الحديث فى فرصة أخرى ٠٠٠
ثم نهضت ، فنهض على أثرها « زين السيوف باشا » ، وسارت معه الى الباب فى خطوات رفيقة ، فقال لها :
أترغبين فى أن أصطحبك فى الغداة الى المؤتمر ٠٠٠ ؟
ـ يسرنى منك هذا الاهتمام ، سأنتظرك لنذهب معا٠٠٠
وانحنى على يدها يودعها قبلة عميقة ، ثم انصرف
وعادت « كليوبترة » فدنوت منها وقلت :
أثمة أوامر يا مولاتى ٠٠٠؟ !
ـ كلا ، أشكر لك !

فانحنيت محييا ، ومضيت من فورى ، وركبت احـدى السيارات مع « عبد العال » قاصدين منزلى • وفيما نحن فى الطريق وجدت « عبد العال » يستسلم للكرى كعادته ، فصحت به قائلا :

ما هذا الخمول يا عبد العال ! ؟

ففتح جفنيه وغمغم قائلا : أى خمول ؟ ألم نعمل ما فيه الكفاية اليوم ••• ؟ العمل متواصل صباح مساء •••ماذا تريد فوق هذا ؟

ـ ألا تعلم أننا نعمل فى أكبر مؤتمـــر عالمى ؟ يجب أن تعد نفسك لهذا الشأن الخطير !

ـ آمنا وصدقنا يا سيدى • وها نحـــن أولاء منتظرون ما سيأتينا على يديه من خير عميم • ألا تتركنى الآن أنعم ببعض الراحة ؟

وكان على أن أمر ببعض ذوى المكانة ممن زاروا المؤتمر ورحبوا بأعضائه لأترك لهم بطاقات الأعضـــاء • فما ان أنهيت هذه المهمة ووصلت الى دارى حتى ألفيت الشاويش « سيد متولى » واقفا بالباب وقفتـــه الصلبة المتحجرة ، فاستقبلنا بوجه باش وضحكات رنانة ، فبادرته بقولى :

ماذا فعلت يا سيد متولى ؟ !

ـ أنهيت عملى على خير ما يكون •••!

فقال « عبد العال » وهو يرسل تثاؤبة ضخمة :

ووليمة القطط الضالة •••؟ !

فقال « سيد متولى »: انتهت المسألة على أحسن وجه • وقد نجحت فى جمع طائفة ممتازة من القطط وأودعتها حنية من حنايا المسجد الخارجية ، فكان مواؤها العجيب المختلط يشق الفضاء ، ولم تهدأ حتى وزع عليها « تيمورلنـــك » أنصبتها من الثريد واللحم ، ولكنه لم ينـــج من شرها ، وخرج من الحنية مخموش اليدين والذراعين !•••

فقلت : وماذا فعلتم بعد وليمة القطط ؟

ـ أخذ الأمير تقرير « زين السيوف باشا » ومصوراته، ودخل حجرته ، وقال لى انه متعب ، وسينام مبكرا ، ثم أوصد الباب خلفه ، وقد سمحت لنفسى أن أختلس النظر من خصاص الباب فوجدته قد انبطح على الأرض ، وبسط أمامه التقرير والمصورات ، وأخذ يقرأ ويشير بالقلم ...

ودخلنا الدار ، وهرع « عبد العال » يعد لنفسه النعناع المغلى

وسرعان ما دق جرس المسرة ، فاذا رئيس المؤتمر يبلغنى أن جلسة الصباح تأجلت الى ما بعد الظهـــر ، اذ وصلت اشارة لاسلكية تقول ان مندوب البلاغة الدولية سيحضر ، وأمرنى باستقباله فى المطار ، وابلاغ الأعضاء هذا الخبر



صوت البلاغة الدولية

٢٣ يناير

استيقظت مبكرا ، وأبلغت معظم الأعضاء خبر تأجيل الجلسة ، وقصدت الى معبد أبى الهول للقاء « كليوبترة » واخبارها بهذا التأجيل، فما كدت أدخل حتى لقيتنى كبرى الوصيفات ، وقالت فى شىء من اللهفة :

ـ كدنا نطلبك ليلا بالتليفون ... !

ـ أجد أمر ... ؟

فدنت منى وهمست فى لهجة الاهتمام : ان كليوبترة طلبت مرآة !

ـ وهل وجدتم مرآة لائقة بمقامها ... ؟

ـ لم أجد أمامى الا مرآتى الصغيرة ، فقدمتها لها

وظهرت « كليوبترة » حينئذ،وراعنى أول ما راعنى منها حسن تنسيق شعرها وتصفيفه على وضع جديد ...ورأيت أنها أدارت حول رأسها عصابة صغيرة يدل مظهرها على التواضع ، ولكنها تعبر عن ذوق حسن

فحييتها ، وقلت على الأثر : أترغب مولاتى فى مرآة ؟

ـ كلا ، لقد وجدت فى مرآة الوصيفة غناء ، كانت عينى توجعنى ، فأردت أن أتبين ما بها ، وهل أصابتها حصاة من حصيات الصحراء ؟... طالما آذتنى رمال الصحراء فى الماضى ... !

وهنا سمعت جلجلة « زين السيوف باشا » وظهر شبحه المهيب وهو يقعقع بسلاحه ، ووقف أمام « كليوبترة » وقفته العسكرية ، وأدى لها تحية تجلت فيها روعة النظام، وما لبث أن انحنى على يدها مقبلا ، وسرعان ما قدم لها

صحبة أنيقة من الورد القانى، وقال : أتسمح مولاتى بقبول هذه الورود ٠٠٠؟

ـ انه لكرم نفس ونبل شعور منك يا جنرال ٠٠٠

وأقبلت تتفحصها فى اعجـــاب ، ثم نادت الوصيفة ، وناولتها اياها بعد أن أبقت فى يدها وردة منها متخيرة ، وقالت للوصيفة :

ضعى هذه الصحبة فى حجرتى ، وتعهديها بالسقيا

وطفقت « كليوبترة » تشم الزهرة وتتأملها ، فقـــال زين السيوف باشا » :

أتسمح لى مولاتى أن أقترح عليها شيئا ٠٠٠

ـ اقترح ما شئت ٠٠٠!

ـ انى لأعرف لهذه الوردة مكانا أليق من بقائهـــا فى يدك ٠٠٠

ـ أين تريد منى أن أضعها ؟

ـ أصلح مكان لها الجانب الأيسر من الرأس ٠٠٠

فتضاحكت ، وهى تعبث بالوردة فى يدها ، وقالت :

أتراك تدعونى الى الزينة والزخرف ٠٠٠؟

ـ اذا فعلت فلا حرج عليـــك يا سيدتى ، اذ انك لم تخرجي على النظام الذى رسمته لك الطبيعة٠٠٠ألا تذكرين مناقشة أمس ٠٠٠؟

فندت عن « كليوبترة » ضحكة لطيفة وقالت :

أنسيت أن قانون الطبيعة هذا لا يسرى علينا نحن سكان العالم العلوى ٠٠٠؟

ـ لكننا يا مولاتى الآن فى العالم الدنيوى ٠٠٠!

فتلاعبت « كليوبترة » بوردتها وقالت : هذا لا يغـــير شيئا ٠٠٠ انى أفضل أن أستمتع بالوردة فى يدى ، عـلى أن يستمتع بها غيرى فوق شعرى ٠٠٠!

ـ رأيك الأعلى ٠٠٠

وبعد لحظة أرسل الى رأسها نظرة ، ثم قال : ما أوحى الى بفكرة وضع الوردة فى شعرك الا ما راعنى من هـذه العصابة الرشيقة التى تزين رأسك

فقالت وقد غضت من بصرها :

ان الهواء يعبث بشعرى فيضايقنى ، ولهذا اتخذت تلك العصابة ...

والتفتت الى « كليوبترة » وقالت : متى يبدأ المؤتمـر جلسته ...؟

فأخبرتها بأنالجلسة ستعقد بعد الظهر، انتظارا لوصول مندوب البلاغة الدولية ، فقالت : اذن لا نبرح مكاننا حتى يحين الموعد

فقال « زين السيوف باشا » :

ـ اذا شاءت الملكة خرجنا نجـول جولة صغيرة للنزهة والتفرج ... !

ـ أين ؟ !

ـ لدى فكرة ... ألا ترغبين فى مشـاهدة مصر فى مظهرها الشرقى الصميم ...؟ !

ـ وأين يكون ذلك ؟ !

ـ فى « خان الخليلى » الجديد ... حى أقامه ولاة الأمور على أنقاض الحى التاريخى التليد ، وجعلوا منه شبه متحف لمصر الشرقية ، فهناك تجدين مخازن «بنتالسلطان» تحوى شتى الملابس الشرقية الأصيلة على اختلاف ضروبها،وهناك قهوة « السلطان قلاوون » ومطعم « المملوك الشارد » ينعم روادهما بألوان المشارب السائغة والمآكل الشهية

ـ وهل فى مخازن بنت السلطان الملاءات السـود والعصابات المزركشـة التى شهدنا النسـاء البلديات يلبسنها ؟

ـ تجدين كل شىء من هذا الطراز : الطرح الاسيوطية،

والأثواب المحلاوية ، والاخفاف المقصبة ، والخلاخيـــل والاساور

ـ انه لشيء طريف حقا ...

ـ أترغبين في الذهاب ؟

ـ من باب الفضول وعلى سبيل الاستطلاع ...

وأمسكت قليلا وهى تسرح بصرها أمامها ، وقالت :

ولكنى أفضل أن أقضى هذا الصباح فى جولة صحراوية حول أبى الهول

ـ كما تشائين ...

ـ فلنخرج اذن

وسارا الى البـــاب ، وتبعت أثرهما ، وسمعتها تقول لـ « زين السيوف باشا » :

ماذا سمعت عن أنطونيــــو ؟... أخشى أن يكون قد ضايقك ...

ـ لم يفعل شيئا يستحق الذكر ... لقد أوصلته أمس الى حجرته فى الفندق ، فأقسم ألا يبرحها الا الى المطـــار عائدا الى مستقره ، وطلب منى أن أستدعى له العـــالم الروحانى !

ـ انى راثية لحاله ...!

ـ الأفضل نقله بالحسنى الى العالم الآخر ...

وفيما نحن خارجون ألفينا « تيمورلنك » مقبلا وفي يده رزمة المصورات وأوراق التقرير الذىوضعه «زين السيوف باشا » وكان خلفه الشاويش « سيد متولى » ، فتبادلنـــا التحية . وقال « زين السيوف باشا » على الفور :

أرجو أن تكون قد درست التقـــرير وأدليت بآرائك الصائبة فيه ...

فقال « تيمورلنك » وهو يمسح شاربه :

انى لكبير الاعجاب بآرائك الموفقة فى خدمة الانسانية .

حقا انكم قد تملكتم زمام الأمر فى القضاء على السدود وابادة البعوض ...

وتلفت حوله ، ثم قال :

أنتم خارجون لحضور جلسة المؤتمر ... أليس كذلك ؟

فأبلغناه نبأ تأجيل جلسته الى ما بعد الظهر ... وأعلمناه أن « كليوبترة » و « زين السيوف باشا » ماضيان الى رحاب الصحراء يتنزهان ... فقال موجها اليهما الحديث : انى لكما رفيق ...

فقالت « كليوبترة » : يسرنا ذلك ...!

وساروا فى خطا هينة ، ومال « زين السيوف باشا » على « تيمورلنك » وقال : ما رأيك فى حركة تطويق المستنقعات بالدبابات والقلاع الطائرة ...؟ انها من ابتداعى ...!

ـ أهنئك ... حركة جد موفقة ... ألا تستخدمون المنجنيق الآن ...؟

فقال « زين السيوف باشا » : لقد حلت الدبابات محل هذه الآلة الحربية

فصمت « تيمورلنك » لحظة ، ثم قال : على أية حال يجب اتخاذ هذه الآلات الحربية لخير الانسانية ، وجعلها خاضعة لهذا الغرض

والتفتت «كليوبترة» الى وقالت : اذا حل موعد انصرافك لاستقبال مندوب البلاغة الدولية فلا تبطىء ...

ـ اذا أذنت مولاتى انصرفت الآن

ـ ما بدا لك فافعل ...

فحييت متأهبا للانصراف ، وسمعت « تيمورلنك » وقد أخذ بيد « زين السيوف باشا » يقول :

لى تعليق صغير على حركة الهجوم الخاطف على منطقة السدود ...

ـ انى شيق الى سماع رأيك
ـ الهجوم الخاطف له محاسنه ، بيد أن له مســـــاوىء كثيرة ...

فقالت « كليوبترة » وقد وقفت هنيهة تتلفت حولها :
انظرا ... ان للصحراء لروعة تتضـــاءل بجانبها أية روعة ...

وألفيت يدها تتعالى الى شعرها فتعنى بوضع الزهرة فى الجانب الأيسر من رأسها . ثم راحت تسوى شعرها وترتبه

▭

طوت بى السيارة الطريق طيا الى المطار ...

ومكثت هناك فى المشرب حتى حان موعد هبوط الطائرة، وما هى الا أن سمعنا أزيزا يملأ الجو ، فخرجت ومعى رجال المطار الى حيث أستقبل المندوب القادم . وهبطت الطائرة ، وألفينا الباب يفتح ، ويظهر منه رجل أعجف ضئيل مقوس الظهر ، ذو شارب أشيب مهدل، يرتدى حلة سوداء ، ويضع على رأسه شبه قلنسوة على لون الحلة . وكان يتوكأ عـلى عصا أبنوسية دقيقة الصنع يقيم بها أوده . وأظهر شىء فيه عينان تلتمعان كما تلتمع عيون القطط ، وكان يكرر قوله:

حافظوا على خزانة الكتب ... اعتنوا بنقلها ...

فقربت منه أحييه ، وقدمت له نفسى ، وقلت :

لقد جئت يا سيدى لأكون فى شرف اســــتقبالك وخدمتك ...

فأمسك بيدى يهزها فى ترحاب، وقد تطلق وجهه المغضن بابتسامة ، وقال :

اذن لى أن أكل اليك يا ولدى الاشراف على نقل خزانة الكتب ... لا شىء أثمن منها عندى ... انها تحوى آلافا

من المجلدات قضيت زهرة حياتي في جمعها واقتنائها

وأخذت بيده الى السيارة ، فصعد فيها معانيا بعض الجهد ، وما كاد يستقر في مجلسه حتى صاح : علي بالوسائد ... علي بالوسائد ...!

فلم أدر ماذا يقصد ، وتملكني شيء من الحيرة ، ولكني وجدت خادم المطار يهرول محتضنا وسائد شتى ، فما بلغ السيارة حتى أخذ يضعها حول الاستاذ فغدا كالطفل بين حشايا مهده ، وانبسطت أساريره وهمهم : بورك فيك يا ولدى ...!

والتفت الى قائلا : أين خزانة الكتب ؟ !

ـ سأشرف على نقلها من فورى ، وسآمرهم باحضار سيارة نقل كبيرة تقل الخزانة كاملة ...

ـ بل أريد أن أحملها معى فى هذه السيارة ... عليك احضارها ...

فتركت السيارة حيران ، لا أدرى كيف أحمل الى سيارة الركوب خزانة كتب تحوى آلاف المجلدات ، ولكني ماكدت أخطو لأتبين أمرها حتى ألفيت خادم المطار الذى جاء بالوسائد من قبل يحمل فى يديه حقيبتين ، فهرعت اليه أسأله : ان الاستاذ يطلب خزانة الكتب ...!

فقال : تلك هى فى يدى يا سيدى

ـ قلت لك خزانة الكتب ... ألا تفهم ؟ !

ـ ليس للاستاذ خزانة كتب غير هذه ...!

فرنوت اليه متعجبا وأنا أرمق الحقيبتين . ثم سرت معه الى السيارة فوضعناهما فى مستودعها الخلفى ... وخطا خادم المطار الى الاستاذ ، فقال له :

لقد تم وضع خزانة الكتب فى مستودع السيارة ...

فربت كتفه ، وقال له : بورك فيك يا ولدى ...

وصعدت فى السيارة ، وقلت للاستاذ على الأثر :

أيحوى الصندوقان يا سيدى الاستاذ جميع كتبك التى حدثتنى عنها ؟

فقال وهو يبتسم : سترى بعينك ما حوت ··· الى أين تذهب بى ؟ !

ـ الى قصر الورد ··· مثوى أعضاء المؤتمر

ـ أرغب فى مكان أستطيع العمل فيه بهدوء ···

ـ سنعد للاستاذ مكانا يضمن له ما يهفو اليه من راحة وطمأنينة ·· ·

وأخذت السيارة طريقها الى قصر الورد ، وكان الاستاذ مضطجعا بين وسائده يسبل جفنيه حينا كأنه قد أخذته سنة من النوم ، ولا يلبث أن يفتح عينيه متطلعا حواليه فى غير مبالاة مسترسلا فى حديث فياض ··· وقد أخبرنى بأنه دار حول الارض مرات ، وجاب البقاع النائية ، وذلك لحضور المؤتمرات ، والمشاركة فى الأبحاث اللغوية ، وقال فى بعض حديثه لى :

ان خزانة الكتب كانت رفيقتى أنى سرت وحيثما حللت

ولما وصلنا الى قصر الورد ، وطفت به الأبهاء والحجر ، ليختار مكانا يحل به لم يقع اختياره الا على غرفة البرج فى ذروة القصر · وكانت فسيحة طلقة الهواء ، فدخلها مغتبطا وهو يطل من نوافذها حيث تنبسط القاهرة تحت ناظريه، وقال وهو يرنو أمامه :

ما أروع هذه المآذن التى تتسامق نحو السـماء كأنها تريد أن تخلص من طينة الأرض وخطايا البشر ···ولكننى أراها صامتة ··· !

ـ تستطيع يا سيدى أن تستمع الى أذانها فى الصلوات الخمس ··· وفى مكنتك أن تدير المذياع ، فتسمع أنشودة الأذان واضحة

واستقر السيد فى غرفته بعد أن هيأتها له وفق هواه ، وجعل يتفقد الغرفة ليتخير للحقيبتين مكانا ملائما ، ووقع اختياره على ركن قريب من مقعده الفسيح ، فنقلتهما اليه، وما لبث أن فتحهما أمامى ، فشهدت عجبا : صفوفا من الكتب الصغيرة الاحجام ، مرتبة منسقة ، لجلودها الزاهية منظر أنيق • انتزع من بينها كتابا ليرينى اياه ، فراعنى منه ورقه الهفهاف الشفاف ، وخطه الدقيق الذى لا تتبين حروفه الا بالمجهــــر الخاص • وما لبث أن أعاد الكتاب الى مكانه ، وهو يقول : متى تبدءون جلسة المؤتمر ؟

ـ فى الساعة الثالثة •••

وتلفت الاستاذ حوله، وقال: أين الوسائد ؟ على بها•••

وأمرت على الفور أن يجيئوا بها من السيارة ، فأخذت أبسطها حوله وأرتبها خلفه ، ووجدته قد ترامى بينهــــا يستمتع بجلسة رخية هنية وأسبل جفنيه قائلا :

مرهم أن يحضروا لى قدحا من الشاى وقليلا من الكعك

ـ ألا يريد الاستاذ أن يتناول غداءه ••••؟

فغمغم قائلا : لقد تبلغت بشىء فى الطائرة ، وفيه غنية ••• ولكن لا بأس بأن تأمرهم بأن يحضروا لى أيضا قليلا من شرائح اللحم البقرى المثلج •••

ـ أهذا كل ما تأمر به يا سيدى ••••؟

ـ أجل ، شكرا لك •••

فهممت بالانصراف أنفذ طلبته ، فلاحقنى صوته يقول :

اذا أمرتهم بأن يحضروا صدردجاجة مشويا فلا بأس••• ولا تنس الجلاتين ••• الجلاتين المفروم المعالج بقليــــل من التوابل ••• ولا أرفض بعض الشطائر المنوعة •••

فلفت اليه بصرى ، وقلت : أمرك يا سيدى •••

ـ هذا كل شىء يا ولدى ••• حسبى هذا •••

ـ والحلوى ؟

ـ اذا كان لابد من الحلوى فقليل من مربى التـــوت ، وجانب من فطائر الفانيليا ...
ـ كل هذا ستراه بعد قليل ...
وفى منصرفى من حجرته ، صاح بى يقـــول : لا تنس لفائف التبغ الهافانى ...
ـ أمرك يا سيدى ...!
ـ أرجو أن تنبهنى حين يقرب موعد المؤتمـــر ، والآن يسعك أن تستريح ... وانى لشاكر لك أجزل الشكر...

▭

وفى تمام الساعة الثالثة كان الاعضاء كلهم فى الردهة الكبرى عن كثب من قاعة انعقاد المؤتمر . وكان أســـتاذ البلاغة الدولية بينهم يبادلهم التحـــايا فى ترحاب . وقد ارتدى لبوسا ناصع البياض ، ووضع على رأسه قلنسوة بيضاء كذلك ، ولم ينس أن يتوكأ على عصا عاجية ثمينة

وانطلق يفيض على المجتمعين حوله حديثـــا عن مؤتمر توحيد اللغات الذى تركه وقتا ليشهد مؤتمر القـــاهرة الحاضر ، ويشيد بذلك المجهود الرائع الذى بذله ذلك المؤتمر في وضع لغة مقتبسة من جميع اللغات ، وبما كان للاستاذ نفسه من أثر بالغ فى هذا الصدد ، وقال وهو يفرك احدى يديه بالاخرى وابتسامة الانتصار تترقرق على وجهه :

تستطيعون أن تطمئنوا بأن مشكلة اللغـــة الدولية قد حلت ، وأنه لن يكون فى المستقبل صعوبة فى التخـــاطب بين مختلف الأمم

ثم أخذ يسير متوكئا على عصاه فى مشية تتمثل فيهـــا الرزانة والاعتداد بالنفس

ودنا من « كليوبتـــرة » حيث كانت واقفة بجـــوار

« زين السيوف باشا » و « تيمورلنك » ، وقال لها فى ابتسامة خفيفة :

ان مولاتى الملكة قد كلفتنى جهدا ...

فقالت له « كليوبترة » والعجب آخذ منها : كيف ؟ !

ـ ان عندى لك خمسمائة جزازة كلها تعليقات واقتباسات من متناثر المراجع والمصادر المشهور منها وغير المشهور ، وقد جشمتنى هذه الجزازات متاعب فوق أن توصف ...

فتطلعت اليه قائلة : فى تاريخ حياتى ؟ !

ـ بل فى تحقيق اسمك « كليوبترة » : طريقة كتابته وصحة النطق به ...

فقال « زين السيوف باشا » : والى أية نتيجة وصلت فى تحقيق الاسم ؟ !

ـ وصلت الى نتائج تبعث على الدهشة ، وسأعرضها على الملكة فى الوقت المناسب ... وان بحثى لن يكمل الا حين أسجل فى بعض الاقراص الناطقة شتى النبرات التى يلفظ بها الاسم على وجهه الدقيق ...

فابتسمت « كليوبترة » ، وقالت : حقا انه لمجهود شاق ... وانى لشيقة الى أن أعرف كيف توصلتم الى أن تنطقوا اسمى نطقا صحيحا ...

فقال « زين السيوف باشا » موجها كلامه للاستاذ :

ان وجود الملكة سييسر عليك مهمتك ... فانها ستدلى اليك بالقول الفصل فى حقيقة النطق باسمها الكريم ...

فابتسم الاستاذ ابتسامة اشفاق وترفع ، وقال :

لا يهمنى يا سعادة الجنرال أن أعرف كيف ينطق اسم كليوبترة ويكتب ... ولكن يهمنى أن أعرف كيف يجب أن ينطق ويكتب على الوجه الصحيح . ان الكلمة لتظل تائهة حيرى مئات السنين تتناقلها الألسنة خطأ حتى يهيىء لها الله من يردها الى محجة الصواب ...

فتطلع « تيمورلنك » الى وجه الاستاذ ، وقال : حبذا أن تقوم بمثل هذا الذى قمت به لتعرف كيف ينطق اسمى نطقا أصيلا ...

ـ سنعالج هذه المسألة فى فرصة أخرى ...

ثم استدار على عقبيه ، وضرب الارض بعصاه بضع ضربات ، والتفت الى الجمع المحيط به يقول :

يا حضرات الاعضاء الأجلاء !... بعلم الاصوات وأصول اللغات تسنى لنا أن نصل الى حقائق باهرة فى ضبط الكلمات وتنغيم الألفاظ على النحو الصحيح . وستكون لى محاضرة فى هذا الشأن فى الوقت المناسب ...

ورن الجرس يؤذن بانعقاد الجلسة ، فتوافد الاعضاء يتهادون الى قاعة المؤتمر ... وسمعت « كليوبترة » تقول للعالم الروحانى وهما فى طريقهما الى القاعة :

لقد أعلمنى الجنرال زين السيوف باشا أن أنطونيو قد سجن نفسه فى حجرته لا يريمها ...

ـ لقد رأيته وتحدثت معه ... ان أمره غاية فى اليسر ... أنطونيو واقع فى أسر بعض الوساوس والأوهام الهينة ... ان مسألته بين يديك ، اذا أردت نقله الى العالم الآخر ...

فقاطعته قائلة :

بل مسألته بين يديك أنت يا سيدى الاستاذ ، فبماذا تشير ... ؟

ـ ان الحالة روحانية صرفة من النوع غير المعقد ...

ـ أرى أنه فى حاجة الى اشرافك وارشادك ... واجبك الأول اصلاح حاله ... انه فى درجة من ضعف الشخصية يرثى لها ...

واحتوت القاعة الاعضاء ، واتجه كل منهم الى مقعده ، أما مندوب البلاغة الدولية فقد أفردوا له فى صدر المنضدة

مقعدا خاصا واسعا ـ وفق اختياره ـ على مقربة من الرئيس، بعد أن أحاطوه بوثير الوسائد

وبعد لحظة قام الرئيس بوجهه العريض وبشرته الوردية، فحك بخنصره جلدة رأسه الاصلع بضع مرات ، ثم أعلن افتتاح الجلسة ، ثم استوى على كرسيه . وقبل أن يتكلم أحد سمع صوت مندوب البلاغة الدولية وهو مسترخ فى جلسته ، مطبق الاجفان ، يقول فى صوت متخاذل منغم :

ـ اقرأوا علينا البرنامج ...

فتقدمت قائلا : على هيئة المؤتمر أن تدون المادة الأولى من مواد السلام وحظر الحرب ...

فقام على الأثر وزير المناطق الجنوبية السبع ، فى جسمه المتكتل المبعثر ، وصاح بلهجة متتابعة متأتئا :

المسألة هينة ، ضعوا المادة على الوجه الآتى : « تمنع الحرب بتاتا » ... !

فقام « زين السيوف باشا » وقال :

هذا وضع مبتسر ، يجب أن يضاف اليه بعض الشرح

فتحرك مندوب البلاغة الدولية فى مقعده وصاح :

يجب أولا تحديد معنى كلمة « حرب » قبل صياغة المادة المطلوبة ...

فدق وزير المناطق الجنوبية بيده على المنضدة ، وقال :

الحرب هى الحرب ، ولا شىء غير الحرب !

فنهض العالم الروحانى ووقف وقفته المهيبة وشرع يخلل لحيته بأصابع يده ، وقال : أيها الزملاء الأجلاء ، ثمة نقطة أصيلة أرى أن نوفيها حقها أولا وهى : هل الانسان مسوق الى الحرب بدافع غريزى لا قبل له به ، أو أن الحرب حالة عارضة لا يصلها شىء بالغريزة الانسانية ...؟

فقال مندوب اتحاد أوربة الشمالية وهو يحاول تثبيت نظارته الفردية على حق عينه : لا جدال فى أن شهوة الحرب

لها صلة وثيقة بغريزة التسلط وحب البقاء • وانها لغريزة جبارة قوية •••

فقام مندوب اتحاد الشرق الأعلى ، وقال :

اذا كان الأمر كذلك فلا حيلة لنا فى الحرب • يجب الحد من شرورها ما دمنا غير مستطيعين اقتلاع شـــهوتها ••• علينا أن نبحث عما يجب القيام به للتخفيف من ويلاتها

فقال الرئيس وقد احتقن وجهه قليلا :

ولكن هذا يخالف المبدأ الذى أتينا من أجله وعقدنا له هذا المؤتمر • ان واجبنا الأول هو محو الحروب من ظهــر الأرض •••

فقال مندوب اتحاد الشرق الأعلى : اذن علينا أن نغير من طبيعة الانسان • علينا أن نستبدل بغــرائزه القديمة غرائز جديدة صالحة لعهد السلام الدائم الذى ننشده، فهل فى مستطاعنا استبدال الغرائز ••؟!

فقال « تيمورلنك » : يبدو لى أنه لزام علينا أن نستشير بعض العلماء العصريين المختصين فى علوم النفس والتشريح والغدد وما شابه ذلك •••

فقال وزير المناطق الجنوبية : أقترح احالة هذه النقطة الى لجنة دولية من فحول العلماء •••

فقال مندوب اتحاد أوربة الشمالية : اقتراح احالة هذه النقطة الى لجنة دولية يبدو فى الظاهر اقتراحا مجـــديا • ولكن علمتنا التجــارب أيها الاخوان أن اللجان ما هى فى الواقع الا أكبر مقبرة للمشروعات •••

فقال وزير المناطق الجنوبية وهو يتلعثم فى لهجة يبدو منها بعض مظاهر الاستياء : اذن عليك أيها الزميل المحترم أن تقدم اقتراحا آخر يحل لنا المشكلة •••

فقال مندوب اتحاد أوربة الشمالية : أرغب أن أصحح أولا ما قد تبادر لذهن الزميل المحترم وزير المناطق الجنوبية

من أنى أنتقص من قيمة اقتراحه ...
فنهض وزير المناطق الجنوبية وقد احمرت عيناه ، وقال: لم يتبادر الى ذهنى شيء من ذلك ألبتة ... وأريد اثبات ذلك فى محضر الجلسة ...
فقال الرئيس وقد انهال على جلدة رأسه الأصلع يحكها بخنصره : حسنا ... ليست ثمةمشكلة عويصة الحل ... أرى أن نأخذ برأى الزميل المحترم «تيمورلنك» فى استشارة جماعة من العلماء المختصين بالغرائز .. هذا هو لب المسألة
فنهض « زين السيوف باشا » وقد بسط قامته وأبرز صدره ، وقال : رأيى الضعيف فى هذا الموضوع أن استبدال غرائز بهذه الغرائز أمر من المحال تحقيقه
فقالت « كليوبترة » فى نغمة هادئة ، وهى تعبث بوردة فى يدها وتشمها بين حين وحين :
يقولون ان العلم الحديث يا جنرال يأتى لكم كل يوم بمعجزة تحير العقول ... قد يستطيع أن يفعل شيئا ...
فقال مندوب اتحاد أوربة الشمالية :
اذا استطاع العلم أن يتحكم فى الغرائز ويجعلها طوع ارادته . ترقبنا تطورا هائلا فى النفس البشرية والنظم الاجتماعية ...
فقال مندوب البلاغة الدولية وقد بدأ يتململ :
لتسمحوا لى أن أقول بأننا بعدنا عن الموضوع . يجب قبل كل شيء الفحص عن كلمة «حرب» من الناحية اللغوية. فاذا فعلنا ذلك استبان لكم كثير من النقط المستغلقة عليكم الآن ، وتم لكم معالجتها على أهون سبيل ...
فقال « زين السيوف باشا » غير معني بهذا القول :
اننا نتكلم يا حضرات الرصفاء الأجلاء عن تحويل الغرائز أو استبدالها ، وخاصة غريزة الحرب التى هى كما تعلمون غريزة حفظ النوع وبقاء الأصلح . ألا تعلمون أيها السادة

اى خطر عظيم يهدد البشرية اذا استطاع العلم يوما ، أن يسيطر على فعل الغرائز ؟٠٠ ان هذا نذير الفناء

فقال « تيمورلنك » وهو يصلح طرطوره ويبتسم :

يبدو لى أن الزميل المحترم يرغب فى ابقاء الحرب عاملا من عوامل حفظ النوع وبقاء الاصلح ٠٠٠

فعلا«زين السيوف باشا» بهامته ، وقال بصوت جهورى:

الحرب يجب أن تبقى ولكن فى دائرة محـــدودة ٠ انها لأكبر متنفس للانسان فى محيطه الراهن ٠ حيث بدأت شتى الأنظمة المصنوعة والقوانين الموضوعة تكبله بسلاسل من حديد ٠٠٠

فسرت همهمة بين الاعضاء واشتد اللغط ٠٠٠ وواصل « زين السيوف باشا » كلامه بصوته العــالى العريض :

الحرب ليست شرا محضا ، بل ان فيها كثيرا من الخير ، انها أكبر عملية من عمليات التطهير تقوم بها الطبيعة لخير البشر ٠ فيها غربلة وتصفية على نحو رائع جميل ٠ هى تجربة اجتماعية عظيمة يمتحن فيها الانسان امتحانا عسيرا، فاذا خرج منها سليما فقد أفاد فوائد لا يمكن أن يحققها من أية تجربة أخرى ٠ انها محنة ٠٠٠ ولكنها محنة تزكو فيها النفس ، وتزداد قوة ونشاطا ، ومضاء عزيمة ، واحتمالا للصعاب ، ومجابهة لأشد أخطار الحيـــاة ٠ انها الأتون الضخم الكبير الذى تنصهر فيه النفس البشرية ومبادئها ونظمها ونتاجها ، لتخرج نفسا جديدة بمبادىء أحســن ونظم أقوى ونتاج أكمل وأجدى ٠٠٠

فقال الرئيس ، وقد اندفع يحك جلدة رأسه بخنصره فى اهتياج شديد :

تستطيع الانسانية أن تحظى بكل هذه الفضائل المزعومة بطرق سلمية أخرى دون أن تفقد قطرة دم واحدة ، ودون أن تعتورها الويلات وتنصب عليها الآلام ٠٠٠

فصاح « زين السيوف باشا » وقد بسط ذراعيه :
وأين عنصر الفداء يا سيدى ؟ يجب أن نعطى لنستطيع أن نأخذ • يجب أن نبذل لنستطيع أن ننال الثمرة الشهية •••أما نيل الشيء دون بذل فذلك لغو باطل لا خير فيه•••

فعلت همهمة صاخبة فيها معارضة وفيها تحبيذ ، فجعل الرئيس يدق المائدة بيده ليحافظ على النظام •••

وهنا دخل « عبد العال » متسللا ، فناولنى بطاقة شخص يريد أن يواجه هيئة المؤتمر فى شأن خطـــير ، فأعلمت الرئيس بالخبر ، فنظر الى البطاقة هنيهــــة ، ثم قال : فليدخل •••

ووجه قوله الى الاعضاء فى صيحة مدوية :
ــ صمتا أيها الزملاء الأفاضل •• حضر زائر كريم يطلب الدخول ليعرض عليكم أمرا خطيرا

فهدأ اللغط ، وتطلع الحاضرون الى الباب •••

وبعد لحظة فتح باب القاعة على مصراعيه ، وظهر عملاق ضخم يرتدى المعطف الروسى السابغ ذا النطاق ، ويتحلى وجهه بلحية كثـــة ، وعلى رأسه القلبق الأســـود • وما ان اجتاز الباب حتى وقف وقفة عسكرية ، وأدى التحيـــة الرسمية لأعضاء المؤتمر فى شيء من الجلبـــــة ، وسمعنا الرئيس يقول :
ــ أقدم لحضراتكم زميلنا مندوب جمعية الرغيف الأسود الدولية •••

فحياه الاعضاء مرحبين بمقدمه • وأشار اليـــه الرئيس أن يأخذ مكانه بين الاعضاء • فجلس جلسة عليها مسحة الصلابة ، متعالى الصدر ، مرفوع الهامة ، باسطا منكبيه

وتكلم الرئيس قائلا : ان جمعية الرغيف الاسود ــ كما هو معلوم أيها الزملاء الأجلاء ــ قد أدت للانسانية خدمة جلى ، اذ وفقت الى حل أزمة الجوع فى ربوع العالم البشرى،

بما عرضته على الهيئات الدولية من مقترحات عملية جليلة الأثر ميسورة التنفيذ ، لو أخذ بها لما بقى على ظهر الأرض من جائع ... !

والتفت الى مندوب جمعية الرغيف الاسود ، وقال :

ـ هل نستطيع أن نقدم للسيد أية خدمة يشاء ...؟

فنهض المندوب بقامته العريضة الضخمة ، وقال لقدمت أيها السادة لأدعو أعضاء المؤتمر لحضور الحفلة الخيرية الكبرى لسباق الخيل التى تقيمها جمعيتنا مساء اليوم على ضوء المشاعل فى نادى المصباح الاخضر

فوقف مندوب اتحاد أوربة الشمالية ، بقامته النحيفة الفارعة ، وجعل يمسح نظارته الفردية ، وبعد أن تنحنح طويلا ، قال : يؤسفنى أن أقول أيها السادة الأجلاء ان المؤتمر بعيد كل البعد عن مثل هذه الحفلات التى يراد بها التسلية وتزجية أوقات الفراغ . ولا ريب أن المندوب المحترم لجمعية الرغيف الاسود يشكر على دعوته ، ولكن مهامنا الجسام تعوقنا عن انفاق الوقت فى ميدان سباق...

فقال مندوب جمعية الرغيف الاسود :

سيكون برنامج الحفلة عظيما ... تصوروا يا سادة أن ثلاثة آلاف مشعل ستضىء فى المكان . وستخرج الجياد يسابق بعضها بعضا فى ذلك الضوء الرائع ، ولا تنسوا انه سيكون هناك خمسمائة عازف موسيقى ، وألوان شتى من الرقص عند مختلف الأمم ، وألحان تمثل ضروب الاغانى الدولية ، وعشاء فاخر ، وبوكر وبكاراه ، وحلقات سمر ، وعرض جميل لجمعيات الكشافة فى جميع الدول . كل ذلك أقمناه فى سبيل غرض واحد ، هو مساعدة جمعية الرغيف الاسود على تحقيق غاياتها التى لا أجدنى بحاجة الى أن أزيدكم علما بها . انى أترك لكم حرية الرأى ...

ثم لم يلبث أن أدى تحية وداع رسمية مجلجلة ، ومضى

فى طريقه الى الباب ...

فقال العالم الروحانى وهو يمشط بأصابعه لحيته الشهباء : ليس لى أى اعتراض على مؤازرة هذه الجمعية فى مهمتها النبيلة . ولكن المعضلة هى أنه هل يجوز لهيئة المؤتمر أن ترتاد مثل هذه الحفلات ؟

فقال مندوب اتحاد الشرق الأعلى ، وهو يطرف بعينيه الضيقتين ، ويعبث بعثنونه الصغير : اذا تخلفت هيئة المؤتمر عن شهود هذه الحفلة فقد يؤول ذلك بقصد الزراية والاصغار لتلك الجمعية الموقرة ...

فقال وزير المناطق الجنوبية السبع ، وهو يلم شعثه : يحتمل الأمر أن يسبق ذلك الى بعض الافهام ، ولذلك يجب التروى فى الأمر ...

فقال العالم الروحانى : علينا أولا أن نستأنف النظر فى المادة الأولى ، لنفرغ من اقرارها

فقال مندوب البلاغة الدولية ، وهو على حاله مغمض الجفنين ، خافض الصوت ، منغم النبرات :

ـ يجب حصر الكلام في موضوع واحد ، فان التشعب يشتت الفكر . لم ننته بعد من كلمة « حرب » ما مدلولها ؟

وتعالى بصدره ، وصاح : على بخزانة الكتب ...

فأشرت الى « عبد العال » أن يحضرها

ثم قال «زين السيوف باشا» : يبدو لى أننا تكلمنا اليوم بما فيه الكفاية عن كلمة « حرب » ... فلنرجىء استكمال الموضوع الى فرصة أخرى . بيد أنى ألفت نظر الاعضاء الى أننا لم نبدأ بعد مناقشة « تقريرى » توطئة لاعتماده ... ان زميلنا الموقر « تيمورلنك » يريد التعليق على التقرير ، والموضوع ـ كما تعلمون ـ كيف أبدنا بعوض الملاريا وتغلبنا على السدود ...؟

وقام « تيمورلنك » وهو يمسح شاربه المهدل ، وقال :

هناك بعض نقط يجب ايضاحهـــا فيما يتعلق بالحرب الخاطفة فى تقرير الزميل المحترم « زين السيوف باشا »

وسمعنا وزير المنــاطق الجنوبية يقول : اذا حضرنا حفلة الرغيف الاسود ، فما هى مراسم الملابس ؟ !

واشتد صياح مندوب البلاغة ، وهو يقول : أين خزانة الكتب ••• ؟

فقال العالم الروحانى : أرى منعا للنزاع واختصـــارا للوقت أن تصاغ المادة الأولى للسلام على النحو الآتى ••• اكتب يا حضرة السكرتير •••

وقال وزير المناطق الجنوبية مقاطعا : هل يكون حضور تلك الحفلة بالأوسمة ؟

فقالت « كليوبترة » مجيبة : أفضل أن يكون الحضور دون أى مظهر من مظاهر الزينة ، انه عرض خيرى •••

وهمس « زين السيوف باشا » : عفوا يا مولاتى ، ان للمراسم حرمتها !

وقال مندوب البلاغة : قلت لكم يا حضرات الاعضـــاء الموقرين ، يجب أولا تركيز المناقشة وحصرها فى نقطـــة صغيرة ، أنتم تناقشون فى موضوع الملابس ، اذن فلنبحث مادة : لبس •••

وأخذ يصفق ويقول : أين خـــزانة الكتب •••؟ هاتوا الخزانة •••

وقامت على الأثر مناقشة مختلطة بين الاعضاء لم أستطع أن أتبين مذاهبها واتجاهاتها ، وغام الجو ، وتحمس بعض الاعضاء • وكان صوت مندوب البلاغة بين لحظة ولحظـــة يرتفع بقوله : أين الخزانة ؟ أحضروا الخزانة !

ثم رأيته يسترخى على كرسيه بين حشاياه ، وقد نال منه الاعياء كل منال ، وما زال يغمغم ويضرب احدى يديه بالأخرى طالبا الخزانة •••

وفيما كان الهرج والمرج بالغين أقصى درجة ، أشار الى رئيس المؤتمر ، فدنوت منـــه ، فهمس فى أذنى أن أعلن انفضاض الجلسة ، وأنها تستأنف فى الساعة الحادية عشرة من صباح غد ••• وعندما غادر الأعضاء القـــاعة لمحت « عبد العال » الحاجب واقفا بجوار الباب مستغرقا فى ضحك متواصل ، فقلت له :

ماذا يضحكك أيها الأبله ؟

ـ لا شىء يا سيدى ••• اننى أضحك من نفسى ••

ـ حسنا تفعل ••• !

فدنا منى وهمس فى أذنى قائلا : ان الجلسة كانت هادئة بالغة الهدوء ، وليس هذا بالكثير على أعضاء مؤتمر السلام!

ـ ان المؤتمرات لا تخلو من مثل ما وقع أيها الغبى !

ـ انى أحمد الله على هذه الغباوة •••

وعاد مسترسلا فى ضحكه ، فتركته منصرفا لشأنى

كانت الســـاعة الثامنة مســـــاء حينما أنفذت طلب «زين السيوف باشا» اعداد السيارة على باب المعبد، وبعد قليل خرجت « كليوبترة » يتبعها « زين السيوف باشا » وبجانبه « تيمورلنك »

أما « كليوبترة » فكانت فى ثوب من أثوابها الساذجة ، ولكنه كان أظهـــر أناقة من غيره ، وقد لاحظت أنها عنيت أكثر من ذى قبل بتصفيف شعرها وتطريتــــه بالعطر ، ورشقت فى رأسها وردة أنضر من وردة الصـــباح • وأما « زين السيوف باشا » فكان فى حلة رسمية بهية، تتزاحم على صدره ألوان الأوسمة •• وكان كل شىء فيه يبرق • وأما « تيمورلنك » فلم يتخذ ملبسا غير ملبسه المعهود

صعدت معهم فى السيارة ، ووجهتنا ميدان السباق حيث احتفال جمعية الرغيف الاسود الدولية ، وكان « عبد العال» فى مكانه بجوار السائق ، وعلى وجهه سيماء الضجر ، اذ

علم اننا سنقضى هزيعا من الليل فى هذا المكان الصاخب، وفى بعض الطريق تكلمت « كليوبترة » قائلة :

كنت أفضل الراحة فى المعبد هذا المساء !

فقال « زين السيوف باشا » :

قضاء ربع ساعة ليس بالجهد المرهق ٠٠٠ ثقى ان حضور الملكة مثل هذه الحفلة يعد رمزا كبيرا لمعنى سام سيقابل بالتقدير العظيم

فغمغم « تيمورلنك » قائلا : على كل حال لن أمكث أكثر من ربع ساعة ٠٠٠ ان لدى حفلة أهم من هذه سأقيمها فى مسجد السلطان حسن يحييها نخبة من القراء ، أريد أن أستمع الى ترتيلهم المبدع ٠٠٠ ان الشاويش « سيد متولى» سبقنى ليعد لهذه الحفلة عدتها ٠٠٠

فقال « زين السيوف باشا » : نعم ما صنعت ٠٠٠!

ثم انثنى يقول بعد هنيهة : كنت شيقا الى سماع رأيك فى الحرب الخاطفة أثناء جلسة اليوم ٠٠٠ ولكن النقاش لم يدع لك مجالا ٠٠٠

ــ رأيى أيها الجنرال المحترم يتلخص فى كلمة قصيرة : ان فى فكرة هذه الحرب ما ينافى الروح الانسانى ٠٠٠

ــ كيف ٠٠٠ ؟ !

ــ المباغتة والخفية أساس لهذه الحرب ٠ وبمعنى آخر انك تصطنع أسلوبا غير صريح فى مقاتلة عدوك ٠٠٠

ــ الحرب خدعة ٠٠٠!

ــ وأين الشجاعة اذن ؟٠٠٠ ان الغلبة علىأساس المباغتة والمخاتلة ليس فيها ما يدل على قدرة وسطوة ٠٠٠

وانطلق الرجلان يناقشان، و « كليوبترة » تصغى اليهما وسمعت « تيمورلنك » فى النهاية يقول :

لا تنس يا جنرال أننا نريد على كل حال أن تكون الحرب فى أى مظهر من مظاهرها حاملة طابع الانسانية والرفق ،

أى أنها تسمو وتنبل ...

وكنا قد أشرفنا على ميدان السباق فرأينا الأنوار تتلألأ، والحشد يتماوج . ولما نزلنا من السيارة قوبلنا بالترحاب من كل ناحية ، والناس يتطلعون الينا ويتدانون منا متزاحمين بالمناكب ...وسرنا بين صفين من رجال الموسيقى التى انطلقت تصدح بنغم حماسى مثير . ولاحظت على « تيمورلنك » أنه ينقل خطاه على وقع الموسيقي ورنة الطبول ، وأخذت عيناه تلتمعان وهو يحيى الجماهير . أما « كليوبترة » فكانت موردة الوجنتين تسير فى أبهة الملك. وكان « زين السيوف باشا » يتقدم الجمع ليفسح الطريق وهو يتصايح ، وبيده مخصرة يلوح بها ... وظهر لنا عند المدخل الذى كان مزينا بالزهور والرياحين وأفنان الشجر - شبح هائل هو مندوب جمعية الرغيف الاسود ، وكان يرتدى ثيابا غاية فى النفاسة من الحرير الابيض المطرز بالشرائط السود . وحيى الضيوف تحية احترام بالغة ، وصاح بكلمات لم نتفهم لها معنى ، وتقدمنا يوسع الطريق حتى أبلغنا المقصورة الخاصة بالملكة . وكانت فى الصف الأول من مقاصير الملعب تمتاز بفخامة أثاثها وزخرفها ، وهى فى مدرج كبير يفصله عن الملعب طريق للمرور . وألفينا المدرج غاصا بالناس . وسرت همهمة حينما أقبلت « كليوبترة » وتبوأت كرسيها ، والتفتت هى ومن معها هنا وهنالك ، فوجدوا فى المقصورة المجاورة بقية أعضاء المؤتمر على رأسهم الرئيس بحلته الزرقاء ، وعلى صدره وشاح عريض ذو لونين أحمر وأخضر ينتهى بهداب من القصب زاه . وأما بقية الاعضاء فكانوا فى لبوسهم الرسمى الأنيق ، فتبادلوا التحايا والابتسام . وألفيت مندوب البلاغة الدولية قد توسط المقصورة فى مقعد فسيح تحف به الحشايا وهو غارق بين أعطافها ، وقد أطبق نصف أجفانه،

وكان يلبس رداء بنفسجيا رائعا وقلنسوة على مثـــل لون الرداء ، وبجواره قدح من شراب مثلوج يرتشف منه الفينة بعد الفينة ، وكان يتضوع من جانبه عطر فواح • وأكبر من لفت نظري اليه من سائر الاعضاء وزير المنــاطق الجنوبية السبع اذ كان متألقا فى لبوسه الحالك ، وصـــدره مزين بالأشرطة الملونة والأوسمة البراقة

وما كاد يستقر بنا المقام فى المقصورة حتى ألفينا العالم الروحاني يدنو منا ، ويدخل محييا الملكة جالسا بجوارها

وكانت الموسيقى لا ينقطع لها عزف ، والجموع تحتشــد كلما امتد الوقت ، حتى أحسسنا باحتباس الجو على الرغم من انكشاف المكان تحت قبة السماء • وكانت السيدات يتهادين فى طريق المارة أسرابا وهن فى زينتهن البـــالغة وأزيائهن المختلفة الطريفة التى تخلب الانظار ••• فكنت ترى سيدة تلبس الملابس الروسيةذات السروال الفضفاض والقلبق العريض تميله على فودها فى رشـــاقة وأناقة • وكنت ترى فتاة ترتدى الملابس البدوية مثقلة بحليهـــا الشرقية مجررة أذيالهــا • وغير هاتين سيدة ترتدى الزى المنسوب الى لويس الخامس عشر مغريا بجماله وفتنتـــه وانتفاشه ••• فكان ثمة معرض بارع للملابس الشرقيــة والغربية على اختلاف أنواعها • وأظهر ما راع النظـــارة تصفيف الشعور على أنحاء متباينة تبهر العيون • وكانت هذه الأسراب وهى تتنقل تلقى من النظارة كل اعجاب ، فيصفقون لها ويتصايحون،فيقابلن هذا التصفيق والتصايح بضحكات فاتنة وابتسامات جذابة • وكان العطـــر الذى ينفح منهن يشيع من حولنا ، فكأننا حللنا روضة يتضوع شذاها • ولاحظت أن « كليوبترة » قد اشتد اهتمامهـــا بالنظر الى السيدات وهن يخطرن فى حللهن وحليهـــن يتراشقن بالاحاديث والضحكات ، ويسبين العيون بتأود

خصورهن ولمح لحاظهن ، وكنت أرى يد « كليوبترة »تتحرك الى شعرها تتحسسه ، ثم تتفقد الوردة لتطمئن الى مستقرها

ورأيت عين « زين السيوف باشا » تنتهب أسراب الغيد. ولكنه كان يحاول أن يخفي ذلك عن « كليوبترة » ، بيد أنها لم تغفل عن حاله ، وألفيتها تمسك بمنديل تروح وجهها في شيء من التململ ، ثم غمغمت قائلة :

متى يبدأون السباق ؟... ان الحر لا يطاق ...

فابتسم العالم الروحانى وهو يقول :

عندما تنتهى السيدات من عرض أنفسهن ...!

فهمهم « زين السيوف باشا » يقول :

انها لمظاهر كاذبة ... انها لمظاهر كاذبة ... !

وكان الندل أثناء ذلك يمرون فى المدرج بين وقت ووقت حاملين الصوانى عليها أصناف الشراب وأشتات الشطائر والفطائر . ورأيت النضد الذى أمام مندوب البلاغة الدولية احتله كثير من هذه المآكل . ووجدته يعنف غلاما، ويقول:

أين شطائر البطارخ الروسى وشراب الفودكا رقم ٧٧٧٧ ؟ لشد ما طلبتهما منك !

ومال « زين السيوف باشا » على « كليوبترة » يقول لها : ماذا تؤثرين من شراب يا مولاتى ؟

فقالت فى غير اكتراث : أى شراب مثلوج ، ان الحر شديد

فقال لها : ولا بأس بشيء من الشطائر ...

ــ لا ... حسبى الشراب المثلوج

وأمر بكوب من عصير الليمون ، فقدمه لها ، فاحتسته ، وتناولنا جميعا أشتاتا من الاشربة . وكان « تيمورلنك » أثناء ذلك شارد الفكر ذاهل اللب مرهف المزاج ، يجتهد فى لم شعثه وهو يطوف ببصره فيما حوله

وفيما نحن على هذه الحال اذ دق جرس عالى الرنين ، وانطفأت الأنوار على الأثر ، ثم انصب على منصة عالية فى

الملعب شعاع قوى من النور ، فرأينا فوق المنصة مندوب جمعية الرغيف الاسود ، يعلن أمام مضخم الصـــوت بدء الحفلة بكلمات مختلطة فيها أشتات لغات ٠وكان «عبدالعال» بجواره ، فلما فرغ المندوب من كلمته وجدت « عبد العال » يتبعه حاملا مضخم الصوت ٠٠٠

وعلى الأثر ظهرت لمة من الراقصات يبلغ عددهن نحـو المائة فى زى الفلاحات المصريات ٠ وبدأن يتحـــركن على ايقاع موسيقى بديع حركات تمثل الرقص الشرقى فى بعض نواحيه ٠ والحق أن مظهرهن كان فاتنا وهن يحملن جرارهن الخفيفـة ، ويتلاعبن بها ، فيضعنها مائلات على رؤوسهن ، وهن يخطون خطواتهن الرشيقة رافلات فى ثيابهن السود مزينات الجباه بالعصائب المزركشة ، والحلى تتزاحم عــلى صدورهن من لبات وعقود ، وفى أيديهن الأساور توسوس على ايقاع النغم ، ولم ينسين أن يهززن الارداف ويتلوين بالخصور على أصول الرقص الشرقى ٠٠٠

وشاهدت بينهن فتى يمثل فلاحا يرتدى اللبدةوالزعبوط ويلوح بنبوته تبعا للايقاع الموسيقى بحركات خلابة ٠٠

وتبينت أنه « مارتن » الامريكى ، ولاحظتـــه يرمق « كليوبترة » ويوافيها بابتساماته بين حين وحين ٠وعرفته « كليوبترة » فلاحت على وجهها اشراقة محببة ٠ وأسرت الى « زين السيوف باشا » كلمات تجهم وجهه على أثرها

وصادفت هذه الرقصة اعجاب الجمهور فاندفع يتصايح ويستعيد ، ثم رأينا الراقصات يتراجعن شيئا فشـيئا ، والنور يتضاءل رويدا رويدا ، فتتزايل أشـــباحهن فى الظلال ٠٠٠ وأضاء المكان فجأة ، فوجدنا المنصـة خالية فتعالى التصفيق والهتاف والتصايح ٠٠٠

وبعد لحظة وجدنا « مارتن » يهرول فى لبوسه الفلاحى، ويأتى صوب مقصورة « كليوبترة » ، فدخل وهو لا يدرى

كيف يلم رداءه الفضفاض ، وكلما شمر كما وجد الآخر قد تدلى على يده وعاقه عن الحركة ••• وكان يعاني صعوبة فى وضع لبدته على رأسه فى الموضع اللائق • فاذا ما حرفها قليلا همت بالسقوط عن رأسه ، وان ضغطها آذته ، وجعلته يتوجع بصوت حاد • وأسرع الى « كليوبترة » فقبل يدها برشاقة وتظرف ، وقال على الأثر :

كيف رأيت هذه الرقصة يا سيدتى •••؟!

ـ بديعة ••• !

ـ لقد فرضوا على الاشتراك فى تنظيم هذه الرقصة فى آخر لحظة ، فلم أستطع النكوص •••

ثم التفت الى « زين السيوف باشا » وأمسك بيده يهزها فى تحية تتجلى فيها الديمقراطية الامريكية ، وقال :

هالو ••• جنرال ••• تصور انى استطعت اخراج هذه الرقصة بعد دراسة لم تستغرق أكثر من ثلاث ساعات • تصور ••• ثلاث ساعات استطعت أن ألم فيها بشخصية الفلاحة المصرية •• ملاحتها •• زينتها •• ملابسها •• مشيتها •• رقصتها الوطنية •• كل ذلك فى ثلاث ساعات •• وقد استطعت بعد ذلك أن أدرب مائة من الفتيات ، كما شهدتهن منذ لحظة •••

فقال العالم الروحاني ، وهو يمشط لحيته الشهباء :

أنتم لا يستعصى عليكم شيء أيها الامريكيون الجبابرة !

فالتفت نحوه « مارتن » وهو يقول : أنت هنا يا سيدى العالم ؟ !

وأقبل عليه يحييه ، ثم وجه حديثه الى « زين السيوف باشا » قائلا :

صارحنى برأيك فى رقصة الفلاحة ••• ألم تكن هى الفلاحة المصرية بشمائلها وشخصيتها ، تلك التى تحيا فى الحقل الريفى الذى تنعشه بدفئها شمس الشرق الحالمة ؟

فقهقه « زين السيوف باشا » يقول : انك استطعت أن تظهر لنا الفلاحة المصرية فى مظهر جديد حقا ، فلاحةمصرية صميمة على الطريقة الأمريكية !

وعاد يضج بضحكته الطويلة ••• وانطلق يشعل لفافة ضخمة سوداء • فلم يرتح « مارتن » لهذا الكلام ، وأجاب فى لهجة عليها مسحة من الجد :

لقد أظهرت لكم الفلاحة المصرية كما يجبأن تكون •••!

فرمى « زين السيوف باشا » عود الثقاب على الارض ، وداسه بقدمه فى شدة ، وهو يقول : ماذا تقصد بقولك ؟

فاقتحمت الحديث « كليوبترة » وسألت « مارتن » :

وأين غادتاك : فلورا وجانيت !

ـ كانتا فى العرض ••• ألم تريهما ؟ كان على رأس الأولى جرة بيضاء ، وعلى رأس الاخرى جرة حمراء ••• ولكنهما كانتا تخفيان جانب وجهيهما بالخمار الاسود

وسمعنا مندوب البلاغة الدولية فى المقصورة الاخرى يصيح منتهرا غلام المقصف ، رافعا عصاه فى وجهه ، قائلا:

أين شطائر البطارخ الروسى أيها الغبى ؟ أين الفودكا رقم ٧٧٧٧ ؟

وسمعنا غلام المقصف يجيبه وهو يعدو حاملا صينية عليها بقايا طعام : سأحضر كل شىء يا سيدى حالا•••حالا

وانطلقت الغيد تتهادى فى الممر أمام المقاصير ، فكانت العيون تنتهبهن ، وكن فى لفتاتهن وضحكاتهن وتراسلهن بلغة العيون وتراشقهن بالورد ، فى حللهن الطريفةالاخاذة، يشعن بين الجموع روح البهجة والايناس •••!

وبينما كانت الزحمة على أشدها سقطت وردة على « كليوبترة » رمتها بها حسناء • فظهر شىء من الامتعاض على وجه « كليوبترة » ، ولكن سرعان ما أخفته ، وغمغم « زين السيوف باشا » : وقاحة ••• وقاحة •••

فقال العالم الروحانى : انك يا سيدتى لست المقصودة بهذه الرمية ... يبدو لى أن المقصود شخص آخر ...

فقال « زين السيوف باشا » : يجب الكف عن مثل هذه المعابثات السقيمة ... !

ولكنه لم يكد يتم جملته حتى أصابته وردة مست أنفه، فالتفت الى الرامية يريد أن يصيح بها معنفا ، فوجدها تحييه فى ابتسامة خلابة ، وهى تقول ملوحة بيدها :

مساء سعيد يا جنرال ...

ومال العالم الروحانى على « زين السيوف باشا » يقول: أخطأتك الغادة فى المرة الأولى ، ولكنها أصابت منك مرمى هذه المرة ...

وجعل يضحك فى وقار وهدوء ...

وبدا من « زين السيوف باشا » أنه يعرف الفتاة ... وأن بينهما مودة ... وعراه بعض الارتباك ، فرد تحيتها مضطربا ، وهو يمسح أنفه بمنديله فى غير اتزان

وسمعنا مندوب البلاغة الدولية يجأر بصوته مناديا غلام المقصف :

أين شطائر البطارخ الروسى والفودكا رقم ٧٧٧٧ ؟

فالتفت « زين السيوف باشا » الى الغلام ، وقفز خلفه قفزة جبارة ، يريد أن يأخذ بخناقه ، واندفع يقول :

ما هذا الاهمال ؟ ستفضحوننا أمام ضيوفنا ! أين الشطائر رقم ٧٧٧٧ يا ولد ؟

ولم يكد يتم جملته حتى أدرك خطأه ، فازداد هياجا ، وصاح بالغلام :

أين الشطائر ؟ أين الفودكا ؟ أين رقم ٧٧٧٧ ؟

فضج الجمع بالضحك ... وانفتل منه الغلام ، وهو يصيح بنغمته الراتبة : حالا ... سأحضر الطلبات ...

وعاد « زين السيوف باشا » الى مكانه محتقن الوجه ،

بنهال على شاربه فتلا ٠٠٠وظهر على المنصة العملاق الروسى، وخلفه « عبد العال » بجسمه الضئيل المهزول يحمل له مضخم الصوت ، وانطلق العملاق يردد فى صوته العالى بمختلف اللهجات جملا وعبارات ٠ فعلمنا أن الشوط الاول من السباق على ضوء المشاعل يبدأ ٠٠٠

وأطفئت الأنوار ، الا بعض مصابيح خافتة

وأخذ الجمهور ينظر متحمسا فى دفاتر برامج السباق ويتهامس مناقشا : أى الجياد يكسب الرهان ؟٠٠ وتكاثر الهمس ، فكنا نسمع فى اختلاط الجمل الآتية : على أى جواد راهنت ؟٠٠٠ رقم ١٣ هو الفائز ٠٠٠ بل رقم ٤ ٠٠ بل رقم ٥ ٠٠٠ هو بلا شك رقم ٥ ٠٠٠

ورأيت وزير المناطق الجنوبية السبع يميل بجسمه المبعثر على « تيمورلنك » الذى انسل من مقصورتنا الى المقصورة المجاورة منذ وقت مضى ٠ واندفع يناقشه متأنئا فى الفائز من الخيول ٠ وسمعت « تيمورلنك » يقول :

لا يروقنى أن أقامر ٠٠٠ ان هذه اللعبة صبيانية ٠٠٠ !

وأقبل عليهما مندوب اتحاد الشرق الاعلى ، وهو يداعب عثنونه المتناثر ، وأقحم نفسه فى المجادلة وعيناه الضيقتان البراقتان تلتمعان فى الضوء الخافت لمعان الحباحب ٠٠٠ أما رئيس المؤتمر فقد لزم الصمت برهة ، ثم ما لبثنا أن رأيناه يشارك الزملاء فى موضوع السباق ٠٠٠

وسمعنا طلقة شديدة أعقبتها حمحمة الخيول وصوت انطلاقها ، فاحتبست الأنفاس ، واشرأبت الاعناق ٠٠٠

ومرت الجياد أمام أعيننا مر السهام ، فاذا فى كل جواد مصباح كهربى ساطع يضىء رقمه ، وكان رجال « الجوكى» لاصقين بظهور جيادهم متشبثين باللجم كالقنافذ الهاربة ٠ وأخذت الاصوات تعلو فى تحمس مشيعة ذلك الركب ٠ ومضت هذه الكوكبة من الخيول تعدو فى المضمار كقبسات

البرق المتطاير • وبعد لحظات عادت تمر بعـــد أن أتمت جولتها الأولى ، وكان الصياح دائما يتبعها أينما ظهرت ، ورجال «الجوكى» وهم كالقنافذ على صهوات الجياد يلهبونها بالمخاصر • وتكهرب الجو بهرج ومرج واصـــطخاب ••• وصافحت أذنى همهمة لـ « تيمورلنك » ، فالتفت نحوه ، فاذا به قد داخلته بعض الحماسة

وازدادت الجلبة ، والناس يصيحون فى اختــلاط وهم يلوحون بأيديهم : رقم ٣٠ هو الفـــائز ••• رقم ٥ ••• رقم ٣ ••• رقم ١٠ ••• ثم ضاعت الكلمات متشابكة ملتبسة وسمعت فرقعة شديدة ، وبغتــة توهج فى السماء نور ، وتبع ذلك طقطقة تصحبها أنوار مختلفــة الألوان • وعم المكان صمت شامل ، وتطلع الناس الى السماء ، ورأينا قذائف النور تكتب فى الفضاء : «الجواد الفائز رقمه صفر» !

وعلت ضجة يختلط فيها الفرح بالسخط ، ثم اندفعت أمواج من الناس الى الظلات التى فيها التذاكر ليقبضـــوا الأرباح ويراهنوا على الشوط الثانى

ورأيت وزير المناطق الجنوبية السبع يأخذ بيد «تيمورلنك» وخلفهما مندوب اتحاد الشرق الاعلى يدرج ككـــرة حائرة لا تعرف لها مستقرا • ولحق بهم على الأثر رئيس المؤتمر ، واذا به يتقدمهم ويسير فى تؤدة ، يهتز بقامته الهيفـــاء الممشوقة هزة الوقار ، وعلى صدره تترنح الاوسمة ••• فكان الزملاء يمشون خلفه لا يجسرون على سبقه • وكانت وجهتهم ظلات التذاكر • على حين كان مندوب البـــلاغة الدولية غارقا فى وسائده يلتهم شطائر البطارخ ، ويجرع الفودكا رقم ٧٧٧٧ •••

وطافت الندل بالأشربة ، فتناولت «كليوبترة» كوبا من شراب الورد ، والتفتت لتسأل العالم الروحانى عما يطلب ، فوجدته قد غفا وترامى رأسه على كتفه ، فهزته بلطف

وقالت : ماذا تريد أن تشرب ؟

فقال ، وهو يغالب النوم : شراب الكريز ...

أما « زين السيوف باشا » فكان يروح وجهه الملتهب بمنديله ، وأخذ يعب هو و « مارتن » من شراب الكوكتيل

وانطلق الجمع يتحدث عن السباق حديثا مألوفا . وعلى حين فجأة ظهرت الغادة التى أصابت « كليوبترة » بالوردة على غير عمد ، والتى قذفت أنف « زين السيوف باشا » بوردة أخرى معابثة . وكانت فى لبوس قوقازية من سكان الجبال ، ممشوقة القد ، مرفوعة الرأس ، تزهو فى قلنسوة من الفرو على لون الشفق ، منحرفة على فودها ، وقد تهدلت تحتها خصل من شعرها الفاحم المسترسل ... وكانت لا يستقر لها قرار فى وقفتها كأنها قلقة حيرى وما بها من حيرة ولا قلق ، ولكنه دلالها وأنوثتها واغراؤها يتجلى فى كل لفتة واشارة منها . وكانت حقا تلتمع فى ملابسها الشرقية الزاهرة من سراويل حريرية ، وصدار مطرز باللآلىء الوهاجة ... وتقدمت تعتذر فى رشاقة الى « كليوبترة » فأجابتها الملكة فى تلطف اجابة رقيقة . ثم التفتت الغادة الى « زين السيوف باشا » وقالت مازحةدون كلفة ، وقد داعبت كتفه بضربة رخية :

أما أنت فكان خليقا بك أنأقذفك بطاقة ورد كاملة ...

وصاح « مارتن » وهو يلوح بالكأس فى يده :

ــ تقصدين طبعا طاقة ورد كلها أشواك ...!

فتضاحكت الفتاة ، وهى تقول :

كان يستحق ذلك وأكثر ... لم يكن لطيفا ...

ثم جذبت أذن « زين السيوف باشا » فى مداعبة جريئة، وما عتمت أن قدمت يدها اليه ليقبلها ، فأذعن لها ، وقد ازداد احتقان وجهه . وأخذت الالفاظ تتعثر على شفتيه ، وهو يختلس النظر الى « كليوبترة » التى كانت تشاهد

هذا المنظر وهى تتكلف الابتسام ، وقالت «كليوبترة» للفتاة:
ما أحسن ذوقك في اختيار زيك القوقازى ...
ــ شكرا سيدتى ...
وانطلقت الفتاة تسائل « زين السيوف باشا» في زيها، وهو يزداد اضطرابا وحيرة
وهمست « كليوبترة » فى أذن « مارتن » : ما رأيك فى هذا الزى ؟
ــ انى صريح يا سيدتى ... ان هذه الملابس لا تلائم شكل هذه الغادة ... فضلا عما تحويها من أغلاط فنية
ــ وماذا كنت تختار لها ؟
ــ كنت أختار لها زى فلاحة ايطالية من سكان سردينيا ... ان فيها الكثير من ملامح الفلاحات الايطاليات ...
ثم مال على أذنها ، وقال : ان ذوق صديقنـــا يتجلى فى أبدع مظهره بصحبته لهذه الفتاة ...
فأخفت الملكة فى منديلها ضحكتها ...
وكان العالم الروحانى أثناء ذلك يكثر من التثـــــاؤب ويترنح رأسه على صدره بين الفينة والفينة ... وسمعنا الفتاة تقول لــ « زين السيوف باشا » :
انك أسأت الى بسوء معاملتك ، فأطالبك بترضية ...!
فقال « مارتن » على الأثر : ان قبلة يطبعها الجنرال على خد الآنسة تمحو كل أثر لسوء التفاهم ...!
فقالت الفتاة ، وهى تضج بالضحك : لا أقبـــــل ... لا أقبل ...
وتدانت فى الوقت نفسه من « زين الســـيوف باشا » ورفعت اليه خدها ، وهى ما زالت تقول : لا أقبل مطلقــا هذه الترضية ...!
ودوت طلقـــــة ، وأطفئت الأنوار على الأثر ، وانتشرت قذائف النور فى أجواز الفضاء ، واذا بنا نقرأ ما تكتبــه

فى عرض السماء : « قبلة فى المزاد » !

فعلت الهمهمة والصياح والتصفيق ··· وتبادل الجمـع النظرات متسائلين

وسمعنا العملاق الروسى أمام مضخم الصوت يقول :

قبلة فى المزاد ··· دخلها لصندوق الطفل الشريد ···

وشاهدت العالم الروحانى يضيق بهذه الضجة وقد أعياه التعب وغلبه النوم ، وما هى الا أن اختفى من حيث لايشعر به أحد ···

ورأيت « تيمورلنك » يعود مع زمرته ، وكلهم ينظرون فى دفتر السباق ، ويتثبتون مما أخذوه من تذاكر الرهان، واقتعدوا مقاعدهم فى المقصورة وهم يتساءلون عن سر هذه القبلة التى أعلنت فى المزاد ···

وما ان رآهم مندوب البلاغة الدولية حتى اشرأب اليهم، وكانت الخمر قد لعبت برأسه ، واندفع يحدثهم عن مجهوده فى توحيد اللغات ، وعمله فى اختراع لغة عالميـــــة ··· وسمعت وزير المناطق الجنوبية السبع يقول له :

ما سر هذه القبلة التى يعلنون عنها الساعة ···؟!

فقال مندوب البلاغة : هذه خزعبلات يا ولدى ···

ثم عاد الى اضطجاعه يثرثر عن اللغة العالمية

وأقبل على شطائره يلتهم منها ما يشبع نهمه ، وعـــلى شراب الفودكا رقم ٧٧٧٧ يجرع منه ما ينقع غليله

ورأينا العملاق الروسى يقترب من مقصورتنا وخلفـــه « عبد العال » يجر قدميه جرا ، ومضخم الصوت على كتفه ··· ودخل العملاق المقصورة ، فأدى التحيـــة العسكرية المصحوبة بضرب قدميه ، وقال كأنه يلقي خطبة رسمية :

أيتها الملكة الكريمة ، والزميلة المبجلة ، والاخت النبيلة، تتشرف ادارة جمعيةالرغيف الاسود باخبارك أنها انتخبتك الليلة لتكونى بطلة القبلة التى أعلن مزادها ···

فبدت على محيا « كليوبترة » دهشة وتعجب مصحوبان بتطلع كبير ، وأخذ « زين السيوف باشا » يدمدم ويحمجم، على حين كانت الغادة القوقازية تقول له :
أما أنا فانى أرفض قبلتك رفضا باتا أيها الجنرال ...!
وتكلم العملاق أمام مضخم الصوت ، معلنا انتخاب « كليوبترة » لتكون بطلة القبلة ، وذلك قبل أن يسمع قبولها أو رفضها لهذا الانتخاب !
فقالت « كليوبترة » له : ما معنى ما تقول يا سيدى ؟ !
ـ معناه يا مولاتى أنك قد تبرعت لفرع جمعية الرغيف الاسود : صندوق الطفل الشريد ، بما يتجمع من الدخل ثمنا لقبلة المزاد ... !
ـ ولكن يا سيدى ...
وهنا أطل «تيمورلنك» على مقصورتنا، وقال لـ«مارتن»:
ما رأيك فى هذه اللعبة اللطيفة ؟ أليست من اختراعك هذه المرة ؟
فقال « مارتن » بوجهه الباش الضحوك : أعترف لك ياسيدى الأمير بأنالروس قد كسبوا هذه المعركة منا...!
وعاد العملاق الروسى يصيح أمام مضخم الصوت ، وتعالى الصياح واشتدت الزحمة حول مقصورة «كليوبترة» وأمامها ، وأخذ الهتاف يتتابع فى اختلاط ، فحيت الملكة الجمهور فى تلطف وابتسام .. وقد توهجت وجنتاها .
وبعد قليل فتح المزاد ، ورأينا « زين السيوف باشا » يتقدم الى الأمام ، واسع المنكبين ، عالى الرأس ، منتفخ الأوداج، صائحا : مائة جنيه ...
فقال « مارتن » : مائة جنيه فقط ؟.. يا لك منشحيح!
ثم صاح على الأثر : لى بخمسمائة جنيه ...
فصاح « زين السيوف باشا » : لى بخمسمائة وخمسين
ووجدنا مندوب البلاغة الدولية يتحرك فى جلسته

ويتطلع ، وكرع كأسه دفعة واحدة ، ثم سمعناه يصيح : لى بخمسمائة وستين جنيها ...

فرد « زين السيوف باشا » : لى بستمائة ...

وصاح « مارتن » : لى بسبعمائة ...

ووجدت « تيمورلنك » ينقل بصره بين المزايدين بشغف، وهو يفرك يديه ويقول : جميل .. جميل .. تقدموا ..

وسمعت مندوب البلاغة الدولية يصيح ، وقد اختنق صوته ، وتلظت عيناه : بسبعمائة وخمسين ...!

فصاح «زين السيوف باشا» مهتاجا: بثمانمائةوخمسين

ورأيت الفتاة القوقازية تواجه « زين السيوف باشا » وتقول : لن أمتحك قبلتى ولو دفعت لى ألف جنيه ...!

وصاح رجل من جمهور الرواد : بتسعمائة ...

فصاح آخر : بتسعمائة وخمسين ...

فقال « زين السيوف باشا » : لى بألف جنيه ...

فقالت الغادة القوقازية وهى تزفر : لو منحتنى ألفين من الجنيهات لما أتحت لك شرف تقبيلى ...!

ورأينا مندوب البلاغة الدولية وقد أخذته النشوة وقام يتحامل على عصاه وجسمه يهتز ورأسه لا يستقر له قرار، وأخذ يميل قلنسوته على فوده فى تصاب ، ويفتل شاربه الاشيب . وقال فى صوت أبح : لى بألف ومائة !

ثم وجدناه يتهالك دفعة فيحمله اخوانه الى مقعده ، فلا يعتم أن يطبق جفنيه وينساب فى اغفاء ...

وألفيت الغادة الروسية تأخذ بيد « زين السيوف باشا» جانبا فيتهامسان فى حدة ، وما لبث أن أقبل يكرع من كأسه ، وصاح : لى بألف ومائة !

وغمزه «تيمورلنك» قائلا: لقد سبقك بهذا المبلغ مندوب البلاغة الدولية

فصاح « زين السيوف باشا » : لى بألف وخمسمائة !

فجذبته الفتاة وسارت به بضع خطوات ، وهو يحاول عبثا أن يفلت من يدها ••• وما هى الا أن ظهر بغتة « أنطونيو » وهو يهرول فى ملحفه الرومانى وعلى رأسه لبدة ريفية ، والى جانبيه «فلورا» و « جانيت » فى ملبسهما الفلاحى ، وكان « أنطونيو » يصيح صياحا ينم عن نشوته:

قفوا المزاد حتى أدخل ••• لن ينال القبلة غيرى ••••!

ثم انحنى يحيى « كليوبترة » فجابهته بقولها وهى ترمقه فى جفوة : من أين أنت قادم ؟

فقالت « فلورا » على الأثر : نحن قادمون من دخيلة المسرح حيث الممثلون والممثلات يعدون أنفسهم للظهور•••

وانحنت أمامها محيية ، وتبعتها « جانيت » ، وقالت « فلورا » لـ « كليوبترة » :

اننى أشكو لك قيصر ••• كان غير لطيف ••• وكان يحاول انتزاع عصاباتنا من رؤوسنا •••

فرأيت « كليوبترة » ترمى « أنطونيو » بنظرة ، فبادر بقوله :

غير صحيح هذا ••• هما اللتان انتزعتا مغفرى وألبستانى هذه اللبدة الريفية ••••!

فعلا الصياح والضحك من كل جانب ، وقال « مارتن »: دعونا من هذا ••• لنهتم بما نحن فيه ••• حقا انه مزاد عجيب ••• انه مزاد بطىء ••••!

ثم صاح : ادفع خمسة آلاف •••

ورأينا « زين السيوف باشا » بين يدى غادته تحاصره وتلهيه عن المشاركة فى المزاد بمعابثتها وتدللها ••• وتساءل « أنطونيو » فى لهجة الشارد الفكر :

خمسة آلاف ؟ ماذا تقصدون : خمسة آلاف ريال ؟ أم خمسة آلاف شلن ؟ أم خمسة آلاف روبل ؟ أم خمسة آلاف رطل من الذهب ••••!

وتقدم « مارتن » فى وقفة القاهر المتملك ، وصاح :
خمسة آلاف جنيه ••• خمسة آلاف •••
ثم وقف قبالة « كليوبترة » يحدق فيها لحظة ، ثم انتهب القبلة من جبينها برشاقة ، وصاح : انتهى المزاد •••!
وتصايح الجمع مصفقين •••
ورأينا « زين السيوف ا » يهرع نحو الجمع ، ويقول:
المزاد غير قانونى ••• ما هذه الدكتاتورية •••؟
فأجابه أحد رواد الحفل مبتسما :
أعزب عن بالك أن الدكتاتورية سنة هذا العصر الحائر ؟
وصاح « أنطونيو » والفتاتان آخذتان بساعديه :
انى أحتج ••• أحتج بشدة •••
وقال « مارتن » وقد وضع يده فى يد « كليوبترة » :
انى أتبرع بخمسة آلاف أخرى لصندوق الجماعة قطعا لخط الرجعة فى شأن المزاد !
وقال « زين السيوف باشا » فى صوت متحشرج :
غش ••• تلاعب ••• مزاد عابث ••!
ومال رئيس المؤتمر على « تيمورلنك » قائلا :
لقد فاز الدولار الامريكى هذه المرة •••!
فغمغم « تيمورلنك » مجيبا : لقد انتهبت القبلة انتهابا، فالفائز يا صاح هو الساعد الامريكى •••!
وأقبلت الغادة القوقازية وسط هذه الجلبة والصياح ، وقالت لـ « زين السيوف باشا » بأنفة :
أقسم بأعز ما عندى انى لن أدعك تنال شرف تقبيلى ولو بأضعاف أضعاف هذا الثمن !
واستدارت فى وقفتها ، وهمت بالانصراف •••
فهب « زين السيوف باشا » دفعة واحدة نحوها ، وقال فى حدة كأنه يلقى أمرا عسكريا : بل سأنالها دون ثمن !
وما هى الا أن هجم عليها وطبع على فمها قبلة جامحة•••

وكان الجمهور يموج ، وقد اختلط بعضه ببعض ••• على حين وقفت « كليوبترة » فى سهوم بعد أن انتهب منهـا « مارتن » القبلة • وما ان مال عليها يلاطف يدها بخفة حتى همست فى أذنه :

انى أختنق ••• أريد أن أستنشق هواء نقيا •••!

ـ ألا أصحبك ؟ !

ـ كلا ••• دعنى •••

وتسللت فلحق بها ، واختفى شبحهما فى الظـلام وابتلعتهما زحمة الناس •••

ولما أردت اللحاق بهما ، ومضيت الى خارج ميدان الحفلة أسأل عنهما ، علمت أن السيارة مضت تطوى بهما الطريق

وعدت الى المقصورة ، فوجدت « زين السيوف باشا » و « أنطونيو » يتطلعان حولهما يبحثان عن « كليوبترة »

وأطفئت الانوار بغتة،وسمعنا العملاق يعلن بدء الشوط الثانى من السباق ، ووجدت « تيمورلنك » وزملاءه يرقبون باهتمام عدو الجياد فى المضمار •••

وتوالت الالعاب وأشواط السـباق ، ولاحظت أن « تيمورلنك » قد نال فى المراهنة كسبا ، وأنه كان طول الوقت مهتاجا طلق المحيا ••• يترشف من كؤوس الصهباء

وانتهت الحفلة بالرقصة الروسية المعروفة فى حلقـة واسعة • انتظم فيها « زين السيوف باشا » وصديقته ، و « أنطونيو » ورفيقتاه ، ومن بقى من أعضاء المؤتمر • وكانت الضجة على أشدها ، والجمع يصفق متابعـا للنغم تصفيقا حادا يصم الآذان ••• وكان العملاق الروسى وسط الحلقة آخذا بيد مندوب البلاغة الدولية يساعده على القيام بنصيبه فى هذه الرقصة الرائعة •••!

فى متحف الشرق

٢٧ يناير

انقضت ثلاثة أيام لزم فيها معظم أعضاء المؤتمر حجراتهم فى قصر الورد ، وكانت الأطباء تتردد لزيارتهم . وأخبرنى الشاويش « سيد متولى » المرافق ل « تيمورلنك » أنه قد لزم خلوته فى المسجد ، وقصر طعامه على الفول النابت ، وكان لا ينفك يوصى بالكلب ، ويأمر بالعناية بطعامه وراحته ، ولكنه لم يطلب أن يراه ولم يحطه بشىء من ملاطفته ... وكان يردد دائما أمامه : عليكم أيها الناس بحماية الضعفاء !

وقد ترك الأمير خلوته أمس ، ودعا طائفة من القراء . ووزع عليهم الصدقات . ثم رصهم صفوفا تأهبا للصلاة ، ولما حضر وقتها تصدر فأم الجماعة ، وكان يقرأ بصوت جهورى ويؤدى الصلاة بحركات تنم عن عظمة الامامة فى أجلى مظاهرها ...!

أما مندوب البلاغة الدولية فقد طلب أن يأتوا له بممرضتين حسناوين لتضعا على رأسه الكمادات الباردة ... وقد ترك نفسه كالطفل بين يديهما يمرضانه ويطعمانه ويلاطفانه وهو مغتبط مفتر الثغر يتحدث اليهما بين الفترة والفترة عن مجهوده فى سبيل اختراع اللغة العالمية ...

وكان لا ينسى أن يختلس من يديهما وخديهما القبل ، وهو يعنى بشرح نظريته ، قائلا لهما : يا فتاتى العزيزتين ، انى أحبكما محبتى لأولادى ... ان عاطفتى نحوكما عاطفة أبوة خالصة ...!

ثم يربت خديهما قائلا : ما أنضر الشباب !... ما أطيب عهده !... ما أجمل بهجته !... تمتعا بالشباب !

لتحييانه بضحكات ، وهما تتلاعبان حوله متدللتين
أما « زين السيوف باشا » فكان فى سريره ثائرا يزمجر كأنه أسد حبيس ... وكان يأبى تناول الطعام الا بعد الحاح شـــديد كأنه طفـــل مدلل ! وكان ينحى عنـــه الممرضتين والأطباء ، ويقول لهم :

أحسبتمونى مريضا ؟ ما أجهلكم بشكاتى ...!

واضطررنا الى تأجيل المؤتمر أياما حتى يستوفى كل عضو راحته . أما « كليوبترة » فلم تكن تشكو علة ، ولكنها كانت ضيقة الصدر ، كثيرة العزلة والوجوم . وجاءها مرة العالم الروحانى يزورها ، وتطرق الحـديث الى حفـلة الرغيف الأسود ، فسألته قائلة : ما رأيك فيها ...؟ !

فأجابها : حفلة من حفلات المجتمع الزائف التى ليس لنـــا منها خلاص ...!

فقـــالت له فى ســـهوم : يلوح لى أنى لن أستطيع بينكم المكوث طويلا ...

ـ انى أعرف ما تعانينه من مشقة فى دنيانا هذه ، ولـــكن يجب أن تتجلدى للصعاب ... لقد جئت لتصلحى ما فسد من أمر هذا الكون ...!

فأطرقت لحظة ، وعيناها ترمقان قدميها ، ثم قالت :

لولا رغبتى الصادقة فى ذلك لما استطعت أن أمكث لحظة فى عالمكم البغيض !

وبعد سكتة قصيرة ، قالت له : وأنطونيو ؟

ـ انه معضلة ... سمعت أن سلوكه فى الحفلة كان غير مرضى ... ولا سيما صنيعه بالفتاتين ... لكن عذره أنه كان ثملا ... لقد نجحت الفتاتان فى اغوائه ...

ـ أيرضيك أن يترك أمره على هذا النحو ؟

ـ كلا ... انى أفكر تفكيرا جديا فى الأمر ... وأرى أن الأوفق أن نعمل على اشخاصه الى العالم الآخر ...

ـ افعل ما تراه صالحا ...

وصمتت « كلبوبترة » برهة ، ثم عادت تقول :

لا تنس أنه مخلوق ضعيف ... وأخشى أن تعاوده بوادره ونزواته القديمة ... انه فى حاجة الى رقابة صارمة ...!

ـ سأعنى بهذا الأمر .. لا تقلقى !

وظهر شبح « مارتن » على باب المعبد مقبـلا فى مشية المرح المتفائل الواثق بنفسـه ، فهمهمت « كليوبترة » اذ رأته :

هذا الامريكى سيقلق راحتى . أرغب فى أن أقضى الوقت هادئة

ـ اذا أردت فأنا الكفيل باراحتك منه ...!

ـ لا داعى لذلك ... سأعمل أنا على تقصير زيارته

وانحنى أمامها العالم الروحانى ، وأخذ سبيله الى الباب . فقابل « مارتن » فى بعض الطريق ، فتبادلا التحية ومألوف المجـاملات ... ولاحظت أن « كليوبترة » اندفعت تعنى بزخرفها ـ فى خفية ـ فانصرفت أودع العالم الروحانى ، وفى طريقى عائدا لمحت « مارتن » مقبلا على « كليوبترة » مشرق الوجه منحنيا على يدها ، يطبع عليها قبلة . فاتخذت مجلسى فى المدخل عن كثب منهما بعيدا عن مطرح نظرهما . وقدم لها « مارتن » طاقة من الورد الأبيض وهو يقـول : هذه الطاقة البيضـاء اخترتها لأنها تماثل جبينك فى صفائه

وجلس على مقعد بجوارها ، وأخرج رزمة من الصحف ، وشرع يبسطها أمامها ، ويشير الى فقرات فيها ، وهو يقول :

ان حديث « القبلة » يشغل الرأى العـام ... النـاس جميعا يمجدون فيك هذا الصنيع النبيل ...!

فأجابت فى شىء من دلال وتحفظ : لولا أن العمل خيرى لما فعلت...انى قد منحت القبلة على سبيل الاحسان ...!

فأخذ يصعد فيها بصره لحظة ، وقال : لو كنت على يقين أنك لم تمنحينى اياها الا صدقة لرغبت عنها ...!

ـ ماذا تقصد ؟

فصمت برهة وهو يحدق أمامه تائه النظر ، ثم قال :

لا أدرى على وجه التحقيق ماذا أعنى ؟ ! ولكنى أعترف لك بأنه لو عرض على الأمر مرة أخرى لأقبلت على المزايدة بأضعاف شغفى وأضعاف ما بذلت من مال ...!

ـ ما هذا التناقض ؟

ـ حقــا انه لتناقض عجيب ... يجب ان أعترف لك باننى منذ حصلت على هذه القبلة ورأسى يدور بى ، فلا أحسن المنطق ...!

فتضـــاحكت « كليوبترة » وهى تعبث بوردة فى يدها وقالت : وددت لو تطوعت بهذه القبلة سيدة غيرى ... ان المكان كان يزخر بالغيد الحسان !

ـ اذن لأخفقت المزايدة أشد اخفاق !

ـ أتقصد أن اسم كليوبترة هو العنصر الذى كان يعمل على انجاح المزايدة ...؟

ـ أقصد جاذبية كليوبترة ... و ...

ـ لا تغال يا مارتن ... تكلم فى جد واتزان ... قلت لك ان الحسان كن يملأن المكان ...

ـ أية حسان ؟ !

ـ اللواتى يرتدين الأزياء المختلفة العصور من فرنســية وانجلوسكسونية ومغولية وفلاحية ... وقوقازية !

وحدقت فى وجهه مبتسمة ، فعلا ضحكه ، وقال :

لعلك تقصدين قوقازية الجنرال ...!

ـ لم أعنها نفسها ...

ـ لقد أسلفت رأيى فى هذه الغادة ... لقد أثبت الجنرال سقم ذوقه ...!

فبدرت من « كليوبترة » ضحكة عالية وهى تقول :

الم تقل أنها كانت كالفلاحة الايطالية ؟

ـ ما زلت على رأيى ...

فقـالت فى مداعبـة ظاهرة : انك تغلو ... لا تكن على الحسان قاسيا ...!

ـ بربك دعينا من هذا الحديث ...

ـ وفتـاتاك : جانيت وفلورا ، وهمـا فى زى الفـلاحة المصرية ؟...

ـ كانتا مضحكتين ... باردتين ... لقد صدق الجنرال فى قوله : انهما فلاحتان على الطريقة الامريكية .. لا جاذبية ولا سحر ...

ـ ولكن العرض الذى قدمته من هاته الفلاحات اللواتى على الطريقة الامريكية قد نجح ...

ـ نجح من الوجهة التهريجية لا الفنية ...!

ـ ماذا أسمع ...؟ !

ـ انى أعترف لك بأنى شيخ المهرجين !

ـ ماذا تقول يا مارتن ؟ انك تلقى القول جزافا ...

ـ لم أكتشف حقيقة نفسى الا أمس فقط ، حينما وقفت أمامك أنال القبلة من جبينك...فى هذه اللحظة التى وقفت فيها أرمق ذلك الجبين الساطع اللألاء المنطوى على المثـل الأعلى للجمال والفتنة ، تضاءل كل شىء أمامى ، وبانت لى الأشياء على حقيقتها خالصة من الزيف . وعندما تلاقت عيناى وعيناك كشفت فى لحاظك سر الحياة وجوهر الوجود... لو كلفت تأليف كتاب عنك لما عولت فيه على أى مصدر من المصادر المكتوبة ... لقـد أصبح التـاريخ فى نظرى اكبر اكذوبة ...!

فأجابته « كليوبترة » ، خافضة البصر ، وقد ازداد عبثها بالوردة :

وعلى اى مصدر اذن كنت تعول ؟

ـ كنت أستوحى كل شىء من منبع قلبى ...!

وشملتهما برهة صمت ، ثم مد « مارتن » يده ، وأمسك بيد « كليوبترة » وهو يقول : أتسمحين لى بقبلة من يمينك ؟

فتضاحكت وهى تقول :

أتريد أن تنالها من طريق المزايدة كما حدث أمس ؟

ـ بل أنتهبها انتهابا كما فعلت أمس . . .!

وانحنى عليها وأودع راحتها قبلة حارة عميقة ، فجذبت يدها منه وهى تقول :

لقد أطلت مكوثك حقا . . . متى تزمع الرحيل ؟

ـ اذا شئت خرجنا معا . . .!

ـ لماذا ؟

ـ للنزهة . . .!

ـ لى رغبة فى الحصول على بعض أشياء خاصة بالتطريز لأشغل به وقتى وأتسلى . . .

ـ وأين توجد هذه الأشياء فيما تظنين ؟ !

ـ أخبرونى بأننا نستطيع أن نجد كل شىء فى مخازن بنت السلطان بخان الخليلى . . .

ـ سمعت بهذا الاسم . . .

ـ ألم تزر هذا المكان ؟

ـ يسعدنى أن تكون أولى زياراتى له فى صحبتك . . .

ـ اذن هيا بنا نزره معا . . .

وغادرا المعبد . . .

. . . وكانت السيارة بالباب ، فصعدا فيها ، وجلست بجوار السائق ، وسرنا ووجهتنا « خان الخليلى » الجديد . وفى أثناء الطريق انبرى « مارتن » يروى لها أن قد اختارته هيئة محترمة ليخرج فلما صغيرا عن حياة « أخناتون » وهو فلم خاص بطلبة المعاهد الدراسية . وأنه سيبذل جهدا ليخرجه دقيقا مطابقا للأصول التاريخية ، ولذلك هو مهتم بالمراجع والمصادر

وأقبلنا على « خان الخليلى » ، وتركنا السيارة ، فاجتزنا البوابة الكبيرة المؤسسة على الطراز الشرقى القديم كأنها « بوابة المتولي » عادت اليها جدتها وفخامتها. ودخلنا فاذا نحن فى السوق العظيمة ... طريق مسقوف هادىء النور ، يصل اليه الضوء مصفى مختلف الألوان من خلال سقفه الذى تكسوه ألواح البلور . فكان ذلك يضفى على المكان روحا ساحرة تملأ النفس خشوعا ورهبة . وعلى جانبى السوق حوانيت كلها منشأة على الطراز الشرقى كثيرة الزخرف ، ترى فيها المصاطب ممتدة بجوار الأبواب ، وعليها الطنافس يقتعدها رواد السوق وأمامهم النراجيل ينفثون منها الدخان المعطر ، وكانت المجامر على الأبواب تبعث بخورها الذكى يتعالى فى أشكال رائعة وينتشر فى الجو كأنه أحلام تتزايل... وأظهر ما يمتاز به هذا المكان أن جميع من فيه من أصحاب الحوانيت والعمال يرتدون الملابس الشرقية الزاهية ، المبرقشة ، فكنت ترى غلام القهوة يهرول بسراويله المنتفشة ومن نطاقه تطل غدارة مرصعة . وهو يحمل أكواب القهوة الفواحة للزوار ، وهناك صاحب حانوت واقف بقامته المبسوطة أمام الباب فى جبة وقباء حريرى وعمامة مهيبة يحيى الناس فى أدب بالغ يذكرنا آداب العصور الخالية . ووقفت « كليوبترة » وزميلها مشدوهين يطوفان ببصرهما حولهما كأنهما فى عالم الرؤى . وسرعان ما وجدنا الأنظار تتجه نحو « كليوبترة » ، والهمس يتناثر شيئا فشيئا ، والناس يتجمعون وهم يرمقونها فى تطلع وفضول . وتزايدت الزحمة وجعل لفظ « كليوبترة » يتنقل على الأفواه سريعا ، وأخذ الناس يتدانون منها .. وظهر على الملكة شىء من الحيرة ، ولم تدر ماذا تفعل ؟ أتشق لها بين الزحام طريقا أم ترتد راجعة من حيث أتت ؟ وما هى الا أن استوقفها شيخ مهيب الطلعة يرفل فى ثياب من الدمقس كأنه وزير من وزراء

السلاطين الغابرين ، فتقدم نحوها وانحنى فى تحية كريمة ، وابتسم قائلا :

ألا تشرف مولاتى الملكة متجرى المتواضع ..! ؟

فاستجابت « كليوبترة » لدعوة الرجل ، وتقدم أمامنا يهدينا الطريق . واجتزنا ممرا تتدلى من سقفه قناديل تشع مزاجا من نور خافت تطمئن به النفس ، وتسكن به الأعصاب . وعلى جانبه الأيمن منظر من التماثيل يصور سلطانة فى أبهى زينتها تحيط بها الجوارى يقمن على خدمتها

فتقدمت من « كليوبترة » وهمست :

انها يا مولاتى مخازن بنت السلطان التى ترغبين فيها ...

وبعد أن أجتزنا الممر اذا بنا فى بهو تحف به أرائك فاخرة مكسوة بالمخمل . وقد بسطت أرضه بالطنافس ونثرت فى أنحائه النمارق الثمينة ، تتوسطه نافورة ترسل الماء فى حوض مكسو بالقاشانى ، وعلى حافات الحوض ، تماثيل طير تحسو الماء فى هيئات شتى ، وفى جوانب الحوض وأعماقه ركبت مصابيح تترقرق أضواؤها المختلفة الألوان على صفحة الماء

والتفت صاحب الحانوت الى « كليوبترة » قائلا :

أى مكان تؤثرين يا مولاتى ؟

فأجابت فى صوت خافت ، وهى تشيع بصرها حولها :

هنا على الحشايا بجانب البركة ...!

وسرعان ما ألفيناها تثنى ركبتيها على حشية . وفعل كذلك « مارتن » بعد أن عانى مشقة لكى يتربع فى جلسته على النحو الشرقى . وصفق صاحب الحانوت يأمر بالقهوة والنراجيل

وصافحت الآذان نغمات موسيقية لينة هادئة كأنها آتية من بعيد ، فيها طابع البداوة الساذجة والأيقاع الشرقى

وسرعان ما عبق الجو ببخور خفيف طيب الأريج ، يشعر به المرء وهو يسرى فى أوصاله فيبعث فيها سكينة الأحلام.

وأسبلت « كليوبترة » جفنيها وشاع على محياها اطمئنان جميل . وبعد هنيهة أقبل صاحب المتجر عليها فى تلطف جم كأنه لا يريد أن يزعجها فى جلستها الحالمة ، وقال لها وهو ينحنى أمامها :

أتأذنين فى أن نبدأ عرض الأزياء ؟ لدينا مجموعة فاخرة من أجمل الأزياء العصرية ... لدينا أثواب السهرة ، أثواب الأصيل ، أثواب الرياضة ، مع ملحقاتها من العصائب والحقائب والقبعات وما اليها

فأجابت « كليوبترة » وهى مسبلة الجفنين كأنها تهمس :

أريد أن أشهد أزياء شرقية خالصة !

فقال لها الرجل وهو ينحنى : أمر مولاتى ...

واستدعى بعض عماله فأصدر اليهم أوامره ، وبعد لحظة أقبل أحد الخدم بأقداح القهوة ووزعها علينا ، وكانت الأقداح مرصصة فى صينية فضية عليها نقوش شرقية رائعة ، وأقبل خادم آخر بالنراجيل وكانت من البلور المفرغ ذى التصاوير المبرقشة بشتى الألوان ... وانتقى صاحب المتجر نرجيلة تفضل أخواتها أناقة وحسنا . وتقدم بها الى « كليوبترة » يقول :

لك يا مولاتى أن تجربى هذا الطباق العجمى الأصيل ، انه أنقى طباق تصدره بلاد فارس ...!

ولم يكد يتم جملته حتى وضع النرجيلة عن كثب منها وقدم لها مبسمها العقيقى ترف منه ومضات تخطف الأبصار . فرنت اليها « كليوبترة » لحظة صامتة ثم همهمت :

لم أجرب التدخين قبل اليوم !

فتناول « مارتن » نرجيلته وبدأ يعدها وهو يقول للملكة :

لن تخسرى شيئا اذا دخنت ...!

فقالت « كليوبترة » : ولن أكسب شيئا ...!

وخطا صاحب المتجر بضع خطوات من « كليوبترة » ،

وقال وهو يدعك يديه فى احترام بالغ : بل تكسبين كثيرا
فقالت « كليوبترة » : أحسبك من أنصار التدخين ...
فقال الرجل مبتسما : ومن خبرائه الفنيين ...!!
فقالت « كليوبترة » : انتهى الى علمى أن الطباق لايخلو من سموم

فقال « مارتن » وهو يحاول أن يجـذب أول نفس من نرجيلته : لذلك فكرنا نحن الامريكان أن نتخلص منه باحلال اللبان محله ...!

فقال صاحب المتجر : وهل أفلحتم ...؟

فابتسم « مارتن » وقد نجح أخيرا فى انطاق نرجيلته ، فجعلها ترسل كركرتهـا الأصيلة ، وقال : حقـا لا أدرى يا سيدى ، ولـكنها محاولة محمودة على كل حال فى سبيل مكافحة العادات الضارة ...

فقال صاحب المتجر : لقد سبق لكم يا سيدى أن حاربتم الخمر فشاع بينكم ما هو أدهى منها وأخطر ، فاذا حاولتم جادين أن تحاربوا الدخان وتحلوا محله اللبان ، فما أسرع أن نجد اللبان هذا وقد انطوى على مخدر يفوق فى سمه سم الدخان ...!

فتضاحك « مارتن » وقد اغتبط بكركرة النرجيـلة ، فأخذ يتابع جذب أنفاسه بسرعة . وقال موجها الـكلام لـ « كليوبترة » :

ان صديقنا هذا على جانب من الحق ...!

والتفت الى صاحب المتجر قائلا :

وبماذا تفسر هذه الظاهرة ... ظاهرة اقبـال الانسان على ما يضره ؟ !

فقال الرجل ، وقد راح يشمر كميه :

الأمر يسـيـر ... غاية فى اليسر ... ان الضرر يا سيدى عامل أساسى فى هذه الحياة لا غناء للجنس البشرى

عنه ، والانسان اذا لم يحصل على هذا الضرر بكميات قليله مناسبة فهو منزلق الى أن يناله بكميات وافرة ، والجسم البشرى فى حاجة الى قسط وان قل من السموم لأن على هذا القسط الضئيل يقوم اتزان الجسم واعتداله ...

فهمهمت « كليوبترة » : اتزان الجسم واعتداله ... كيف ؟ !

فقال الرجل فى لهجة كلها رزانة وثبات : الصحة المطلقة ليست بالصحة الطيبة يا سيدتى ... ألا تعلمين أن الدم اذا زاد عن حده فى الجسم احتاج الى حجام ليفصده ويكسر من حدته ؟... ان جسم الانسان يا مولاتى ، ككل مركب آخر من المركبات ، قائم على عنصرى الخير والشر . ولا يمكن أن نجد مركبا خاليا من هذين العنصرين ...

فقالت « كليوبترة » : أنت يا صديقى تتكلم فى أسلوب يحاكى أسلوب الفلاسفة ، وحديث الفلسفة كله نظريات ...

فصاح « مارتن » وهو ينفث الدخان جزافا من فمه :

كلام صائب ... الفلسفة النظرية سفسطة ، لذلك رأينا نحن الأمريكان أن نتركها جانبا ونحل محلها الفلسفة العملية

وقالت « كليوبترة » : ان التدخين يغدو على مر الأيام ــ كما يقولون ــ عادة شديدة الوطأة على المدخنين ، عادة مستبدة عاتية تكبلهم بقيود ثقال

فابتسم صاحب المتجر وقال : هذا صحيح . ولكن الشجاع القوى الارادة من يستطيع أن يجعل العادة طوع ارادته ، لا أن يدعها تستبد به ...!

فقال « مارتن » ، وقد أخذ يسبح فى شبه أحلام عذاب وهو يجذب أنفاسه ثم يرسلها دخانا كثيفا :

العاقل الشجاع من عرف مواطن الشر فتجنبها ...!

فقال صاحب المتجر فى حماس :

لن يكون المرء عاقلا شجاعا أبدا اذا جلس على الشاطىء

يرقب النهر وهو يجرى بمائه الصافى الجميـــل ، بل العاقل الشجاع من استطاع أن يقذف بنفسه فى لجته ليجرب العوم على ما فيه من مغامرة ، فيستمتع بلذته ، ثم يخرج بعــد ذلك ناجيا معافى ...!

فتضاحكت «كليوبترة» وهى تقول : مهما قلت يا سيدى فلن أدخن من نرجيلتك هذه ... فمعذرة ...

فابتسم الرجل وقال : الأمر لك يا مولاتى على كل حال وترك النرجيلة مكانها بجوار الملكة

وفى هذه اللحظة دنا أحد عمال المتجر من مضيفنا وهمس فى أذنه ببضع كلمات ثم انصرف . فقـــال صاحب المتجر للملكة : سنبدأ العرض يا مولاتى ...

وكانت الموسيقى ما تزال ترسل أنغامها المشبعة بالحنين كأنها تمثل سير قافلة تعبر الصـــحراء ظاعنـــة عن الأهل والوطن ، وكان البخور ما برح يعقد سحائبه الرقيقة فتجوب آفاق المكان وتتسلل الى نفوسنا تملؤها انشراحا وبهجة

وبعد قليل بدأ عرض الأزياء . فظهرت دمية بشرية تتلألأ فى حلتها التركية ذات الصدار المزركش والسراويل الحريرية السابغة ، عليها نطاق موشى يبهر العيون . وتبعتها دمية اخرى ترتدى ثوب الفلاحة المصرية الفضفاض ، وتجلجـــل بحليها التى تزحم صدرها وتحجب معصميها ، وخلخالها يرن فى قدميها على ايقاع سوى . وتلتهما دمية ثالثة ترتدى ثوبا بدويا يتألف من عباءة حريرية هفهافة على لون البنفسج ، وعقال مقصب ، تحته خمار ناصع مطرز بالذهب . وتراءت بعدهن دمية رابعة تمثل القاهرية فى ملاءتها البلدية وعصابتها الساطعة الألوان ذات الهداب المصطف على الجبين ...

وتتابعت عارضات الأزياء يرتدين ضروبا من الزى الذى يمثل شتى أرجاء الشرق ... وكانت هاته العارضات يسرن فى لين وتخطر ليبرزن محاسن أثوابهن فى رشـــاقة ودلال ،

وتستدير كل منهن على عقبيها مرة بعــد مرة طوعا للنغم الموسيقى الهادىء الحنون . وكانت الأضواء المختلفة الألوان تسلط عليهن فى روعة وتفنن فتحيل هذه الدمى السائرة أمام الأنظار أطيافا شفافة من عالم الرؤى . وفى أثناء ذلك كانت « كليوبترة » مسترخية فى ضجعتها وهى تنعم النظر معجبة مأخوذة . ثم لمحت يدها وقد امتدت الى مبســم النرجيلة وأدنته من فمها ، ثم راحت تجـذب الأنفاس فى رضا وسرور

ومكثنا على هذه الحال وقتا وكأننا فى حلم جميــل . ثم انتهى العرض فرأينا « كليوبترة » تنهض وئيدة الخطو قاصدة احدى المقاصير ومعها صاحب المتجر تتحدث اليه بمطالبها من تحف متجره . وبعد وقت خرجت الينا ترفل فى ثوب أسيوطى أسود يلتمع فيه نثار ذهبى براق ، وقد بسطت على منكبيها ملاءة بلدية وحلت رأسها بعصابة زاهية يسترسل هدابها على جبينها الوضاح . وكانت تحــاول احكام لف الملاءة على جسمها على نحو ما رأت من الدمية التى تمثل المرأة القاهرية . وأقبلت على « مارتن » تقول مداعبة :

ما رأيك فى هذا الزى يا مارتن ؟!

وكان « مارتن » قد فغر فاه وحملق ببصره فيها كأنه يريد أن يبتلعها بعينيه ، وهمهم : شىء من وراء العقول !

ــ اخترت هذا الزى لأنه وطنى أصيل من صنع بلادى . انى به لمزهوة فخور ...!

ــ انه آية من آيات الابداع الفنى !

ــ ومع ذلك هى ملابس متواضعة يا مارتن ... انظر ...!

ودارت على عقبيها تبسط الملاءة وتلمهــا متضاحكة ، وواصلت حديثها قائلة :

ليس فى هـــــذا الزى شىء من تزاويق أزياء الأمراء والسلاطين !

ــ انك الآن تمثلين الملكة الديمقراطية الحقة التى ترغب فى ان تكون مع الشعب قلبا وقالبا ...!

ــ بل قل أمثل المصرية وكفى ...!

ثم أخذت تصعد فيه نظرها قائلة : وأنت ؟

ــ ماذا ؟

ــ أتظل امريكيا على حالك ؟

ــ وماذا تريديننى أن أكون ؟

ــ ألا ترغب فى أن تكون مصريا مثلى ؟

فانحنى أمامها قائلا : أنا كما تأمرين !

فأشارت « كليوبترة » الى صاحب المتجر ، قائلة له : عليك به ، اصبغه صبغة مصرية ، وعد به على عجل !

وما لبثنا قليلا حتى عاد الينا « مارتن » فى زى عمدة ريفى من عمد العهد الماضى ، وهو يخب فى قبائه وجبته ، والمطرف الكشميرى يلتف حول رقبته ويغطى كتفيه ، وعلى رأسه عمامة مهيبة يترنح رأسه تحتها ، وفىقدميه مركوب احمر يزهو ... وبيده سبحة ذات حبات غلاظ ، فما أن لمحته « كليوبترة » حتى كركرت فى ضـــحكتها ، وقالت لصاحب المتجر : مرحى ! لقد أحسنت صبغته !

وتدانت من « مارتن » وأخذت بيده ، ثم واجهتنا وهى تقول لى : صارحنى يا حضرة السكرتير برأيك فى زينـا ، بماذا تشبهنا ؟

فلبثت مترددا لحظة ، وأنا أنقل بصرى بينهما . وقالت « كليوبترة » :

تكلم ، ليس عليك من حرج ، بماذا تشبهنا ؟

فقلت بعد حيرة وتوقف : عمدة من الريف اختار عروسا قاهرية !...

وخشيت أن تحس « كليوبترة » من قولى ما يثير غضبها فبادرت أستدرك خطئى قائلا : عفوا .. أقصد .. أعنى ..

فقاطعتنى قائلة : لقد أحسنت الوصف !
والتفتت الى « مارتن » تقول :
عمدة من الريف اختار عروسا قاهرية !··· والآن أيها العمدة الهمام ، ماذا تقترح أن نعمل ؟
فصاح « مارتن » فى حماس وفى لهجة تمثيلية :
الى المأذون الشرعى توا ···!
ـ اذن هلم ···
وأخذت بيده وهما يتضاحكان ، واتجها الى الباب وأنا على أثرهما · وسمعتها تقول لـ « مارتن » بعد لحظة :
لقد أوصيت صاحب المتجر أن يعد لنا أصنافا من البخور الممتاز ··· ان رائحته تسكن اليها الأعصاب ، وأعمال المؤتمر ـ كما تعلم ـ مثيرة مرهقة !
ثم نادتنى وقالت : ماذا بقى علينا أن نزوره الآن فى هذه السوق العجيبة ؟!
فقلت لها : متحف الشمع يا مولاتى !
وانصرفنا ، فرأيت « كليوبترة » تقف وقتا لتصلح هندامها أمام المرآة·وكان صاحب المتجر يرافقنا الى الباب، فودعنا أجمل وداع ···
وسرنا فى الطريق المسقوف ميممين شطر متحف الشمع، فقالت « كليوبترة » :
ما أشد ارتياحى لهذا الزى الذى ألبسه ، اذ أنه يخفى شخصيتى···لقد ضقت ذرعا بانتهاب الأنظار اياى···!
على أن أنظار السابلة قد ازدادت لها انتهابا بخروجها فى هذا الزى الطريف ، وخاصة باصطحابها لـ « مارتن » فى مظهره الجديد · وكانت الجموع تحتشد وتشير الى « كليوبترة » خلسة وتتحدث فى شأنها همسا ، وتقول :
هذه كليوبترة فى ملاءة بلدية ···· هذه كليوبترة فى خان الخليلى ···!

وسرنا على هذا النحو حتى بلغنا متحف الشمع، واستقبلنا مديره فى حفاوة رائعة ، وبدأ يطوف بنـا قاعات المتحف ، فكان أول ما شهدناه قاعة « ست الملك » أخت الحـاكم بأمر الله !... وكان المنظر يمثل هـذه الأميرة وهى فى موقف رائع أمام أخيها يحيط بهما أمراء « كتامة » وأعيان الدولة. ووقفت « كليوبترة » مبهورة أمام هذا المنظر اذ كان تمثال « ست الملك » يعبر عن شخصية الملكة ذات الارادة القوية والعزم الشديد . وهى تتألق فى زى خـلاب ... ومالت « كليوبترة » على « مارتن » تقول له :

أتعرف شيئا عن هذه الملكة ؟

ـ أعترف لك بجهلى الصريح فى هذا الموضوع ، ولكننى أستطيع أن أتحدث عن نفسية صاحبة التمثـال مستوحيا حديثى مما أظهره المثال البارع من قسمات وملامح

ـ ماذا استوحيت ؟

ـ أراهن على أن هذه الملكة كانت مفعمة بالحيـوية وقوة الحس ، تضطرم جوانحها بحب ثائر ...

وتقدم مدير المتحف وقال :

تضاربت أقوال المؤرخين فى شأن ست الملك ... فمن قائل انها كانت كثيرة العشاق غير متحفظة فى حبها ... ومن قائل انها كانت قاسية على نفسها طهرا وعفافة ، وقد قضت نحبها عذراء ...

فمال « مارتن » على « كليوبترة » ، وقال :

أخشى أن تكون كالملـكة أليزابيث التى عاشت دون أن تتخذ لها زوجا ... سأهتم بهـذه الشخصية ، وسأجلو أمرها يوما ، وقد أنظم عرضا مسرحيا تكون هى البطلة فيه

فقـالت « كليوبترة » : ليس مهما أن تكون قد تزوجت أو لم تتزوج ، وانما المهم أن تكون قد استطاعت أن تتحكم فى قلوب الرجال وأن تقرر مصايرهم كما تشاء !

ودخلنا بعد ذلك قاعة « هرون الرشيد » ، وكانت تمثل اعتلاء الخليفة الشاب سرير الخلافة ، وعن يمينه «الخيزران» أمه ، عليها مهابة الملك ، يزين رأسها شبه تاج ، وعن يساره « يحيى البرمكى » وحوله الأمراء والجوارى والغلمان

وهمهمت « كليوبترة » مشيرة الى « الخيزران » تقول : هذه ملكة أخرى !

وتقدم مدير المتحف قائلا : لقدكانت شخصية قوية تعد فى طليعة الشخصيات الملوكية فى التاريخ ، فلطالما أدارت دفة الحكم خلف الستار ، وجرت فى عهدها أحداث جسام

فقالت « كليوبترة » لـ « مارتن » : أراهـــن على أنك لا تعرف عنها شيئا !

ـ الذى يتضح لى من مظهرها أنها كانت شديدة الاسراف ... ألا ترين اللآلىء كأنها ثوب يغطيها ؟!

ـ قد تلزم الاحوال أصحاب الشخصيات الكبيرة المطامح أن يجانبوا القصد فى بعض الاشياء ...

وخرجنا من هـــذه القاعة ، واجتزنا قاعات أخر ، كانت كلها تمثل مناظر من شخصيات الملوك والأمراء فى تاريخ الشرق . وأخـــيرا دخلنا قاعة « كليوبترة » وكانت واقفة تجاه « أكتافيوس » ، على حين كان « أنطونيو » طريحا مثقلا بالجراحات ، وهى تمثل فى وقفتها الملكة المصرية فى مظهر الأنفة والكبرياء اللتين لم يضعف من حدتهما ما كان يبدو عليها من حزن ولوعة

ووقفنا لحظة يغشـــانا الصـــمت ، ثم قال « مارتن » لـ « كليوبترة » :

أراضية أنت عن هذا المنظر ؟

ـ ماذا يعيبه ؟

ودنا منها هامسا وقال : أوقف أمامك أوكتافيوس حقا هذه الوقفة ؟

فعبثت « كليوبترة » هنيهة بأطراف ملاءتها ، وقالت :
ان أكتافيوس عاهل عظيم ...!
ـ لا تروقني وقفته أبدا ...
ـ لم ؟...
ـ كان يجب أن يصوره المثال منحنيا أمامك ...
ـ ومن أدراك أنه قد انحنى ؟... ولكن هذا الأنف يا مارتن ؟
ـ أنف أوكتافيوس ؟
ـ بل أنفي في هذا التمثال ...
ـ ماله ؟!
ـ أكذلك هو حقا ؟
وتحسست أنفها ، ورأينا « مارتن » يتحسس أنفه هو أيضا
وواصلت « كليوبترة » قولها :
ألا تلاحظ أن المثال ضخم من أنفي شيئا ؟
فتضاحك « مارتن » وقال :
يقولون انه لو كان أنفك أصغر مما هو لملكت أنت وأكتافيوس العالم أجمع !
ـ هذه أقوال الناس ، فما قولك أنت ؟
فحدق فيها برهة ثم قال : في رأيي أنه لو كان أنفك أصغر مما هو لما ارتقيت ذروة الملك التي وصلت اليها ...
فوقفت « كليوبترة » برهة ساهمة ، ترنو الى تمثالها لا تطرف . ثم رأيتها قد التفتت نحوي بغتة وقالت : ما الذي تعلمه عن أنطونيو يا حضرة السكرتير ؟
فقلت على الأثر : ان القيصر يا مولاتي ملازم مخدعه !
فقال « مارتن » : أمريض هو ؟
فقلت : انه لا يشكو علة . وأحسبه متعبا فحسب ...

فهمهمت « كليوبترة » : لقد أسرف فى الشراب أثناء الحفلة ٠٠٠

فغمغم « مارتن » : أنى أعد نفسى مسئولا عما لحقه ، ولزام على أن أصلح الأمر ٠٠٠

ـ كيف ؟

ـ ان الفتاتين فلورا وجانيت تعملان على افساده ٠ يجب أن أبعدهما عنه

ـ أغدا أنطونيو طفلا تتلاعب به الغادات ؟ انه ليخجلنى أن أعلم أن رفيقا من سكان العالم الآخر ،كله طهر وصفاء ، تصدر منه هذه الفعال ٠٠٠

فقال « مارتن » وهو يعبث بقلم من أقلام الحبر التى تزحم جيب صداره :

ـ أخشى أن تكون لدنيانا ، على ضآلتها وتفاهتها ، من القوة والبأس ما لا تستطيع معه أشد العناصر وأمنعها من الاحتفاظ بشخصيتها كاملة لا تتغير ٠٠٠

فرأيت « كليوبترة » تأخذ طريقها ، هينة الخطا ، الى باب القاعة وهى تقول :

خل عنك هذا يا مارتن،ان دنياكم لأضعف من أن تؤثر فى شخصية بعوضة ٠٠٠ وعلى أية حال فأنطونيو بين يدى العالم الروحانى ، وسيعفيك من مئونة الاهتمام بأمره ٠ سيعمل على اعادته الى موطنه الأصيل حيث كان ٠٠٠ ثق بأنى قد نفضت منه يدى ٠ ان مشاغلى التى جئت هذا العالم فى شأنها ، لأكبر من أن تدعنى أولى أمر أنطونيو أقل اهتمام ٠٠٠

وخرجنا من متحف الشمع بعد أن اجتزنا قاعاته ، وتفحصنا شخصياته ، وعدنا الى الطريق المسقوف ٠ وبدا على وجه « كليوبترة » ظل من الهموم ، ولم تعد تتبسط فى الكلام ، واجتزنا ببائع زهور ، فوقفت « كليوبترة » أمامه

وانتقت مما عرضه عليها طاقة من الفل على شكل تاج، وكان قريب الشبه بالتاج المرصع الذى يزين راس « الخيزران » فى قاعة « هرون الرشيد » وخلعت « كليوبترة » عصابتها البلدية وأحلت طاقة الفل محلها ، وقالت لـ «مارتن» وهى تناوله العصابة :

انها تضـــايق رأسى ، وأراها لا تجـدى نفعا فى اقرار شعرى ، وهذه الطاقة أحسن ، لأنها من صنع الطبيعة ، وانى أوثر الطبيعة فى كل شىء ...

ومررنا بحانوت يعرض فى وجهته عباءات حريرية ثمينة، وأشار « مارتن » الى احداها ، وكانت سماوية اللون موشاة بالقصب ، فقال : انها شديدة الشبه بعباءة « ست الملك » التى شهدناها فى متحف الشمع

وما لبثنا أن رأينا « كليوبترة » و « مارتن » يدخـــلان الحانوت ثم يخرجان بعد قليل ، وقد استبدلت «كليوبترة» بملاءتها القاهرية تلك العباءة السماوية اللون ، وكانت تسير فى خطا وئيدة وقد رفعت هامتها وأكسبت ملامحهـــا بعض مظاهر العظمة والخيلاء

واجتزنا الطريق صامتين ، وركبنا السيارة عائدين الى معبد أبى الهول فى منطقة الاهرام

وكانت « كليوبترة » أثنـــاء الطريق على حالها ، نزرة الكلام ، ساهمة النظرات . وكان « مارتن » يسارقها النظر دائما ، متهيبا أن يقلق سكينتها

ولما بلغنا المعبد ، نزلت « كليوبترة » من السيارة ، فقال لها « مارتن » :

أرجو أن تكون الزيارة قد صادفت منك ارتياحا !

ــ كل ارتياح يا مارتن ... أشكر لك صحبتك اياى ... متى أراك ؟

ــ وقتما تشائين !

فقالت مسترسلة : تعال بعد الغداء ··· بل تعال نتغذ معا ··· ان ···

ثم توقفت عن الكلام كأنها تستدرك ما فرط منها ، واذ بها تقول : بل الأوفق تأجيل ذلك الى فرصة أخرى ··

ـ سأتصل بك تليفونيا ···

ـ كما تشاء ···

وانحنى على يدها مقبلا ، ثم ودعها

وانتحت «كليوبترة» ناحية المعبد ، فتقدمت منها وقلت: أتريد منى مولاتى شيئا ؟!

ـ كلا ··· أشكر لك···متى يعود المؤتمر الى الانعقاد؟

ـ سأتعرف اليوم موعد انعقاده ثم أخبر مولاتى ···!

ومضيت أستطلع نبأ المؤتمر ، فأخبرت أنهم سيستأنفون عقد الجلسة صباح غد فى الحادية عشرة ، فسارعت الى الاتصال بالاعضاء أنقل اليهم ذلك الموعد، ثم رجعت أدراجى الى المعبد لألقى « كليوبترة » ، وكان الوقت اذ ذاك قبيل الغروب · ولما استأذنت عليها كانت فى القاعة الكبرى مع « أنطونيو » ، واقفة قبالته فى كبرياء وتعاظم · وسمعته يقول لها :

لقد بنيت عزمى على الرحيل غدا ···

فأجابته : ذكرت لك غير مرة أن مسألتك بين يدى العالم الروحانى ···!

ـ جئت لأودعك ···

ـ وقد ودعتنى ···!

ـ أرجو ألا تكونى قاسية الى هذا الحد يا كليوبترة !

فالتفتت الى « كليوبترة » وقالت :

لقد انتهت زيارة القيصر يا حضرة السكرتير ···!

فشعرت بحرج ، والتفت الى « أنطونيو » أستوضح منه ماذا أفعل ··· ومضت فترة قلقة ، كنا فيها نحن الثلاثة

صامتين ينظر بعضنا الى بعض ، ولكن سرعان ما أنقذني أن التليفون أخذ يدق ، فهرعت اليه ، ثم عدت الى « أنطونيو » اقول له في حيرة : الآنســـــة فلورا تطلبك في التليفون يا سيدى ...

فصاح بي : لا أريد التحدث الى أحد ... لا أريد ...!

ـ وماذا أقول لها ؟

ـ قل لها ما تريد !

وعدت الى التليفون ، وأخبرت « فلورا » أن « أنطونيو » في جلسة خاصة مع بعض أعضاء المؤتمر . ولما عدت سمعته يقول لـ « كليوبترة » :

أعترف لك بأن موقفى فى الحفلة لم يكن بالحميد . ولكن ثقى بأنني حسن النية . وأن ما بينى وبين الفتاتين ليس الا صداقة بريئة

فاشتد توهج خديها ، وقالت فى صوت متهدج :

لا يهمنى نوع العلاقة القائمة بينك وبينهما ، الذى يهمنى هو سلوكك.سلوك كائن من عالم الروح جاء الى هذه الارض ليكون نموذجا للطهر والعفاف

فصاح في حماس : ما زلت نموذجا للطهر والعفاف !

وعاد التليفون يدق . وقصدت اليه ثم عدت وأنا أقول لـ « أنطونيو » : الآنسة جانيت تطلبك يا سيدى ..!

فصاح « أنطونيو » صيحة منكرة :

قلت لك لا أريد أن أتحدث الى أحد ...!

فصاحت « كليوبترة » قائلة له :

بل يجب أن تذهب أيها الاحمق السادر لتتحدث اليها ، يجب أن تتم مأساتك المخجلة وأن تجعل مسرحها مسكنى !

ـ لم أطلب من أحد أن يتحدث الى.انهما تلاحقاننى...!

ـ يا للزهو ... ويا للفخــار ... حقا انك قد ربحت أكبر المعارك خطرا أيها القائد العظيم بانتصــارك على قلب

هاتين الغادتين ··· مرحى ··· مرحى ···!

فلمعت عينا « أنطونيو » غضبا ، وقال :

انك تمعنين فى اهانتى يا كليوبترة ··· فحذار !

فوقفت أمامه شامخة الأنف وقد عقدت ســـاعديها على صدرها ، وقالت :

ما الذى تستطيع أن تفعله أيها الأحمق ···؟!

ـ سترين ···!

ثم وجه الكلام الى قائلا : قدنى الى مكان التليفون ··· وهم بالسير ، فرأيت «كليوبترة » قد وقفت قبالته تملك الطريق عليه ، وصاحت : أتجسر ؟···

ـ سأفعل ما يروقنى ···!

فهوت « كليوبترة » بكفها على وجهه وهى تدمدم : وقح ··· سفيه ···!

ورأيت « أنطونيو » وقد تصلبت عضلاته يقف أمامهـــا كالتمثال ، يحدق فيها صامتا بعين تقدح شررا · وانقضت برهة · وكل منهما واقف تجاه الآخر ، يرمقه شزرا ، ثم رأيت « كليوبترة » وقد حولت رأسها عنـــه ، وسارت فى خطوات مضطربة الى المقعد ، وتهالكت عليه ، وقد بدا عليها الضعف والخور وأخذ وجهها يمتقع · أما هو فارتسمت على شفتيه ابتسامة هزيلة ··· وبغتـــة ألفيت « كليوبترة » ، وقد أخفت وجهها فى منديلها ، واندفعت تنشج···ولمحت « أنطونيو » يتجه نحوها بطىء الخطا ···

وأحسست أن موقفى أصبح لا محل له ، فتركت البهو منسحبا ، أسير على أطراف أصابعى ، وقد أخذ منى العجب كل مأخذ !

رجعت الى منزلى لأستريح ، وأستعد لجلسة المؤتمر فى الصباح · فوجدت « عبد العـــال » الحاجب ينتظرنى ومعه أوراق ورسائل ، فأكببت عليها أتفحصها وأرتبها · عـــلى

حين مضى « عبد العال » يهيىء لنفسه مغلى النعناع٠٠٠وعاد بعد قليل يحمل الصينية ، وجلس على الارض فى هــــدوء يحتسى قدحه ، وبعد أن أرسل تجشؤة ضخمة ، ســمعته مغمغما ، يقول : أريد الافضاء بأمر اليك ٠٠٠

فقلت وأنا بتصفح الأوراق مشغول : قل ٠٠٠

ـ أرغب فى تقديم استقالتى !

فرفعت اليه وجهى ، قائلا : ماذا ٠٠٠؟

ـ أقول أرغب فى الاستقالة من عملى ٠٠٠ ان الاستقالة معى ٠٠٠ وقد كتبتها ، وانى أقدمها اليك٠٠٠انها قانونية على ورقة « تمغة » ٠٠٠

وأخرج من جيبه ورقة مطوية ، وهم بأن يقـــدمها الى ، فقلت له : لقد جننت حقا يا عبد العال ٠٠٠!

ـ لماذا ؟٠٠٠

ـ أيفر القائد من الموقعة وهو على وشك الانتصار؟أعزب عنك عظم الفائدة التى ستجنيها بعد انتهاء المؤتمر ؟٠٠٠

ـ أية فائدة ؟

ـ سيكون اسمك فى الخالدين أيها الأبله ٠٠٠ سيتردد ذكرك فى العالمين ٠٠٠ حاجب مؤتمر المدينة الفاضلة كله ، أفى هذا تزهد نفسك ؟ ألا ما أغباك ٠٠٠!

ـ لا يهمنى من ذلك شىء ، ان متاعبى التى تجشمتها فى المؤتمر لا حصر لها ٠٠٠ لقد ازداد تلبك معدتى واشتد بى

ـ و « الميدالية » الذهبية التى تنتظرك ٠٠٠؟!

ـ أتساوى كثيرا هذه « الميدالية » فى الرهن أو البيع ؟

ـ انها شرف عظيم ومجد باق ! لماذا أجدك دائما منصرفا الى المادة ؟

ـ اننى أبحث عن شىء أطعمه وتطعم منه أسرتى٠٠٠ذلك هو المجد الباقى والشرف العظيم ٠٠٠!

ـ تصور يا عبد العال ما ستشـــعر به من غبطة وفخر

حينما تعلم أنك أحد الذين وضعوا للعالم أسس الطمأنينة الأبدية والسلام العام

ـ اسمح لى ياسيدى أن أصارحك بأنك قصير النظر ••• أراك شديد التفاؤل بنتائج المؤتمر •••!

ـ ماذا ؟ ألا تقدر لهذا المؤتمر نجاحا ؟

ـ بعد هذه الحفلة التى شهدتها وكان حاضرها أعضاء المؤتمر لن أقدر للمؤتمر أى نجاح•••ألم تر سلوك الأعضاء وما أظهروه من نزوات ومعابث ؟ أخليق هذا بمؤتمر يفكر فى نعيم البشر ؟! ألم تر ما فعله مندوب البلاغة الدولية فى حلقة الرقص ؟••• وهذا الأمير التترى الذى طالما أفضتم فى حديث شجاعته ، وأنه قد نزل من العالم العلوى ليصلح ما أفسده الدهر فى عالمنا الموبوء ••• لقد كان منظره كالأطفال وهو يراهن فى حلبة السباق !

ـ انه لهو برىء، وانه تنفس الراحة بعد العناء والكد••• وأنت يا عبد العال ••• ألم ترقص مع الراقصين ؟

ـ رقصت وطبلت وزمرت ••• ولكن من أنا بجانب هؤلاء ؟ على أنى كما ترانى أقدم اليك استقالتى !

وجرع من قدح النعناع جرعة وافرة ، فحدقت فيه مليا، وقد شغلنى التفكير فيما قال ، ثم قلت له :

ألا تناولنى قدحا من نعناعك المغلى ؟

جلسة الميثاق

٢٨ يناير

في صباح هذا اليوم خرجت مبكرا الى المعبد ، فقابلت كبيرة الوصائف وسألتها قائلا : كيف الحال ؟

ـ نعم الحال يا حضرة السكرتير

فدنوت منها ، وأنا أقول خافض الصوت :

كيف انتهت زيارة أنطونيو ؟

فابتسمت ابتسامة لطيفة ، وهى تقول :

لقد تناول العشاء مع كليوبترة على ضوء القمر بجوار أبى الهول . وكثيرا ما كان فى أثناء الطعام ينحنى على يديها يلثمهما ...

ـ وهى ؟

ـ لقد راجعها صفاؤها ...

ـ حمدا لله ...!

ورأيت الوصيفة تدنو منى ، وتهمس فى أذنى :

أتعلم ؟ لقد سمعت أطراف حديث بينهما يتعلق بمعهد تجميل وطبيب روسى مشهور يجيدالجراحة لزينةالوجه...

ـ مدهش ...

ـ والأدهش من ذلك أنه قد وصلت الينا بضائع من مخازن بنت السلطان فيها ملابس مختلفة ...

وفى تلك الفترة سمعنا جلجلة بالباب ، واذا « زين السيوف باشا » يظهر بغتة ، ويدخل بخطواته الثقيلة ، وقامته الفارعة يتلفت حواليه متفحصا ، وقد زوى ما بين حاجبيه ، وسأل عن « كليوبترة » من فوره ، فأخبرته بأن الملكة لم تغادر بعد مخدعها ، وأشرت الى مقعد يجلس عليه

ليستريح ، فأجابنى فى لهجة مقتضبة : حسنا ... حسنا

ولم يقصد الى المقعد،بل جعل يذرع القاعة ذهابا وجيئة، ولاحظت أنه يحمل فى يده علبة ضخمة ثمينة ، أكبر الظن أنها من علب الحلوى ، ولم يشأ أن يتركها ، بل ظل يحملها فى جيئته وذهابه

وبعد حين فتح باب المخدع وظهرت منه « كليوبترة » ، وكانت ترتدى عباءة قشيبة لم نرها ترتديها من قبل.وهى من طراز عباءة « ست الملك » وقد حلتجبهتها بتاج مرصع يشبه تاج الخيزران . وما ان رآها « زين السيوف باشا » حتى هرول اليها يحييها ، فاستقبلته بابتسامة مصنوعة ، وحيته فى تلطف ينطوى على تكلف . والتفتت الى تقول :

هل السيارة معدة يا حضرة السكرتير ؟

ـ انها بالباب يا مولاتى ...

ـ نخرج اذن ...!

فقال « زين السيوف باشا » : ألا تسمحين لى بكلمة ؟!

ـ سنذهب معا يا جنرال ... ألا تريد ؟

ـ لم تكن بالحفلة الناجحة ، حفلة جمعية الرغيفالأسود

ـ لقد أحسنت بانصرافك عنها ...

ـ كنت متعبة ...

ـ لقد بحثت عنك كثيرا ، فأخبرونى بأنك غادرت المكان ... كنت أرغب فى أن أصحبك ...!

ـ لا عليك ... كان وجودك بين أعضاء المؤتمر ضروريا

ـ ولكن كان واجبا على أن أصحبك ... لا أدرى كيف اختفيت من الحفلة سريعا !

ـ قلت لك كنت متعبة ...

وتهيأت « كليوبترة » للخروج ، فدنا منهـا فى تضرع ، وقال وهو متلجلج :

أرجو ألا يكون قد ضايقك منى فى تلك الليلة شىء !...

ـ كن على ثقة أنه ليس فى الأمر ما يستوجب المؤاخذة
وتابعت خطواتها ، فلاحقهـا وهو يقـول : أرغب فى صفحك ٠٠٠ !
ـ عن أى شىء تطلب الصفح يا جنرال ؟!
ـ سننسى كل ما وقع ٠٠٠
ـ لم يقع شىء يقتضى النسيان !
والتفتت الى تقول : تقدمنا يا حضرة السكرتير ٠٠٠
وذهبت من فورى أفسح الطريق ، وأطلب السيارة
وركبنا جميعا ، فانطلقت بنا السيارة الى قصر الورد
وغشي « كليوبترة » و « زين السيوف باشـا » الصمت برهة ، وكان صمتا قلقا ، حاول « زين السيوف باشا » أن يقطعه بكلمة أو بسعلة فلم يفلح ، واستطاع أن ينبس بعد حين بعبارات كانت « كليوبترة » تجيب عنها بأجوبةخاطفة لم تخل من أدب ٠ ولما بلغنا قصر الورد تركنا السـيارة ، ولاحظت أن «زين السيوف باشا» قد بدا عليه تجهمواضح ٠ وصعدت «كليوبترة» فى درج القصر ، وكان بعض الأعضاء واقفين فى أعلى السلم ، فما أن لمحوها حتى هبطوا اليهـا يستقبلونها ويحيونها ، وكان أسبقهم « أنطونيو » اذ قفز اليها يحييها فى ابتهاج واشراق ، فردت «كليوبترة» تحيته فى لطف بالغ ٠ وأحاط بها الاعضاء ، وصعدوا جميعا معها الى البهو الكبير ٠ وكانت تضـاحكهم فى رقة ومجاملة ٠ واشتبك الجمع فى حديث مؤانسـة ، على حين كان « زين السيوف باشا » على أول درج السلم واقفا يحملق والثورة تتأجج فى قلبه ٠ وفجأة ألفيته يقذف بالعلبـة من يده ، ويركلها بقدمه ركلة شديدة بعثرت محتوياتها من الحلوى ذات اليمين وذات الشمال ، فتهافت خـدم القصر وحراس السيارات يلتقطون الحلوى
ورأيت « كليوبترة » تنتحى ناحية بـ « أنطونيـو » ،

وصافحت أذنى من حديثهماكلمات : معهدالتجميل ، الجراح الروسى ... وكانت وهى تحدثه كأنها توصيه بأن يؤدى لها مهمة . وسرعان ما نزل « أنطونيو » مغادرا قصر الورد

وبعد فترة حضر العـــالم الروحاني فى صحبة رئيس المؤتمر . وما ان انتهت واجبات التحية والترحيب ، حتى رأيت العالم الروحانى قد أخذ بيد « كليوبترة » جانبــا ، وسمعته يقول لها : لقد اعتزمت أمرا فى شأن أنطونيو . انى قضيت شطرا من الليل متصلا بالعالمالأثيرى،فانتهيت الى أن ارحاله لابد منه ...

ــ بين يديك أمره ....!

ــ لقد أوصيت بطائرة أثيرية لتقله

ــ أترى أن العودة أصلح لحاله ؟

ــ البيئة هناك لها أثرها فيه . أما هنا فانى أخشى عليه الفساد . وقد ظهرت عليه بوادره !

ــ أنت تعلم أن أنطونيو لابد له من هاد ، هاد ناصـــح يلازمه ... فهل تظنأنه واجد ذلك الناصح الهادىهنالك؟

ــ لا أجزم بشىء ... وكنت أظنه سيكون تحت اشرافك هنا ، ولكنك أخبرتنى أنك تخليت عنه ...

ــ الرأى عندى أن تتولى أنت الاشراف عليه ، لنرى ماذا يصير اليه أمره ....!

ــ ولم لا يكون تحت اشرافك أنت وقد كنتما معـــا فى العالم الآخر ؟

ــ ان مشاغلى كثيرة،وليس فى استطاعتى أن أزيدها... ولكنك اذا أصررت فانى لا أرفض لك مطلبـــك ، عـلى أن تشترك معى فى ملاحظته ورعايته

فأخذ العالم الروحانى ينظر اليها مليا متفحصا مفكرا ، ثم همهم :

لا بأس ... لا بأس ....

وظهر آنئذ مندوب البلاغة الدولية يرفل فى حلة بالغة الأناقة ، على رأسه قلنسوته التقليدية ، وفى يده عصاه الثمينة ، وشاهدنا خلفه « زين السيوف باشا » مجاهدا فى كبح غضبه ، والظهور بالمظهر المألوف وهو يحيى الحاضرين تحية عابرة ... وتتابع الجمع على قاعة المؤتمر. وفيما هم يتوافدون اذ بـ «تيمورلنك» مقبل يزحمهم متوكئا على عصا غريبة الشكل ، وأقبل على الاعضاء يحييهم فى بشر وطلاقة. وقد لفتت العصا أنظار الزملاء فتناقلوها يتفحصونها فى اعجاب

وكانت قوية الساق ذات عقد كثيرة ، كأنها جذع شجرة اجتثت من الارض ، وكان لها مقبض على شكل طائر نادر

وأخذ « تيمورلنك » يقول : لقد اضطررت الى استعمال هذه العصا مع بغضى لها ... ان ساقى عادت توجعنى !

فابتسم العالم الروحانى ابتسامة خفيفة وقال :

انها على كل حال رمز الضرب والحرب ...

فقال « تيمورلنك » : لولا اضطرارى اليها لما حملتها يدى !

فاشرأب مندوب البلاغة الدولية قائلا :

ان عصاى لا تفارقنى دائما وان كنت لا أتخذها لحرب ولا لضرب !

فدنا منه وزير المناطق الجنوبية السبع ، وهو يدرج بجسمه المتكتل القصير ووجهه المقبب ، وقال لمندوب البلاغة وعلى وجهه ابتسامة دعابة :

ولم تتخذها اذن ؟

فقال مندوب البلاغة الدولية : انى أعتبرها صديقا وفيا أركن الى صحبته وأصغى الى أحاديثه مستلهما اياه حل المعضلات ...

وكان « زين السيوف باشا » يبـــدو فى وقفته الصلبة منهمكا فى فتل شاربه ، فقال :

ان العصا يصح أن تكون سلاح دفاع لا ســلاح هجوم ، فليس فى حملها ضرر

فربت « تيمورلنك » كتفه قائلا :

ان السلاح مكروه على أية حال ، ويجب أن تعترف بهذه الحقيقة

ولفت نظر الجمع مقبض العصا على شكل الطائر ،فأخذوا يتحدثون فى شأنه فمنهم من قال : انه ضرب من الخفافيش ومنهم من قال : انه قريب الشبه بالببغاء ، ومنهم من قال انه الرخ ... وكان « زين السيوف باشا » ومندوب البلاغة الدوليـــة صامتين يصغيان وينظران الى المقبض . فانبرى مندوب البلاغة يقول فى تؤدة الواثق : مالكم تختلفون ؟ ان نصفه الأعلى على شكل الأنوق ، ونصفه الأدنى على شكل العنقاء ، وهذا رمز يمثل العزة والمباهاة ...

فابتسم « تيمورلنك » والتفت الى «زين السيوف باشا» وقال له :

وأنت ما رأيك ؟

فقال فى منطق المعتز بما يقــول : يلوح لى أنه نسر من النسور الفواتك !

فرأينا « كليوبترة » تقول على الفور : كلا ... كلا ... أراك بعدت عن الحقيقة يا جنرال ... ان الطائر عليه ملامح الوداعة ...!

فحاول « زين السيوف باشا » أن يقترب من «كليوبترة» فتباعدت عنه ...

وهنا هز مندوب البلاغة الدولية عصاه فى يده ، وقال :

لا تتعبوا أنفسكم فى غير طائل ، قلت لكم نصفه الأعلى طائر الأنوق ونصفه الأدنى طائر العنقاء

ورأينا « عبد العال » الحاجب يتدانى فى خطوات زاحفة، وهو يرمق تمثال الطائر ، ويقول : ان أذنتم يا سادة قلت كلمة فى هذا الموضوع ...

فابتسم العالم الروحانى ، وقال : تقدم ... تقدم ...

على حين كان وزير المنـــاطق الجنوبية السبع قد عبس وغمغم مستنكرا قدوم الحاجب واختلاطه بأعضاء المؤتمر... وكذلك لم يســتطع منـــدوب البلاغة أن يخفى تأففه ... وتفحص « عبد العال » تمثال الطائر وهو يقول :

لا شك أن هذا الطائر قريب الشبه بالحمام !

فقال « تيمورلنك » :

لقد أصبت أيها الحاجب ... وانى أهنئك ...!

وضرب بيده كتف « عبد العال » ضربة أبعدته عن الجمع

والتف الجمع حول « تيمورلنك » قائلين : أحمامة حقا ؟!

فوقف « تيمورلنك » وسط الحلقة ، وأخذ يتكلم بلهجة المحاضر المهيب :

ان هذا التمثال أيها السادة يصور الحمامة التى بعث بها نوح من سفينته الى الأرض تستطلع أخبار الطوفان...وهى من الحمام البدائى المتفرع من طير آخر فى سلم التطور ...

فهمهم الجمع قائلين : من أين علمت هذا ؟...

ـ لقد جبت أنحاء القاهرة أبحث عن عصا توافق مزاجى، فعثرت على هــذه العصا عند بائع التحف ، وقد أكد لى أن الحفار رسمها مستوحيا حمامة نوح !

فقال العالم الروحانى : عجيب هذا !.. ان الاســطورة والعلم ليتحدان فى هذا الطائر !... ولــكن الأعجب أن يهتدى عبد العال الى حقيقة التمثال ، وكلنا غفل عنها ...

وكان وهو يقول ذلك ينظر الى « عبـــد العال » نظرة ملاطفة وتودد

فقال « عبـد العال » وهو ينظر الى « تيمورلنك » نظرة مداهنة وحذر :

لم أجهد نفسى كثيرا يا سيدى العالم فى معرفة ذلك... حسبى أنى على يقين من أن تيمورلنك العظيم لن يختار الا شيئا يمثل الوداعة والمحبة والسلام ، ومن أحق بهذا كله من الحمام ؟!...

فقهقه «تيمورلنك» يقول : أنت رجل داهية أيها الحاجب!

وما عتم أن وقعت عينه على ساعة الحائط ، فقال :

لقد أطلنا الحديث فى العصا أيها الرفاق ... ان جدول الجلسة مشحون

ثم ضرب بعصاه الأرض ، ورفع عقيرته قائلا بلهجة الأمر:

الى المقاعد أيها الرفاق !

وانبعث الجمع ، وأخذ كل مكانه من المجلس ، واتخذت « كليوبترة » مقعدها بجانب الرئيس ، وجلس «تيمورلنك» عن يمينها . أما مندوب البلاغة الدولية فقد استقر فى مقعده بعد أن استوثق أنهم جاءوا له بالوسائد والحشايا...

وسمعنا « تيمورلنك » يعلو صوته قائلا :

والآن يا حضرة السكرتير ... اقرأ ما لديك ...

فرأينا رئيس المؤتمر يقوم ، وقد ارتسمت على وجهه أمارات الامتعاض، وأخذ يحك بأصبعه جلدة رأسه الأصلع، وقال وقد التفت الى « تيمورلنك » :

لم نفتتح الجلسة بعد أيها الزميل الموقر !

ثم صمت وقتا ، وأخذ يقلب أوراقا بين يديه ، وبعد تنحنحات أطالها عامدا، قال بصوت جلى : فتحت الجلسة...

ثم جلس متمكنا فى مقعده ، ولكنه ما كاد يفعل ، حتى صاح « تيمورلنك » :

اقرأ جدول الاعمال يا حضرة السكرتير ...

فوقفت قائلا :

ان فى رأس الجدول اقرار صيغة المادة الأولى من ميثاق السلام ...

فقال العالم الروحانى :

ألم نفرغ بعد من الصيغة ؟ أحسبنا قد انتهينا منها... المسألة هينة...اكتب : « الحرب ممنوعة بتاتا فى أى وضع من أوضاعها ... »

فنهض « زين السيوف باشا » بقامته الفارعة ، وقال :

يجب أن نفسر مدلول كلمة « حرب »

فهب مندوب البلاغة الدولية ، وقال :

أجل ، يجب أن نبحث لفظة « حرب »

ثم تلفت حوله ، وغمغم فى تضايق :

أين خزانة الكتب ؟ لماذا لم يحضروها لى ؟!

ورمق « عبد العال » شزرا ، وصاح بصوت متحشرج : ألا تعرف أيها الحاجب البليد أن خزانة الكتب يجب أن تكون حاضرة بجانبى ؟!

فنظر اليه « عبد العال » لحظة متأملا ، ثم همهم :

سأحضرها على الفور ...

وخرج عجلا . ورأينا مندوب اتحاد أوربة الشمالية بقامته العجفاء وقد انطلق منهمكا يمسح نظارته الفردية ويثبتها على حق عينه ، وقال :

ألا ترون أيها الزملاء الأجلاء ، رعيا لأصول المجاملة ، أن نبعث برسالة الى مندوب جمعية الرغيف الاسود نشكر له ما لقينا من حفاوة بالغة ؟

فتعالت أصوات قائلة : رأى صائب !

وقمت أنبه الرئيس الى مسألة ذات شأن ، وقلت :

بهذه المناسبة أخبر سعادة الرئيس أن لدينا برقيات ورسائل وصلت الينا من هيئات مختلفة تشكر مسعى

أعضاء المؤتمر فى معونة جمعية الرغيف الاسود بحضور ذلك الاحتفال

ثم أخرجت من الحقيبة رزمة ضخمة ، وأشرت اليها ، فقال الرئيس :

اقرأها رسالة رسالة !

فقال العالم الروحانى : يبدو أن عددها كبير ...

فقال وزير المناطق الجنوبية السبع :

أقترح تأليف لجنة لقراءة هذه الرسائل والرد عليها...

فنهض مندوب اتحاد أوربة الشمالية يقول : ما زلت عند رأيى الذى أبديته فى مناقشة سابقة من أن اللجان أكبر معطل لانجاز الاعمال ...

فأسرع وزير المناطق الجنوبية السبع يقول ، والكلمات تتراقص على شفتيه فى تأتأة بالغة : ولكننا أمام عشرات من الرسائل...أيرغب العضو المحترم فى أن نضيع وقتنا فى قراءتها ؟!...

فنهض مندوب اتحاد الشرق الأعلى ، وقد انتفش عثنونه، وقال :

يجب أن نطلع جميعا على هذه الرسائل !...

فقال العالم الروحانى : ألا نفرغ أولا أيها الزملاء المبجلون من وضع المادة الاولى من ميثاق السلام ؟!

فعلا مندوب البلاغة بكتفيه ، وقال :

لم يحضروا لى بعد خزانة الكتب...أين الحاجب البليد ؟

وقال « تيمورلنك » فى صوت عريض : يجب أن نعلم على الأقل أسماء من بعثوا الينا بهذه الرسائل !... اقرأ يا حضرة السكرتير ...

وبسطت الرسائل أمامى ، وجعلت أقول : من الشعبة الدولية لمحاربة الفاقة ، من هيئة الرفق بالعراة ، من جماعة المطالبة بالعدالة الاجتماعية ، من رابطة مقاومة الجوع ، من

اتحاد جمعيات الفرد للمجموع ، من ...

وهنا قاطعنى وزير المناطق الجنوبية السبع ، يقول : لقد كان معنا مندوب ذلك الاتحاد فى الحفلة ، رجـــل نشيط نهاض صادق الرغبة فى خدمة البشرية

فقال مندوب اتحاد الشرق الأعلى : وقد خسر فى السباق خسائر فادحة ... لقد كان متهورا فى اللعب ...!

فهمهم « تيمورلنك » : لا تنس أيها الزميـــل المحترم أن أحدا لم يربح فى السباق ... ان هذه اللعبة كانت وسيلة شريفة لجمع ربح طيب لصندوق الجمعية

وهنا تكلمت « كليوبترة » فى صوتها المنغم قائلة :

لم تقرروا بعد أترغبون فى احالة هذه الرسائل الى لجنة للرد عليها ، أم نطلع كلنا عليها ونبدى رأينا فيها ؟!

فقال «تيمورلنك» : أرى أن نحيل هذه الرسائل الى أحد الاعضاء وندع له حرية التصرف . هـــذا أجدى !... واذا رأى المؤتمر أن يكل هذا الأمر الى فانى أرحب بذلك ــ على ما فى هـــذا العمل من متاعب ومشاق ــ خـــدمة للمؤتمر وتيسيرا لأعماله ...

فقال الرئيس ، وهو يتفحص الحاضرين كأنه يلتمس أن يشاركوه الرأى :

لا ريب أن احالة هذا العمل على عضو واحد ، فيها اقتصاد للوقت وتيسير للاعمال . ولكن هذا العضو ــ أيهـــا الزملاء الموقرون ــ يعبر عن رأيه وذوقه ، فقد يورطنا فى أمر يجلب على المؤتمر بعض المتاعب التى نحن فى غنى عنها ... هذا مع احترامى البالغ لمقدرة الزميل العظيم تيمورلنك !

فرمقه « تيمورلنك » بنصف عينـــه ، وقال وهو متمكن فى جلسته :

وماذا يرى حضرة الرئيس المبجل حلا لهذه المشكلة ؟

فقال الرئيس وقد تعالت يده الى رأسه الأصلع يحك جلدته بخنصره :

أرى أن نشرك عضوا آخر مع الزميل الموقر تيمورلنك ليساعده فى انجاز هذه المهمة على الوجه الأمثل

فقال مندوب اتحاد أوربة الشمالية :

ألفت نظر الرئيس المبجل الى أن هذا معناه تأليف لجنة

فنهض « تيمورلنك » يقول : انى أعد اشراك شخص آخر معى مظهرا من مظاهر ضعف الثقة بالاعضاء ، وأنى لمتنح عن هذا العمل من تلقاء نفسى ...

فقال الرئيس ، وقد اشتد فى حك جلدة رأسه بخنصره:

معاذ الله ألا يثق المؤتمر بأعضائه !... انى باقتراحى هذا أرغب فى الأخذ بمبادىء الديمقراطية ، حيث يكون الأمر شورى ...

فقال مندوب إتحاد أوربة الشمالية :

اذن فالأجدر بنا ــ أخذا بمبادىء الديمقراطية الصحيحة ــ أن نشرك جميع الاعضاء فى هذا الأمر . فلا نقرر شيئا الا بعد أخذ الاصوات . هذا رأيى ...!

فنهض « زين السيوف باشا » ، وقد أحدثت جلجلته صوتا أفزع مندوب البلاغة الدولية ، وكان قد أخذته سنة من النوم ، فثاب الى يقظته ، وهو يتلفت حوله جزعا ... وقال « زين السيوف باشا » :

انكم لو أخذتم بمبادىء الديمقراطية على الوجه الذى سمعته الآن لضاع وقتنا هدرا ، ولتشعبت أعمالنا وتشابكت ...!

فنهض «تيمورلنك» ، وقال عالى الصوت : ما زلت مصرا على رأيى . تجب احالة هذه الرسائل على عضو واحدومنحه السلطة التامة فى وضع الردود ... وانى أقترح أنيوكل هذا الأمر الى الزميل المحترم زين السيوف باشا ...

فقام وزير المناطق الجنوبيــة السبع ، وقال فى تأتأته المعهودة :

لزام علينا أن نسير وفق مبادىء الديمقراطية الحرة٠٠٠!

فقال « زين السيوف باشا » : ولو كان فى هذه المبادىء ما يعطلنا ويؤخرنا ؟

فقال الرئيس : ان مبــادىء الديمقراطية صحيحة ، لن يخيب من يأخذ بها ٠٠٠

فنهض « تيمورلنك » ، وقد انتفخت أوداجه ، وقال :

انى أعجب لكم أيها السادة المحترمون ٠٠٠ العالم كله يتبدل ويتطور ، ومبادئه دائما في تحول مستمر ٠ وهــذه الديمقراطية ـ وان كانت فى جوهرها صحيحة ـ فى حاجة الى تطور يناسب العصر الذى تعيشون فيه ٠ الدنيــا فى حاجة الى وثبة الى الامام ٠٠٠ وثبة جبارة تبعدها عن هــذه النظم العتيقة ٠٠٠!

فصاح مندوب اتحاد أوربة الشمالية :

العالم مهما يتطور فهو غير راغب فى نظم يخضع فيهــا المجموع لرأى الفرد ٠٠٠

فصاح « تيمورلنك » : واذا كان هذا الفرد قد منحه الله قوة خارقة فى الذكاء والنشاط ، أفلا يستفيد المجموع من رأيه الصائب ؟!

فقال العالم الروحانى : يبدو لى أن المسألة ليست مسألة نظم اجتماعية للحكم ، ولكن العبرة بالاشخاص الذين يتولون تنفيذ هذه النظم ٠ وقد يأتى الخير بعض الاحيان على يدى دكتاتور مستبد ٠٠٠!

فقال مندوب اتحاد أوربة الشمالية صائحا :

كذلك يأتى الخير من الديمقراطيــة اذا تولى أمرها أناس قادرون ٠٠٠

وهنا دخل « عبد العال » يحمل خزانة الكتب ، فوضعها

على مقربة من مندوب البلاغة ، فأقبل عليها يجتذب منهـا مجلدا وراح يتصفحه • ثم جعل يقول :
ديمقراطية ••• انها اللفظة التى تتحدثون عنها •••
وطفق يقرأ مهمهما فى لهجة غير واضحة ، ثم قال :
الديمقراطية أيها السادة الاماجد•••الأصل فىمعناها: حكم الأمة نفسها بنفسها بلا سلطة عليها •••
فقام مندوب اتحاد الشرق الأعلى ، وهو يعبث بعثنونه، ويقول :
وأين مكان الحكومة اذن فى هذا الوضع ؟
فاسترخى مندوب البلاغة فى جلسته ، وأسبل جفنيه ، وقال :
لا حكومة فى هذا الوضع ••• هـذا هو المعنى الأصلى للديمقراطية عند الاغريق •••
ونهض « تيمورلنك » يقول :
هذا ما يدعم قولى لكم ويثبته ••• ان الديمقراطيـة فى تطور دائم وتحول مستمر ••• أين ديمقراطية الاغريق من ديمقراطية هذا العصر ؟•••
وقام العـالم الروحانى يقـول : أنبه حضرات الزملاء الموقرين الى أننا لم نهتد بعد الى صيغة المادة الاولى منميثاق السلام •••
وصاح وزير المناطق الجنوبية :
ولم نقرر شيئا بعد فى موضوع الرد على جمعيةالرغيف الاسود •••
فقال مندوب اتحاد الشرق الأعلى :
أقترح أن نقيم لجمعية الرغيف الاسود حفلة تكون بمثابة رد التحية لها •••
فقال وزير المناطق الجنوبية السبع :
ما كان يجب أن يفوتنا ذلك•••وانى بالنيابة عنزملائى

الاعضاء أقدم لك الشكر على هذا الالتفات الموفق ...

فقال مندوب اتحاد أوربة الشمالية :

ان كرامة المؤتمر تملى علينا تأييد ذلك الاقتراح ...

فقال الرئيس : واذا وافقنا على مبدأ اقامة الحفلة ، فهل ترون أن ندخل فيها عنصر السباق ؟

فصاح « زين السيوف باشا » : يجب أن نبعد السباق عن برنامج الحفلة

فقالت « كليوبترة » : وما هو وجه انتقادك للسباق يا جنرال ؟ مع أنه باعتراف الجميع أسلوب شريف لنفع صندوق التبرعات ...

فقال « زين السيوف باشا » :

بلغ بى الضجر كل مبلغ ليلة الحفلة من الهرج والمرج !

فصاح وزير المناطق الجنوبية السبع يقول :

لقد ضجر الجنرال لانه كان مضروبا عليه الحصار فى تلك الحفلة ...!

وأطلق ضحكة رنانة جاوزت الحد ، فبدا الامتعاض على أعضاء المؤتمر

فقالت « كليوبترة » فى صوت رقيق :

آن الجنرال لم يخسر الموقعة على أية حال ...!

فقال «تيمورلنك» : انه خسر قبلة المزاد...وكفى...!

وربت كتف « زين السيوف باشا » مداعبا ... فكان « زين السيوف باشا » يتلفت يمنة ويسرة ، والحيرة تلتمع فى عينيه !

وقال رئيس المؤتمر ، وقد أكسب ملامحه رزانة ووقارا: حقا كانت فكرة قبلة المزاد فكرة رائعة .. عملا انسانيا نبيلا ... وقد بذلت كليوبترة فى ذلك أوفر سهم ، فأدت أجل خدمة ...

فقالت « كليوبترة » : لقد أملى على الواجب ما قمت به

وكان مندوب البلاغة أثناء ذلك قد طوى المجلد الذى بين يديه ، وأصغى الى الاحاديث واندمج فيها كل الاندماج ...

ورأينا العـــالم الروحانى ينهض قائلا بلهجة فيها حدة يحاول اخفاءها :

أوجه أنظار الاعضاء الموقرين الى أننا خرجنا عن الموضوع ... أين البحث فى صـــيغة المادة الاولى من قانون اقــرار السلام ؟

فقال وزير المناطق الجنوبيـــة السبع ، وقد احمر وجهه المتكتل ، والرذاذ يتطاير من بين شفتيه : تذكر يا سيدى أن عملنا أجمع وخطواتنا كلها من أجل الســـلام ... وفى سبيل السلام ...!

فسرت بين الاعضاء عاطفة ارتياح لهذا الجواب

وأراد العالم الروحانى أن يتكلم ، وقد تلظت عينـــاه ، فانبعثت ضجة من بقية الاعضاء لاســكاته . وعلت الهمهمة والزمزمة ، فقام فى هــذه اللحظة « تيمورلنك » ، وضرب الارض بعصاه ضربة شديدة ، وصاح :

صمتا ... بعض الهدوء أيها الرفاق الموقرون !

وقام رئيس المؤتمر ، وقد اشمأز من تدخل «تيمورلنك» ومحاولته أن يفرض سلطان رياســته على المؤتمر ، واندفع يحك جلدة رأسه الاصلع حتي كادت تدمى . ونطق ببضع كلمات بددتها الضجة الشاملة . وهنا ســـمعنا ضـــحكات متوالية بجوار الباب ، فاذا بـ « عبد العال » يقهقه ، فالتفت اليه الرئيس وقال : ما هذا ؟

فملك « عبد العال » زمام نفسه ، وقال :

عفوا مولاى الرئيس . حدث ذلك على الرغم منى !...

ثم همهم : ان العمل من أجل السلام لا يتطلب كل هذه المشاجرات !

فالتفت اليه وزير المناطق الجنوبية السبع ، وقال محتدا:

لابد أن يقصى هذا الوقح عن قاعة المؤتمر ...!

فقال العالم الروحانى على الأثر ، وقد ضرب المنضدة بيده :

بل لابد من الابقاء على هذا الحاجب المخلص ، واغتفا ما بدا منه ...

وانبعثت الضجة ثانية ، ولكن ما أسرع أن أسكتها « تيمورلنك » ، واستطاع الرئيس بعد حين أن يقول بصوت هزيل :

اقرأ يا حضرة السكرتير برنامج العمل ...!

وما كدت أهم بالسؤال عما يجب أن نتبعه فى ترتيب أعمال المؤتمر ، حتى رأينا مندوب البلاغة يتهالك على مقعده ، واذا به يغمى عليه . فاضطرب أعضاء المؤتمر ، وقمنا اليه نحمله ، وخرجنا به من القاعة ، فلم يبق بها الا الرئيس والعالم الروحانى ، وفيما نحن خارجون سمعنا الرئيس يقول فى القاعة الشاغرة :

أيها السادة ... رفعت الجلسة ...!

وخرج العالم الروحانى يخترق الزحمة كالزوبعة ، وانتحى ناحية قصية ، بجانب احدى النوافذ يتلمس الهواء

وشغلنا بأمر مندوب البلاغة ، فمددناه على احدى الارائك ، وجئنا له ببعض المنعشات ، وأسقيناه بعض المرطبات ، حتى ذهب عنه الاغماء ...

وكان الاعضاء يتناقلون فيما بينهم ــ هامسين ــ كلمات التبرم بالعالم الروحانى والانحاء عليه باللوم ، واستنكار ما بدا منه ــ على جلالة قدره ــ من هذه المعارضة التى تجافت عن الذوق

وفى هذه اللحظة رأينا شبح « مارتن » يتقدم منا مقبلا من الخارج ، وأدرك على الفور أن فى الأمر شيئا ، فأقبل

خيرا ••• مالى أرى الجو غائما ؟•••
ودنا من « كليوبترة » يحييها تحية محببة ، فقالت له : كانت جلسة شاقة •••!

فقال « مارتن » على الأثر :
أعانكم الله على عملكم العظيم ••• ان العمل للسلم أشق من العمل للحرب •••!
وكان أحد الخدم يطوف بأقداح من شراب الليمون ، فقدمت « كليوبترة » قدحا الى « مارتن » ، وقالت له : قد تكون مثلنا فى حاجة الى مرطب •••
فأخذ « مارتن » الكأس ، ثم تشممها وقال :
عصير ليمون ؟! يا للسذاجة البريئة •••علينا بكوكتيل مارتن !
وأوصى الساقى بأن يحضر «كوكتيلا » شرح له عناصره، والتفت الى الجمع ، قائلا : انه من اختراعى أيها السادة !
ثم التفت الى « كليوبترة » ، وقال :
لقد اضطرتنى حالتى الخاصة الى اختراع هذا الكوكتيل، ورأيته أصلح شيء لعلاج الأزمات النفسية اثر الاعمال الشاقة • وكثيرا ما أفادنى فى الملمات !
فدنا منه « زين السيوف باشا » فى تعاظم ظاهر ، وقال:
لا تنس ياسيد مارتن أننا هنا فى مؤتمر موقر قد لا يناسبه هذا الكوكتيل الذى اخترعته !
فأجابه : انى يا سيدى فى أشد الحاجة الى هذا الكوكتيل الآن ••• أما أنت ، فشأنك وما تريد •••
وأقبل على « كليوبترة » يقول لها :
انى لم أذق النوم البارحة الا غرارا•كنت أفكر فى اخراج فيلم أخناتون • تطورت الفكرة واتسعت ، وسأجعل من هذا الفيلم فتحا سينمائيا جديدا !

والتفت الى الجمع يخاطبـــه ، وقد أكسب وجهه سمات المحاضر ، فقال :

أيها الســـادة ، أوجه اليكم الحديث فى مشروع هو أكبر دعامة فى صرح عملكم العظيم ، تشييد « المدينة الفاضلة » وانى أناشدكم الحق أن ترعونى أسماعكم

ووقع بصره على العالم الروحانى فى مجلسه البعيدبجوار النافذة ، فناداه :

يا سيدى ! ألا تقبل لتشترك فى سماع ما أريد عرضه من مشروعى العظيم ؟

فرأينا العالم الروحانى يقبل على «مارتن» ، وقد استعاد هدوءه ، وكان يســـير فى خطاه الوئيدة ، ويمشط لحيتــه بأصابعه • فصافح « مارتن » ، وقال له : أى مشروع تريد يا صديقى ؟

فتدانت « كليوبترة » من العالم الروحانى ، وقالت له فى تلطف :

انه يعمل فى اعداد فيلم عن أخناتون الملك المصرىالقديم داعية السلام الأول

فهمهمالعالمالروحانى مبتسما : حقا انها لفكرة نيرة•••!

فقال « مارتن » يتم خطابه :

أيها الســـادة ، لقد قضيت البارحة أراجع المصـــادر ، وأمحص الوقائع ، وأوازن بين أقوال المؤرخين ، فانتهيت الى أن أستلهم من كل ذلك شخصية طريفة لأخناتون سأظهرها على ضوء جديد •••

فقال « زين السيوف باشا » : أى ضوء يا سيدى ؟ كلنا نعلم أن أخناتون كان أول من اهتــدى الى التوحيد ، وفكر فى الدعوة الى نشر راية السلام

فقال « مارتن » : هـــذه هى الشخصية الظاهرة ••• الشخصية التى تبدو للباحث العابر ، ولكن ما هى الدوافع

الخفية خلف هذهالظواهر ؟٠٠٠لقد استطعت أنأطبق مذهب فرويد وأدلر ومن أتى بعدهما من أساطين علماء النفس على هذا الملك ، وعلى عقله الباطن ، فتجلى لى أن له شخصية مزدوجة

فقال « زين السيوف باشا » : سيكون هذا افتئاتا على التاريخ ٠٠٠!

ـ انى مخرج فنان ، أستلهم التاريخ ، ولكننى لا أتقيد به

والتفت الى الجمع يقول : والآن أناشدكم المروءة أن تعينونى !

فسمعنا صوت مندوب البلاغة ، وهو يحتسى شراب الليمون ، يقول :

وما هو وجه معونتنا لك يا سيدى ؟!

فقال « مارتن » : سأتكلم فى جوهر الموضوع رأسا ، أريد أن تشتركوا معى فعلا فى تنفيذ الفكرة ، وذلك بأن تكونوا أنتم ممثلي الفيلم ٠٠٠!

وكانت مباغتة نشرت بين الحاضرين همهمة وتساؤلا وتعجبا ، ولكن «مارتن» تابع كلامه وقدالتفت الى«كليوبترة» قائلا :

تتنزل كليوبترة مثلا فتقبل تمثيل دور « نفرتيتى » ٠ أما أنا فسأضطلع بدور الملك أمينوفيس الرابع « أخناتون » نفسه ، زوج « نفرتيتى »

وتلقت«كليوبترة» هذا النبأ بهدوء ، ولم تحر جوابا٠٠٠ أما « زين السيوف باشا » فقد ابتسم ابتسامة ازدراء ، وغمغم :

ألاعيب أمريكية ٠٠٠! ألاعيب أمريكية ٠٠٠!

وواصل «مارتن» حديثه قائلا : وسأعرض دور«حورمحب» قائد مصر على الجنرال ٠٠٠ انه خير من يقوم بهذا الدور العظيم ٠٠٠

ووجدنا « زين السيوف باشا » يترك الحلقة ويخطو بضع خطوات ذهابا وجيئة ، وهو يردد ألفاظا مبهمة ••• وقال « مارتن » مواصلا حديثه :

أما كبير كهنة « آمون » المناوىء لأخناتون فانى أعرض دوره على العالم الروحانى •••

فهب العالم الروحانى يقول على الأثر : أعتذر آسفا !

فواصل « مارتن » قوله :

وآذا تنحى العالم الروحانى ، فمندوب البلاغةخليق بهذا الدور •••

فقال مندوب البلاغة : لا يجوز أن أعتدى على دور زميلى!

فقال العالم الروحانى : كأنكم قررتم أن تشتركوا فى التمثيل ، ولم يبق الا توزيع الادوار •••!

فتقدم « تيمورلنك » قائلا :

المسألة ما تزال قيد البحث والشورى ! ونحن لم نرتبط بشىء بعد •••!

وقال « مارتن » وقد ربت كتف « تيمورلنك » :

انى محتفظ لك بدور « سابى » القائد السورى المهاجم للتخوم المصرية •••

فقال العالم الروحانى : اننى أترك لحضرات الزملاء حرية المناقشة فى قبول الاشتراك فى هذآ التمثيل أو رفضه ، ولكن أريد قبل أن أغادر المؤتمر أن أدلى لكم برأيى صريحا، وهو أنه يجدر بأعضاء المؤتمر أن يتركوا هذا للممثلين المحترفين ••• والآن أستودعكم الله •••!

وخرج مهرولا ، والضيق بالغ منه كل مبلغ •••

فقال وزير المناطق الجنوبية السبع :

عجيب أن نسمع هذه الاقوآل فى عصر تسودهالديمقراطية والتسامح •••!

وهمهم مندوب اتحاد الشرق الأعلى وهو يعبث بعثنونه:

لهذا العالم الروحانى عقليةغريبة لا تخلو منشذوذ!٠٠٠
فقال « مارتن » مستأنفا حديثه : لقد اخترت لكل عضو من أعضاء المؤتمر دورا يلائمه ٠٠٠ ما أجمل أن يقوم دعاة السـلام بخدمة السـلام فى نطاق عملى قوى الأثر ٠٠٠ لا تنسوا أيها السادة أنه سيظهر اسم كل عضو من أعضاء المؤتمر فى لوح خاص على الستارة البيضاء ، ملون علىوضع بارز٠وسيطبع من هذا الفيلم آلاف النسخ ويوزع فى سائر الممالك ، ولهذا يعد أكبر دعاية لقضية السلام

ووجه الكلام الى رئيس المؤتمر قائلا : ما قولك يا سيدى الرئيس ؟!

فاندفع الرئيس يحك جلدة رأسه الأصلع ، وشـفتاه تختلجان دون أن تنبسا

فقال « مارتن » :

أينكر أحـد أن هذا العمل من الاعمال الجليـلة النفع للبشرية ؟!٠٠٠

فقال الرئيس بعد صمت مضطرب :

لا ننكر ٠٠٠ لا ننـكر ٠٠٠ ولكن يجب أن نتروى فى الأمر ٠٠٠!

ووزعت علينا فى هذه اللحظة كؤوس الكوكتيل،كوكتيل مارتن ، وأخذنا نعب منها ، ورأينا « عبد العال » يتقدم من « مارتن » بوجه باسم ، ويقول :

أرجو ألا تكون قد نسيتنى يا سـيدى الأمريكانى ٠٠٠ تذكر أنك وعدتنى منذ أيام بأن تحتفظ لى بدور فى أعمالك الفنية !

فضرب « مارتن » كتف « عبد العال » قائلا له :

اذا لم يكن دورك قد أعد فسأخلقه لك خلقا ٠٠٠ اطمئن

ثم ضرب جبهته بيده ، وقال :

ها قد وقعت على دور يناسبك ... ستكون رئيس مقابر الدولة ...

فنظر اليه « عبد العال » طويلا ، وهمهم :

تقصد « شيخ التربية » ... ولكن يا سيدى ...

فقال « مارتن » وقد بسط صدره ، وعلا بهامته :

ولكن ماذا يا عبد العال ؟... رئيس مقابر الدولة هو المهيمن على الموت فى ذلك الزمان الغابر ... هو السفير بين البشر وبين ملك الفناء ... بل هو اليد اليمنى لملك الفناء نفسه ...

ـ أتعنى أنه سكرتير عزرائيل ؟

فقال « مارتن » : هذا هو الواقع ..!

فانسرح « عبد العال » يفكر وقتا ، وقد علا وجهه وجوم طارىء ، ثم قال ، وقد أخذ يتزايل وجومه :

لا بأس ... لا أرفض لك مطلبا على أية حال ...!

وتقدم وزير المناطق الجنوبية السبع ، وقال وهو يتظاهر بمداعبة « مارتن » :

وماذا فى حقيبتك لى من الادوار أيها السيد مارتن...؟!

فقال له « مارتن » على الفور :

رئيس شرطة أخناتون الأعلى،وحارس الذخيرة الاول..!

فتطلق وجه الوزير ، واندفع يتضاحك ويعب من كأسه

وقال « زين السيوف باشا » وهو عاقد الجبين :

لا أقبل دور حور محب ... لا أقبله ...!

فقال له « مارتن » على الفور :

ثق بأننى اخترت لك الدور الذى لا ينهض به سواك ...!

ثم وجدناه يهمس فى أذنه قائلا : ان دور أخناتون لايصلح لك ...!

فصاح « زين السيوف باشا » :

لا أقصد أن أطلب دور أخناتون . ولن أطلبه ...

فقال «مارتن» : يجب أن تعلم يا جنرال انك رجل نزال ونضال ، ويعوزك كثير من الخيال والشاعرية ، وهما أهم المميزات فى دور أخناتون ... لا يضرك قولى ...!

فقالت « كليوبترة » : ماذا تقول ؟ أتحكم على الجنرال بأنه ليس مرهف الاحساس ، رقيق القلب ... هذه مبالغة !

فقال « مارتن » : لست الى ذلك أقصد ، فان حور محب فى روايتى سيكون رجلا محبا ...

فقال « زين السيوف باشا » : من التى يحبها ...؟ !

فقال « مارتن » : نفرتيتى طبعا ...!

فأشرق وجه « زين السيوف باشا » بالرغم من تحفظه ، وأخفى ابتسامة كادت ترف على فمه ، وواصل « مارتن » حديثه قائلا : ولكن نفرتيتى لا تبادله حبا بحب مع الأسف ... وهنا احدى عقد الفلم الرئيسية ...!

ووجدنا شارب « زين السيوف باشا » يهتز اهتياجا ، وعاد جبينه الى التعقد . وكان « مارتن » يتم توزيع الأدوار، ويزينها لأصحابها ، ولم ينسنى باعتبارى سكرتيرا لـ « كليوبترة » ، فاختار لى دورا يناسب مهمتى

وجعل الجمع يتناقل الحديث فى موضوع الاشتراك فى التمثيل ، ويتشاورون فيما يفعلون . وسمعت «تيمورلنك» يقول وهو يبتسم ابتسامة متكلفة :

لقد اختار لى « مارتن » دور قائد سورية ، ونسى اننى لا أصلح الآن لقيادة الحرب ... سيضطرنى الى أن أناقض نفسى !... يا له من أمريكى غريب الأطوار !...

وتضاحك وقتا ... فقال « عبد العال » :

انك يا سيدى بهذا تبذل مكرمة فى سبيل المبدأ ، مبدأ السلام !

فرمقه « تيمورلنك » بنظرة تعال وازدراء ...

وأخـذ « مارتن » بيـد « كليوبترة » ، وخطوا بضع خطوات ، فقال لها :

الا تتناولين طعام الغداء معى ؟

فصمتت برهة ، ثم قالت : اننى آسفة يا مارتن !

ـ ولم الأسف ؟ ان العمل يقتضى أن تتناولى الغداء معى . لدى طائفة من الصور الرائعة لنفرتيتى سنتفحصها معا . . . يجب انتقاء شكل الشعر ، ومعرفة طريقة التزين ومظاهر الزى . لقد أوصيت حائكة الثياب بأن تحضر لنعرض عليها نماذج الملابس المطلوبة

فقالت له « كليوبترة » : ولكننا لم نقرر شيئا بعد فى أمر هذا الفلم . . . !

وفى هذه اللحظة علا صوت « تيمورلنك » قائلا :

يا حضرة السكرتير ! . . . ليكن موضوع جلسة غد النظر فيما اقترحه مستر مارتن . . .

ووجدنا رئيس المؤتمر يعلو بقامته ، وهو يهمهم فى صوت هزيل :

أجل . . . ستكون جلسة غد موضوعها النظر فى اقتراح مستر مارتن . . . فأعدوا أنفسكم لمناقشة الاقتراح . . . !

وسمعت « مارتن » يقول « لكليوبترة » : لقد اتفقنا على أن نتغدى معا . . . !

فقالت « كليوبترة » : كما تشاء . . . والآن انى مضطرة لقضاء بعض شئونى ، فأين أجدك ؟ . . .

ـ فى الاستديو

واخرج من جيبه بطاقة دفعهـا الى وقال : هاك عنوان الاستديو !

وكان « زين السيوف باشا » يتسمع من بعيد ، فلمـا انتهت اليه هذه الجملة ازداد تجهم وجهه وبدا الضيق عليه ،

واندفع يعب ما بقى من كأسه فى غيظ ، وقصد الى احدى النوافذ يتطلع الى السماء . . .!

وحيت « كليوبترة » الحاضرين ، وانصرفت من القاعة وأنا فى اثرها

وركبنا السيارة ، فطلبت منى أن أذهب بها الى « معهد التجميل الروسى »

ولما بلغنا دار المعهد شاهدت « انطونيو » بالباب ينتظر . فصحبها ، وبقيا معا فى المعهد فترة ، ثم عادا الى . وسمعتهما وهما مقبلان على السيارة يتحدثان عن عملية جراحية تريد « كليوبترة » اجراءها . ووقفا فترة يناقشان ، ثم ما كادت « كليوبترة » تتجه نحو السيارة حتى هرع « انطونيو » الى الباب ليفتحه ، ولكنه تعثر فى ملحفه الرومانى ، وكاد يسقط . فبدرت من « كليوبترة » ضحكة لطيفة ، وقالت :

ان ملحفك الرومانى قد غدا غير صالح لمقتضيات هـذا العالم الذى نعيش فيه !

فتجلى البشر على وجه « أنطونيو » وهو يقول :

كنت على وشك أن أتحدث اليك فى هذا الشأن !

ــ وماذا ترى ؟

ــ الرأى لك يا صاحبة الجلالة . . .!

فتخايلت ابتسامة خلابة على ثغرها ، وهى تقول :

بل الرأى لك أنت يا قيصر !

وصعدت الملكة فى السيارة ، ووقف « أنطونيو » يحييها تحية وداع ودى . وانطلقت بنـا السـيارة الى استوديو « مارتن » وفقا لما طلبته « كليوبترة » ، ولمـا وصلنـا الى الاستديو ، قالت لى وهى تهم بالدخول :

الى غد يا حضرة السكرتير . . .!

فحييتها وانصرفت . . .

وقصدت الى دارى ، فوجدت « عبد العال » متربعا على

المتكأ ، وهو يحتسى مغلى النعناع فى سهوم ، فصحت به
ما لك ؟ !
ــ لا شىء ...
ــ فيم تفكر ؟ !
ــ لا شىء ... أحوال الدنيا كثيرة ...!
فضربت كتفه ، وأنا أقول :
أراهن أنك تفكر فى أمر الفلم والدور الذى اختاره لك مارتن ...
ــ لا أريد أن أكذبك القول يا سيدى السكرتير ، صحيح ما قدرته ...!
ــ ان عملى سكرتيرا للمؤتمر ليعد تافها ساقط القيمة بالنسبة لعملك الجديد سكرتيرا لعزرائيل يا عبد العال ...
ــ ان أردت الحق فان دورى الذى سأقوم به فى هـذا الفلم قد راقنى !
ــ ولم ؟ !
ــ سأشعر بلذة العمل مع عزرائيل والهيمنـة على عالم الحياة والتصرف فى أرواح الخلائق ... أقليل هذا ؟...
ــ سيكون هذا على أية حال خيالا ، لن تكون أكثر من « أراجوز » ...!
ــ وهل نسيت يا سيدى السكرتير أنك ستكون «أراجوزا» معى فى هذا الفلم ... ولا مؤاخذة !
ــ اننى لم أقطع برأى بعد فى الاشتراك فى هذا الفلم ...
ــ أتزعم أنك من المعارضين فى فكرته ؟
ــ الفكرة فى صميمها لا تعارض !... فان فيها دعوة الى السلام بلا ريب .. ولكن هذا لا يمنع التصريح بأن التمثيل فى الأفلام لا يبعد كثيرا عن مهمة « الأراجوز » ...!
ــ والله انى لأمجد هذا الأمريكى الذى استطاع أن يجعل منا « أراجوزات » فى فلمه ... ولـكن اسـمع يا سيدى

البك ... السنا فى الدنيا لا نزيد على « أراجوزات » ؟! اننا نباهى بظهورنا فى هذه الملابس المحترمة ، ولكن اذا ارسلت العين الفاحصة الخبيرة تجلى لك أننا نلبس السراويل الفضفاضة والطراطير الطويلة ونصبغ وجوهنا بالطلاء ... يا سيدى دع الأمر لله !... على كل حال سأخرج من هذه اللعبة بكسب يرجع نفعه للأولاد وأم الأولاد . سينعمون وقتا برغد من العيش ...!

٢٩ يناير

فى صبح هذا اليوم بكرت الى معبد أبى الهول ، فما ان دخلت الردهة الفسيحة حتى اقبلت على كبرى الوصائف مهرولة ، وعلى وجهها ملامح الاهتمام ، فقلت لها مستطلعا : ماذا ؟!

فأخذتنى من يدى ، وأسرت الى أنه قد تم الصلح بين « كليوبترة » و « زين السيوف » ... فقلت : وهل كانا متخاصمين ؟...

أتتباله يا حضرة السكرتير ؟ جزاؤك عندى أن أعرك أذنك ؟

— وما يكون جزاؤك عندى على هذا القول ؟

ثم لاطفت خدها ، واستأنفت أقول : وكيف تم الصلح ؟

فطفقت تهندم شعرها ، وتتثنى فى وقفتها ، وهى تقول :

لما عادت بعد غدائها مع مارتن شرع التليفون يدق ، وكان المتكلم زين السيوف ، واعتذرت كليوبترة عن تلبيته أكثر من مرة بشتى الأعذار ، ولكنها اضطرت بعد الحاحه أن تنهض الى التليفون وتتحدث اليه ، وبعد مراوغات فيها كثير من الاعراض قبلت أن يحضر لزيارتها ويتناول معها العشاء

— وهل تعشيا معا ؟

— فى ضوء القمر كما جرى عشاء أول من امس مع أنطونيو ... ليتك كنت حاضرا حينما ركع زين السيوف

بين يديها مقبلا أناملهــا ... لقــد كان شاربه يتراقص مهتاجا ...!

وفى هذه اللحظة دق الجرس ، فقالت كبرى الوصائف :
انها تطلبنى ...!

وهرعت الى مخدع « كليوبترة » ...

ووقفت هنيهة أفكر وقد طافت برأسى ثلاثة أخيلة لثلاثة فرسان ، يستبقون الى صيد ، وكل منهم يجد فى ركضه ليحوز قصب السبق... ولكن الفريسة ــ أو على الأصح : الصائدة ! ــ كانت تخادعهم وتراوغهم فيمضون فى اللحاق بها وينظر بعضهم شزرا الى بعض ...!

وظهرت « كليوبترة » تامة الزينة رائعة الوسامة تتألق...
وانطلقنا توا الى قصر الورد حيث المؤتمر ...

وكانت الجلسة صاخبة ثائرة ، يدور النقاش فيها حول مشروع « مارتن » فى اخراج فلم «أخناتون» وتوزيع الأدوار على أعضاء المؤتمر ، وقد أذن لـ « مارتن » فى حضور الجلسة لايضاح فكرته ، والدفاع عن غرضه . ولا أخفى انه كان دكتاتورا فى توزيع الأدوار يفرض أوامره فرضا ولا يقبل لها تحويلا ولاتبديلا ، وكان العالم الروحانى يرفع راية الحملة على فكرة الاشتراك فى التمثيل ، فلقى معارضة عارمة ، ورأيت الجمع يتغامزون به ويسخرون منه ، وسمعت بعضهم يقول :
شدما يعطل هذا الرجل أعمال المؤتمر !

وانجلى الأمر عن موافقــة المؤتمر على كل ما عرضــه «مارتن» . وقبيل انفضاض الجلسة انسحب العالم الروحانى مخذولا يائسا ... اما رئيس المؤتمر فقد هان شأنه فى هذه الجلسة ، وتصاغرت سلطته ، وأصبحت الرياسة الفعليــة لـ « تيمورلنك » قوة واقتدارا ، فكان يجلجــل بصــوته ويضرب الارض بعصاه التى تحلى مقبضها حمامة نوح رمز السلام !

ووقفت « كليوبترة » تعلن أنها فى حاجة الى اجراء عملية فى أنفها لأنها مصابة بزوائد تولدت من رطوبة الجو . وطلبت اجازة بضعة أيام ، لاجراء هذه العملية البسيطة ، فاشرأب رئيس المؤتمر وهو يسارق « تيمورلنك » نظرات الحذر ، ثم قال بصوت هزيل :

لا مانع من الاذن لك يا صاحبة الجلالة بالاجازة التى تطلبين ...!

فقام وزير المناطق الجنوبية السبع ، وقال وهو يتلفت يمنة ويسرة :

أيجوز أن يعقد المؤتمر جلساته وقد حرم حضور ركن مهم من اركانه ؟ !... أقترح أن يكون المؤتمر فى اجازة حتى تفرغ الملكة من اجراء العملية الجراحية ، وتعود الينا بسلام !

فلم تأخذ المناقشة فى هذا الاقتراح وقتا طويلا ، وسرعان ما أعلن المؤتمر أنه فى اجازة بضعة أيام

وقال وزير المناطق الجنوبية السبع مستطردا :

يمكن فى أثناء هذه الاجازة أن يعمل الأعضاء فى التمهيد لانجاز مهمات المؤتمر ... وبذلك لا يضيع علينا الوقت

فتحرك مندوب البلاغة الدولية بين وسائده الوثيرة وهو يصلح قلنسوته اللامعة ، وقال : كونوا على ثقة أننى سأقتل كلمة « حرب » بحثا وتمحيصا ... سآتى لكم بكل مدلولاتها ومعانيها ، من حرب دفاعية ، أو هجومية ، أو راجفة ، أو خاطفة ، أو مائعة ، أو شائعة ، الى ما هنالك من الوان المدلولات والمعانى !

وترك الأعضاء قاعة الاجتماع تعلو وجوههم سيما البشر ، وهم ب « كليوبترة » محيطون ، يسألونها عن موعد العملية ، وما يتعلق بها ...

٣٠ يناير

قصدت الى دارمعهد التجميل ، حيث تجرى « كليوبترة »

عملية الأنف ، وقد علمت من كبرى الوصائف أنها عملية يراد بها فى الحقيقة تصغير أنف « كليوبترة » . وكان المعهد هادئا ، والحجرات مطلية بالبياض الناصع كأنه الزجاج اللامع ، وكان الأثاث عصريا فخما ، والنوافذ فسيحة يندفع منها الضوء جزافا . وقد طالعتنى ــ أول ما دخلت القاعة الكبرى بجوار حجرة العمليات ــ أشباح الفرسان الثلاثة : « مارتن » ، و « أنطونيو » ، و « زين السيوف باشا » ، واقفين بالباب كأنهم حراس أيقاظ ... وكانوا صامتين لا ينبسون ولا يتحركون كأنهم التماثيل . وأكبر ما لفت نظرى من « أنطونيو » ارتداؤه أول مرة الملابس العصرية . وقد بدا أنيقا فيها ، فرباط الرقبة رشيق العقدة بهى اللون ، ومن جيب السترة الأعلى يتدلى منديل هفهاف ينبعث منه أريج عطر . أما « زين السيوف باشا » فكان يحمل طاقة ورد فاخرة تثقل ذراعيه فينقلها من يد الى يد فترة بعد فترة

فأما بقية أعضاء المؤتمر فكانوا فى قاعة الزوار بجوار الردهة يتلقون أنباء العملية من جهاز فى الحجرة مضخم للصوت تلقيها عليهم ممرضة فى قاعة العمليات . وكان مندوب البلاغة الدولية كعادته أنيقا رشيق البزة قد اختار لنفسه متكأ وثيرا استأثر به وغرق فى حشاياه . أما الرئيس فكان واقفا يتطلع من النافذة ويحك بخنصره جلدة رأسه فى الفينة بعد الفينة . على حين كان وزير المناطق الجنوبية السبع يروح ويجىء فى القاعة كأنه كرة يتقاذفها الرماة . وقد لفت نظرى من « تيمورلنك » أنه كان وهو فى مقعده الفسيح مضطجعا ضجعة السيادة وفى يمناه لفافة سوداء كبيرة من تبغ « الهافانا » ينفث دخانها ويتأمله مستغرقا فى تفكير ، وعلى مقربة منه علبة ملئت لفائف سودا من ذلك التبغ الفاخر . وبين حين وحين يأخذ العلبة فى يده ويعرضها على زملائه أعضاء المؤتمر من بعيد دون أن يحرك ساكنا فيضطر

كل واحد منهم الى التقدم منه وتناول اللفافة من علبته .
أما اشعال اللفائف فكان يقوم به « عبد العال » ، اذ يحمل قداحة ضخمة على هيئة تنين ، اذا ضغط رأسه انفتح فمه واندلع منه لسان النار . وكان الابتهاج بهذه القداحة باديا على « عبد العال » اذ كان يمر بها على الحاضرين ، ويضغطها لحاجة أو لغير حاجة ، كأنه طفل يعبث بلعبته . وسمعت أخيرا « مارتن » يهمهم وهو واقف دون الباب :

اذا لم تنجح العملية فعلى الفلم السلام !

فرأيت « زين السيوف باشا » يقول دون التفات اليه كأنه لا يخصه بالحديث :

ليس الفلم ما يعنينا . صحة الملكة قبل كل شيء . ليس يعنينا أمر سواها !

فتكلم « أنطونيو » وهو يصلح رباط رقبته :

لا أدرى لم تشبثت باجراء هذه العملية ؟

فهمهم « مارتن » : أنسيت الزوائد اللحمية التى تكاثرت من رطوبة الجو ؟ !

وأخيرا أعلن مضخم الصوت أن العملية قد تمت ، فاهتزت القاعة ، وتحركت الأقدام ، واشتدت الهمهمة ، وهرع الجمع الى البهو ، وتدفقوا على حجرة العمليات يتقدمهم الفرسان الثلاثة ... واجتزنا ممرا صغيرا أسلمنا الى الحجرة ، فوجدنا « كليوبترة » مضطجعة على مقعد فسيح ، وشطر وجهها مغطى بالضمادات ، وعيناها تلتمعان وهى تنقلهما بين الأعضاء مغتبطة شاكرة ، وحولها أربع ممرضات صباح الوجوه يبذلن فى العناية بها غاية المجهود . وشاهدت الطبيب الروسى « الدكتور ميخايلوفتش » أمام « زين السيوف باشا » يناقشه فى طاقة الورد وضرورة ابعادها عن الحجرة ، و « زين السيوف باشا » محتقن الوجه يدمدم . وكان الدكتور ضئيل الجسم أمرد الوجه لماع البشرة نفاذ

العينين ، يرتدى معطفا أبيض محسور الأكمام . وعلى رأسه قلنسوة بيضاء منشاة تطل من حافتها بواكير المشيب .
وحسم « أنطونيو » الخلاف بين « زين السيوف باشا » والدكتور بأن اختطف طاقة الورد من « زين السيوف باشا » وقذف بها فى الممر . وعاد مقبلا على « كليوبترة » فاتخذ مكانه على مقربة من قدميها ... على حين أخذ بقية الأعضاء يتعاقبون تجاه الملكة يحيونها ويهنئونها بنجاح العملية . وأعلن الدكتور « ميخايلوفتش » أن « كليوبترة » ستبقى رهن المعهد ثمانيا وأربعين ساعة ، ثم تنزع الضمادات، وتستأنف نشاطها كسابق عهدها . فشاهدت وجه « مارتن » يتألق بشرا ، وسمعته يهمس لـ « كليوبتره » :
اذا أذنت بدأنا التجارب بعد أيام قلال ...
فابتسمت له ابتسامة الموافقة ، ثم ألفيتها تشير اليه أن يدنو منها ، ورأيتها تسر اليه كلمات ، فما ان سمعها حتى قال لها : تستطيعين أن تطمئنى ... عولى على !
وتوسط الدكتورالحجرة وقال بصوتأبح : انتهت الزيارة !
فوجدنا « تيمورلنك » يشمخ بهامته ويلتفت الى الأعضاء ويشير اشارة خاطفة آمرة . ثم تقدمهم خارجا فتبعوه جميعا ... وأخذنى « مارتن » من يدى ، وقال لى ونحن نجتاز الممر : سنذهب توا الى معبد أبى الهول !
ــ أثمة حاجة طارئة الى الذهاب ؟
ــ سنجرى فى المعبد اصلاحات تستلزمها صحة الملكة
وضغط يدى وقال : يجب أن ينتهىالعمل فى ثمان وأربعين ساعة على الأكثر ، وسنجلب من العمال ما يكفى لانجاز هذه المهمة مهما يكن عددهم . هلم . هلم ...

في معبد الفضيلة

اول فبراير

ما ان تقضت ثمان واربعون ساعة حتى انقلب المعبد قصرا فاخرا ، كأنما جالت فيه يد ساحر ... كل شيء فيه يعبر عن الترف والرفاهية ... اثاث ثمين ... ثريات كهربائية رفيعة الطراز ... اجهزة لتكييف الهواء ... حمام على احدث اسلوب ... وأبرزها فى المكان اقامة حان امريكي في ركن البهو حافل بشتى الوان الشراب وصنوف الأطعمة والمشهيات ...

وبينما انا و « مارتن » نجرى الترتيبات التكميلية ، اعلنت نا كبرى الوصائف أن سيارة «كليوبترة» اتت تقل الملكة... فهرولنا نحو الباب نستقبلها ، فألفيناها تترك السيارة معتمدة على ذراع الطبيب الروسى ، يحيط بها المرضات الاربع ، وفى المقدمة « زين السيوف باشا » و « أنطونيو » يفسحان لها الطريق . وكان « أنطونيو » فى حلة عصرية جديدة غير التى كان يلبسها اول من امس ، وكثيرا ما كان يخرج منديله الحريرى المعطر يمسح به وجهه ، فيخالسه « زين السيوف باشا » النظر فى امتعاض وازدراء

وحيت « كليوبترة » « مارتن » تحية لبقة واستبقت يده لحظة فى يدها وقالت :

ما رايك فى نتيجة العملية ؟ !

فصاح « مارتن » ، وقد لوح بيديه فى حركة تمثيلية عريضة :

نجاح باهر... توفيق عظيم... (Marvellous) مارفلاس !

فكركرت « كليوبترة » فى الضحك وتابعت سيرها ...
وأردت أن انظر الى أنف « كليوبترة » ، لأتبين ما جد من تغيير ، فلم ألحظ شيئا غير ما كان . واتهمت بصرى أولا وذكائى ثانيا ... وكان الدكتور « ميخايلوفيتش » يخوض فى حديث طويل شارحا للملكة كيف أنه أحرق من الغضاريف الباطنة للأنف مقدار ملليمترين ونصف ملليمتر ، وكيف ضغط الأنف الخارج ضغطا فزيولوجيا غير مباشر ، وكيف أنها عملية جراحية حديثة الطريقة اخترعهـا هو نفسه وينتظر عرض دقائقهـا ونتائجهـا على المجمع الطبى فى كورنييف

ودخلنا المعبد ، فدارت « كليوبترة » بنظرها مأخوذة اللب مبهورة بما ترى ، ورنت الى « مارتن » رنو الشـكر قائلة :

لم كل هذا يا مارتن ؟ !

ــ من أجل صحتك يا صاحبة الجلالة ... لقد كان وكرا رطبا ...!

ووقفت « كليوبترة » أمام مرآة كبيرة ، وأطالت وقفتها تتأمل وجهها ، فقال « مارتن » هامسا :

بودى لو كان أوكتافيوس حيا ليراك فى هذا البهاء ...

ــ ماذا تظنه فاعلا ؟

ــ اذن لاختطفك ــ من فوره ــ الى رومة ، ليتوجك ملكة للعالم أجمع ...

فبرز « أنطونيو » وقال : ما كنت لأسمح له أن يفعل...!

فقال « مارتن » ، وقد ضرب بيده كتف « أنطونيو » : انسيت أنك كنت قد رحلت الى العالم الآخر قبـل قدوم أوكتافيوس ولقائه الملكة ؟

ــ مهما يكن من أمر ، فانى على ثقة من وفاء كليوبترة !

ــ يا مستر قيصر ... ان كلمة وفاء التى تتشدق بها

لا تناقض تتويج « كليوبترة » ملكة للعالم تقديرا لجمالها وبهائها وعظمتها ...

فقال « أنطونيو » : انكم معشر الامريكيين ـ كما علمنا ـ تريدون قلب كل شيء رأسا على عقب ، لن ترحموا شيئا حتى معانى الفضيلة ...!

فصاح « مارتن » :

لا تنس يا صديقى أن « الفضيلة » من صنع أيدينا نحن أبناء الحياة ...

ووجدنا « زين السيوف باشا » يرسل ضحكة خشنة مترفعة كأنه يزدرى كلا من المتحدثين . وسمعنا الطبيب يقول :

بل قل يا جناب القيصر ان الامريكيين يريدون وضع الأشياء مواضعها الصحيحة ، بعيدا عن التقليد والوهم . فهم يقصدون الحرية والتجديد والابتكار ...

فقهقه « زين السيوف باشا » يقول :

حتى فى الفضيلة يريد السادة الأمريكيون التجديد والابتكار ...؟!

فالتفت « مارتن » الى « زين السيوف باشا » يقول :

أحسبك تقصد يا سيدى الجنرال أن تقول ان الفضائل لها حدود معينة لا تتعداها ، ومعان واضحة لا خفاء فيها ، مهما تغير الوقت واختلفت البيئة !

فراح « زين السيوف باشا » يفتل شاربه ، ويقول :

الفضيلة هى الفضيلة فى كل زمان ومكان .. فمثلا السرقة .. لها معنى غير المعنى الواضح الذى نعرفه ؟

فدنا منه الطبيب الروسى ، يقول :

اذن فاشرح لنا يا سيدى الجنرال ما هى السرقة ؟

فقال « زين السيوف باشا » فى تعاظم وقد عقد ما بين حاجبيه :

ألا تعــــرف ما هى السرقة ؟ ليس للسرقة الا معنى واحد ... السرقة هى أن يأخذ الانسان من أخيه الانسان ما ليس له وما لا حق له فيه ...

فصاح « مارتن » : هذه هى المسألة ــ كما يقولون ــ فهل تستطيع أن تحدد لنا يا جنرال حقوق الفرد تحديدا واضحا ، وتبصرنا بما يجوز للانسان أن يأخذه من زميله الانسان وما لا يجوز له أخذه ؟

فوقف « زين السيوف باشا » وقفــة السيادة ، رافعا هامته ، باسطا منكبيه عابسا بعض العبوس ، وقال : انك تأخذ بأسلوب السفسطائيين يا سيدى فى مناقشاتك ... على هذا المنوال نستطيع أن نتبادل الحديث الساعات الطوال ، ونلوك فى أشداقنا الكلمات الجوف ، دون أن نصل الى نتيجة تطمئن اليها النفس . ان هذا الأسلوب لا يروقنى فى المناقشة

فقال « مارتن » ، وقد ضرب بيده كتف « زين السيوف باشا » :

فلنفرض أنك على حق ... اذن فقــل لى فى لهجتــك الصريحة الحقة : ماذا تسمى الشيوعيين فى روسيا ؟

فصاح « زين السيوف باشا » على الفور : لصوص ...!

فقال « مارتن » :

ولكنهم هم الذين يعتبرونك أنت ومن على شاكلتك من ذوى رءوس الأموال من أنبغ اللصوص وأمهرهم !... فأى الفريقين على حق ؟ !

فتضاحك الطبيب الروسى طويلا ، وراح « زين السيوف باشا » يفتل شاربه فى شدة ، وهو يغمغم بكلمات غير مفهومة

وتقدم « أنطونيو » فى هدوء يقول :

على كل حال أرى أن الفضيلة ليست الا مسألة شخصية بحتة ، على الانسان أن يفسرها وفق عقله ومزاجه ، وما دام ضميره مرتاحا لهذا التفسير فهو على حق

فهينمت « كليوبترة » تقول :
ولكن لا تنس يا أنطونيو انه يجب الا يكون فى هذا التفسير ما يضر بالآخرين ... يجب أن يكون الدافع لنا فى تفكيرنا وأعمالنا الخير وحده ، خير الانسانية ...!
فصاح الطبيب الروسى قائلا :
لا فض فوك يا مولاتى !
فرنت «كليوبترة» اليه مبتسمة ، ثم أخذت بيده وقالت :
الا تأتى لنطوف بالمعبد لنتأمل ما صنعه هـذا الساحر مارتن من أعاجيب ...!
وبدأت طوافها بأرجاء المعبد ، والجمع حولهـا يبـالغ فى الترحيب بها ...
ثم استدعتنى الملكة قائلة :
سنعقد المؤتمر فى المعبد غدا يا حضرة السكرتير ... فى البهو الكبير ... اتخذ ما يلزم ...

٢ فبراير

عقد المؤتمر اليوم جلسته فى البهو الكبير من معبد أبى الهول ، عن كثب من الخان الامريكانى فى ضيافة«كليوبترة» ... اذ توافد الأعضاء على البهو فى وقارهم المعهود تتجلى على وجوههم مخايل البشر والارتياح . وأقبلت عليهـــم «كليوبترة» ترحب بمقدمهم وتغدق عليهم تحيات الايناس. وكانت ترفل فى ثياب شرقية أخاذة ، والاعضاء يحوطونها بنظرات متطلعة يتوضح فيها الفضول والاعجاب ، وكانوا يهنئونها بنجاح العملية الباهر وبما شمل مسكنها من بدائع التجديد ، ثم أخذوا يتنقلون فى البهو يتطارحـــون أفانين الحديث

وبعد حين رأيت « عبد العـــال » يقدم مع الخدم حاملين خزانة مندوب البلاغة الدولية ووسائده . وعنى «عبدالعال»

بتهيئة المقعد لمندوب البلاغة ، وما كاد يفـــرغ حتى لاح سيادته يتخطر فى ملابس أرجوانية زاهية ، فما ان وقع بصره على المقعد المعد له حتى التفت الى « عبد العال » قائلا:
أنت اليوم نشيط مجتهد ... بورك فيك !
ـ أنا على الدوام خادمك
ـ يبدو لى أنك ذو قلب طيب ، على الرغم مما يبدر منك أحيانا من فرطات ونزوات ...
ـ انى أبتغى دائما مرضاة صاحب السـيادة ... ماذا تحب يا سيدى أن نحضر لك من المرطبات ؟
ـ كوكتيل مارتن ...
وانحنى « عبد العال » مطيعا ، وهرع الى الحان يأتي له بما طاب
وفى هذه اللحظة ظهر « مارتن » ، فما ان رآه الجمع حتى هشوا له مرحبين . ووقف « تيمورلنك » متوسطا الجمع ، وصاح :
لقد انتخبناك يا مستر مارتن عضوا فخريا فى هيئــة المؤتمر اكبارا لروحك السامية فى نصرة قضــية السلام ، والتفكير فى بث المبادىء الانسانية الكريمة بشتى الطــرق الفنية ...
ثم طاف بنظره فى الجمع قائلا : أثمة اعتراض ؟
وكانت عينـــاه ترسلان بريقا حادا ، ويده قابضة على العصا الضخمة التى تتوجها حمامة السلام ، فتصايح الجمع موافقين ، وتتابعوا على « مارتن » يهنئونه بالعضـــوية الفخرية . وسرعان ما أديرت أقداح كوكتيل « مارتن » بين الضجة والصياح ...!
وهنا قدم العالم الروحانى ، وهو يسير متئد الخطـــو ، يحمل على فمه ابتسامة غامضة ، فلما لمحوه سكنت الضجة على الفور ...

وتقدم العالم الروحانى من « مارتن » ، وقال له رزين الصوت :

أهنئك يا سيدى الامريكى ... أنتهى الى وأنا بالباب نبأ انتخابك عضوا فخريا ... آن للمؤتمر أن يثق بأن النجاح أضحى له حليفا ...

وأرسل قهقهة خفيفة لا تخفى دلالتها ...

وألفيت وزير المناطق الجنوبية السبع يسر الى رئيس المؤتمر قوله :

لا يروقنى هذا التعبير الملتوى من عالم وقور !

وقال « تيمورلنك » بصوت جهورى لرئيس المؤتمر :

فلنبدأ الجلسة يا سعادة الرئيس ...!

فرأيت رئيس المؤتمر قد وقف يعلن افتتاح الجلسة بصوت متراخى النبرات

وبسطت الأوراق أمامى ، وقلت :

صوغ المادة الأولى من ميثاق السلام !

فصاح مندوب البلاغة الدولية : وقف بنا الكلام عند كلمة « حرب »

وانحنى على الخزانة يقلب ما فيها من كتب . وسمعنا مندوب اتحاد الشرق الاقصى يقول ، وهو يطرف بعينيه الضيقتين اللامعتين ، ويداعب عثنونه :

لم نستقر بعد على رأى فى موضوع اقامة حفلة تدعى اليها جمعية الرغيف الأسود ردا على دعوتها لهيئة المؤتمر

فقالت « كليوبترة » بصوت عذب رقيق النغم : انى أضع هذا المعبد تحت تصرف المؤتمر لهذا الغرض ، اذا رغب فى اقامة الحفلة ...

فصاح « زين السيوف باشا » : فُكرة موفقة ...!

واقترب من « كليوبترة » يطرى كريم اقتراحها ...

وقال « مارتن » على الفور : نستطيع أن نستغل الرحبة

الرملية حول المعبد لنبسط عليها الموائد ونعلق الثريات على نحو مبتكر

ورأيته يقدم لـ « كليوبترة » قدحا من الكوكتيـــل ، فتتلقاه منه وعلى فمها ابتسامة شكر رقيقة

وسرعان ما رأيت « زين السيوف باشا » يخرج من جيبه لفيفة ، ويفضها ، ثم يضعها أمام « كليوبترة » على المائدة. فاذا هى تحتوى حفنة من الفول السودانى المقشـــور ... وهمس « زين السيوف باشا » قائلا :

انه من أجود المشهيات ... وقد جلبته معى من موطنه الأصيل فى صميم السودان ، وقمت أنا بقليه وتمليحه على طريقة خاصة ... ولعلك تلاحظين أن حبـــاته غاية فى الضخامة والنمو ...!

فأجابته الملكة :

أشكر لك حسن اهتمامك... انىأستطيب هذا الصنف من المشهيات ...

ورفع الرئيس رأسه ، وقال :

لم ننته بعد الى قرار فى موضوع الدعوة ...

ودار بعينيه فى بهو المؤتمر ، فلم يعره اهتمامه أحد ، اذ كان الأعضاء فى شغل بالشراب والمسامرة

وبعد حين توسط «مارتن» المجلس ، وقال عالى الصوت:

أقترح أن تكون الحفلة تنكرية يظهر فيها الأعضاء بملابس الفلم

فاشتد اللغط بين الأعضـــاء ، ومال بعضهم على بعض يتشاورون ...

وطال الجدل والنقاش ، على حين انتبذ العالم الروحانى مكانا قصيا يرمق الجمع بابتسامته الغامضة ويصغى دون أن ينبس . وألفيت مندوب اتحاد أوربة الشمالية يتجه اليه بقامته الفارعة ، وجسمه الضامر ، وهو يقول له :

لماذا لا تقاسمنا الحديث يا صاحب السيادة ؟ !

فأجابه وئيد الكلمات :

لأنكم تناقشون فى التنكر وليس لى فيه نصيب ...!

فقام وزير المناطق الجنوبية السبع مستنير المحيا ، تتلظى نظراته من أثر الشراب ، وقال : لست فى حاجة الى تنكر صناعى ، ففى زيك ما يكفى !

ثم أطلق ضحكة عريضة ، وهو يتلفت حوله كأنما يريد أن يشركه الجمع فى الاعجاب بهذه الدعابة . ولكن الاعضاء كانوا فى شغل عنه فلم يستجيبوا لضحكته ، وتابعوا نقاشهم وجدلهم ، وأقداح الشراب تغدو أمامهم وتروح

ولم يطل بهم المقام حتى رأينا العالم الروحانى ينهض متجها الى رئيس المؤتمر ، فيستأذن فى الانصراف لما ألم برأسه من الدوار . وغادر قاعة الاجتماع ، وما زالت على فمه تلك الابتسامة الغامضة يشيعها زملاءه الاعضاء . وما ان طوى ظله الباب حتى رأيت « تيمورلنك » يهمس لـ « كليوبترة » قائلا :

انى غير مطمئن الى تصرفات هذا العالم الروحانى

وجعلا يتهامسان برهة ، ولم يمض مديد وقت حتى لمحنا « أنطونيو » يفد على القاعة فى حلته الاوربية الأنيقة . وكان الجديد فيهانه يضع على رأسه شيئا كالخوذة الرومانية من اللبد ... وأقبل « أنطونيو » على « كليوبترة » يحييها فى تحبب ظاهر ، ولم ينس أن ينثر على سائر الاعضاء تحايا خاطفة ، ثم اتخذ مقعده بجانب الملكة . على حين كان « زين السيوف باشا » يرمقه ويتفحص ملابسه فى شبه ازدراء . وكان الفرسان الثلاثة يحيطون بـ « كليوبترة » كل يتفنن فى اجتذاب أنظارها ، وهى تضاحكهم وتحسن بينهم توزيع الحديث

وبعد لحظة وجدت المناقشة قد حمى وطيسها : فريق

يشايع رئيس المؤتمر فى تحبيذه التنكر بملابس غير ملابس الفلم ، وفريق آخر يناصر فكرة « مارتن » فى ايثاره أن تكون ملابس الفلم هى التى يظهر بها الاعضاء فى الحفلة ، واحتدت المجادلات حتى كادت تؤدى الى التضارب • فما كان من « عبد العال » الا أن أرسل ضحكاته وهو يصفق من طرب ، فبوغت الجمع بهذا وأدركهم وجوم • وصوبوا نظراتهم الى « عبد العال » يستنكرون فعلته • ورأينا « تيمورلنك » يسير اليه بعصاه المتوجة بحمامة السلام • ثم أخذ يصعد فيه النظر ويصوبه ، ثم قال له فى صوت يجلجل غضبا :

مم تضحك ؟ !

فبدا الوجل على « عبد العال» ، وقال فى تذلل وتوسل:

لا شيء وحياة رأسك يا سيد الحكام !

ـ كفاك هزؤا وسخرية بأعضاء المؤتمر •••!

وسمعت وزير المناطق الجنوبية السبع يصيح بقوله :

لا بد أن يطرد فورا ••• !

فقال « تيمورلنك » : بل يجب أن نتخذ فى تهذيبه وسيلة أخرى •••

ثم شمر عن ساعده وأمسك بـ « عبد العال » وأخذ يشبعه لكما وركلا • وكان كلما سقط وهم بالنهوض ، عاجله « تيمورلنك » بلكمات تصرعه ، فراح « عبد العال » يصيح ويستغيث بأعضاء المؤتمر ويناشدهم الرحمة والاشفاق باسم المحبة والسلام • ولما لم يجد من أحد انبعاثا لنجدته انطلق ينعت « تيمورلنك » بالوحشية والجبروت • وعجبت من نفسى كيف لم أهم بنجدته ؟ وكيف تسمرت قدماى وتخاذلت قواى ؟ فقد تم هذا المشهد فى سرعة عجيبة ومباغتة عاجلة لم نستطع معها أن نبدى حراكا ، وخرج

« عبد العال » من المعركة يجر نفسه ذليلا كالكلب المزجور أثخنته الجراح

وعاد « تيمورلنك » وهو يصلح من ثيابه ويقول :

ان هذا الوقح ينعتنا بأننا طغاة متوحشون ، ونسى أنه بأعماله الصبيانية يفسد جو المؤتمر ويعكر علينا صفونا . فلنكن طغاة فى سبيل المحافظة على الصفاء والنظام واقرار السلام !...

فصاح وزير المناطق الجنوبية السبع بصـــوت حماسى يدوى :

حسنا فعلت ... !

ورأينا بقية أعضاء المؤتمر يؤيدون قــول الوزير ... وتوسط « تيمورلنك » الحلقة ، وقال بصوت جهورى عليه مسحة الاهتياج :

أقترح أن يكون التنكر بملابس الفلم ...

فوافق الجمع بسرعة البرق !

ثم قال لرئيس المؤتمر فى لهجة الآمر :

يتفضل سعادة الرئيس باعلان انفضاض الجلسة ...

فسرعان ما استجاب له الرئيس فى صوته المتخاذل...

وتفرق الاعضاء على الأثر منصرفين ، وأقفرت المناضد من جلاسها ، الا مائدة واحدة جلست اليها « كليوبترة » ومن حولها فرسانها الثلاثة : « مارتن » و « أنطـــونيو » و « زين السيوف باشا » ، وأمامهم أقداح الكوكتيل وطبق الفول السودانى الضخم الحبات ، وتجـــاذبوا الاحاديث شائقة تشيع فيها الدعابةوالهزل . ورأيت أخيرا«كليوبترة» تشد أذن « زين السيوف باشا » فى جرأة ظاهرة ، فتهلل وجهه ، وشرع يتضاحك منتفخ الاوداج مترنح الاعطاف... ... ونهض « أنطونيو » وقد تضرج وجهه وقال فى حدة :

أصارحك يا كليوبترة بأنك جاوزت الحد ...!

فنظرت اليه الملكة في شيء من الكبرياء ، وقالت :
أي حد تريد ؟ !
ـ لا يروقني منك أن تجذبي أذن الجنرال !
فصاح « زين السيوف باشا » :
ولكن ذلك يروقني ••• فأرح نفسك !
فتصدى « مارتن » لـ « أنطونيو » قائلا :
كن على ثقة أن ما فعلته الملكة دعابة من الفن الرفيع •••
فأجاب « أنطونيو » في غضب :
بل انها دعابة من الفن الرخيص •••
فقالت « كليوبترة » وقد أشاحت بوجهها عن «أنطونيو»:
حقا لقد أثقل في الشراب ••• وهذا عيبه !
فرد « أنطونيو » :
كلنا أثقلنا ••• لا يمكن أن أغفـــــر لك جذبك أذن الجنرال !
فأجابت « كليوبترة » :
احتشم في قولك يا أنطونيو ••• بأي حق تجترىء على بما تقول ؟
فصاح « أنطونيو » ، وقد احتقن وجهه :
بحق الحب الذي أبادلك اياه !
فأخذ « زين السيوف باشا » يقهقه ••• وقال «مارتن»:
أي حب ؟ كلنا نحب كليوبترة ونجلها ونفني في سبيل خدمتها •••
فأجاب « أنطونيو » : انك تنتصر لها لأنها عركت أنفك فيما سلف •••
فتحسس « مارتن » أنفه على الفور ، وقال :
أنفي ؟••• أنفي ؟••• لا أذكر أنها عركت أنفي !
ـ أما أنا فأذكر ذلك ولا أنساه •••
فوضع « مارتن » يده في خاصرته، وقال لـ «كليوبترة»:

أقترح يا سيدتى فضا للنزاع أن تجبرى خاطر صديقنا القيصر بقرصة لطيفة تنزل عليه بردا وسلاما !

فضرب « أنطونيو » المائدة بجمع يده ، فاهتزت ، وكاد يسقط ما عليها ، وقال : وهل أنا كمثلكما أرضى بهــــذه الدعابات الجريئة ؟

فتبعه « زين الســيوف باشا » بضربة أخرى بجمع يده على المائدة حتى كادت تنقض لها ، وقال :

انك تهينني ، وانى أطلب منك اعتــــذارا صريحا فى الحال ...

وأترع « مارتن » قدحه ، ودفعه مرة واحدة فى فمه ، وقال :

أما أنا فلا أطلب اعتذارا ... انى أدعوك يا قيصرلملاكمة علنية بيننا ... وعليك أن تحدد الموعد ...

فنهضت « كليوبترة » ، وقالت متهدجة الصوت :

كل هذا أنا سببه ... اليك يا مارتن اعتذارى، وكذلك اليك يا جنرال ... أرجو أن تتناسيا حماقة هذا الطائش!

ثم أخذت بيد « أنطونيو » وانتحت به ناحيــة ، وقالت له :

انك برعونتك توقعنى دائما فى مآزق ...!

ــ وهل الذنب ذنبى ؟ !

ــ ذنب من اذن ؟ !

ــ انى أحبك يا كليوبترة ، أحبك ، ولا ...

ــ ألا تعلم أنك تضايقنى بهذا الحب ؟

ــ رحماكِ انى غيور ...!

وبدا عليه التصاغر والتخاضع والاسترحام ، فقالت له فى شىء من التعالى :

عاودتك فعالك الصبيانية ...!

فأقبل عليها فى تلهف وهو يقول : أريدك لى ... لى وحدى !

فأشارت اليه فى عنف ، وقالت : مكانك !

ـ أنت لا تحبيننى كما أحبك !

فأجابته وقد عقدت يديها على صدرها ، ووقفت شامخة الأنف :

نعم لا أحبك ... !

ـ ولكنك تحبين غيرى !

ـ أحب من أشاء وأبغض من أشاء ...

فأراد أن يمسك بها ،فدفعته دفعة ترنح على أثرها ، ثم وقف تجاهها برهة يحدجها بنظرات تتوقد ، ثم همهم :

لا بأس ... لا بأس ...

والتفت يريد الانصراف ، فاعترضت طريقه زهرية ملئت وردا وريحانا ، فركلها ركلة طاحت بها وتركتها علىالارض حطاما

وانصرف كالزوبعة العاتية ... ورجعت « كليوبترة » الى صديقيها وهى تروح وجهها المحتقن ، فما ان دانتهما حتى أخذت تكرر لهما الاعتذار ، وتنافس كلاهما فى التخفيف عنها باعداد كرسيها وتقديم الشراب لها

وما هى الا هنيهة حتى عادت « كليوبترة » تتحدث الى « مارتن » و « زين السيوف باشا » فى شأن حفلة غد ، وما يكون لها من برنامج ...

ثم استدعتنى تقول لى : كن على اتصال بمستر مارتن لاعداد حفلة غد...والآن يسعك أنتنصرف اذا شئت...

فخرجت لتوى أطلب « عبد العال » فأخبرونى بأنهم نقلوه الى منزله فى حالة يرثى لها ، فقصدت اليه ، فوجدته يتقلب على فراشه وهو يتأوه ، وقد تعددت على جسده الكمادات والضمادات ، وحين وقع بصره على قال :

حتى انت يا سيدى السكرتير لم ألق منك معونة ؟
فأقبلت عليه وقد ملكنى الخجل والحيرة ، وقلت :
أقسم لك يا عبد العال ان الأمر قد اختلط على ، حتى انى لم أدر ماذا أفعل . لقد عقد الذهول لسانى وشل يدى ...!
فغمغم « عبد العال » مغمض العينين قائلا :
فوضت أمرى فيكم الى الله ...
وتحرك فى فراشه كأنه يريد أن يعتدل فى مرقده ، فسرعان ما أحس ألما حادا صرخ منه صرخة عالية ، ثم استقر فى فراشه لحظة، وقال وقد فتح عينيه وهما تلتهبان غضبا :
سيرى ... سيرى ... سيرى هذا التترى صاحب حمامة السلام عقبى ما فعل بى !
فأدركت أنه يهذى ، فأقبلت عليه أطيب خاطره وأسرى عنه

٣ فبراير

مررت بـ « مارتن » فى الاستديو ، فوجدته بالباب وقد جاء بسيارة ضخمة حملها مختلف الازياء والأثاث ،ومضينا الى المعبد ، نعد العدة لحفلة المساء ، وما كادت الشمس تؤذن بالمغيب حتى كانت المعدات كلها قد تمت ، وحتى كان المعبد كله قد أخذ زخرفه وازين . ومما تفنن فيه «مارتن » أنه ركب حول أبى الهول مصابيح صبت عليه أضواءها الساطعة ، فكسته حلة مزركشة تأخذ بلب الناظر، وكذلك سلط هذه الاضواء المختلفة الالوان على الرمال المنبسطة فى الرحبة حول أبى الهول على نظام هندسى فنى ، فأحال تلك الرمال طنافس شرقية ملونة بهيجة المنظر بالغة الرواء
وقد مدت الموائد على هذه الطنافس تزخر بشتى المطاعم

والمشارب على نسق مبتكر تتجلى فيه الأناقة والمهارة والبهاء ...

وبدأ أعضاء المؤتمر يوافون المكان ، فكنت أرافقهم الى الحجر حيث كان « مارتن » يوزع عليهم الأزياء ، ويسلمهم الى الخدم ليعينوهم على ارتداء ثياب التنكر . وشغلت بعد ذلك باستقبال المدعوين من الرجال والنساء واحلالهم أمكنتهم من الموائد ، وكان كل منهم متخذا حلةتنكرية تدعو الى الاعجاب ، حاجبا نصف وجهه بنقاب لا تبدو منه الا العينان ، فكادت شخصياتهم تخفى على ، ولكنني اهتديت سريعا الى معرفة العملاق الروسى مندوب جمعية الرغيف الاسود حينما جاء يتخطر فى حلة سلطان من سلاطين آل عثمان ، وحوله سرب من جواريه تمثل كل منهن قطرا من أقطار الامبراطورية العثمانية القديمة ، واختار مجلسه على ظهر أبى الهول حيث مدت له مائدة حافلة بقنانى الفودكا وصحاف البطارخ الروسية . وكانت الموسيقى أثناء ذلك تصدح وأنغامها تنساب فى الجو دون أن يرى العازفون أو ترى مضخمات الاصوات

... ولما حل الموعد هرعت الى دخيلة المعبد وبيدى هراوة ضخمة وفق التعليمات التى أرشدت اليها ، وقرعت الأرض بها قرعات ، وصحت بأعلى صوتى :

صاحبة الجلالة نفرتيتى ، وصاحب الجلالة أخناتون ...!

وانفتح الباب ، وظهرت « كليوبترة » تتألق فى ملابس « نفرتيتى » وبجوارها « مارتن » فى لبوس « أخناتون » آخذا بيمينها ، فانحنى الجمع أمامهما فى صمت وروعة ، وجعلا يسيران فى طريقهما حتى بلغا الرحبة الرملية حول أبى الهول ، وكانا يحييان المدعوين فى وقار ملكى مهيب

وسرعان ما صدحت الموسيقى بلحن راقص بديع ، فافتتح الملكان الدورة برقصة فرعونية أخذت بلب الجمع ،

وتتابع المدعوون يتراقصون ، فكنت ترى المكان يضطرب بأمواج زخارة من حلل وحلى رفافة تزيدها الأضواء سحرا وفتنة !

وتوالت دورات الرقص والشراب والطعام ، وشاع فى المكان جو رائع خلاب من الأنس والمرح ، وبدأت أندمج مع الجمع فيما هم آخذون فيه، فنلت قسطا من الطعام والشراب ... وشاهدنا العملاق الروسى وقد قام منتصب العود على ظهر أبى الهول وغاداته يتعلقن بعنقه وكتفيه فيحملهن ذهوبا وجيئة وهو يخطو على ايقاع الموسيقى ويتمايل طوعا للنغمات

أما « تيمورلنك » فكان يتبختر فى لبوسه الحربى ، لبوس القائد السورى الأعظم ، وهو متقلد سيفه المرصع، تزهو عليه حمائله ، يأمر وينهى فى حراسه وغير حراسه ! فاذا ما أدركه النصب اتجه نحو مائدة مندوب البلاغة وانهمك معه يلاعبه الشطرنج وينافسه فى تدخين النرجيلة ... أما « زين السيوف باشا » فكان دائما يلازم الملكين ، وهو فى ملابس « حورمحب » القائد المصرى الأعلى ، ويبدو أنه قد أقنع نفسه بأنه ما دام قد اختار دور القائد فمكانه الطبيعى هو المكان الثانى بعد الملك ... ومن ثم حرص على ألا يفارق الملكين ، فهو اما بين يديهما يفسح لهما الطريق، واما خلفهما يتفقد الحاشية والاتباع

وكانت « كليوبترة » مبتهجة ضحوكا لا تفتأ ترسل دعاباتها الرقيقة . وتغالت فى عرك أذن « زين السيوف باشا » وجذب أنف « مارتن » دون أن يبدى أحدهما أى تأفف أو استياء . بل لقد كان كلاهما يغتبط لهذا العمل وتقر به نفسه ، ورأينا « أنطونيو » يدخل بغتة فى صخب وضجيج ، وكان متنكرا فى زى شيخ شرقى بعمامة ضخمة وقباء فضفاض ، وعلى جانبيه « فلورا » و « جانيت » فى

زى فلاحتين حسناوين ... وتقدم نحو مائدة « كليوبترة» وحنى رأسه يحييها ، فقال له « مارتن » على الأثر :

ما أعظم توفيقك فى اختيار هذا الزى الجميل يا شيخ البلد ... أهنئك !

وقال « زين السيوف باشا » مبتسما ابتسامةالسخريه:

ومن هاتان الفتاتان ؟ !

فقال « أنطونيو » على الفور : انهما زوجتاى ... ضرتان ، ولكنهما على وفاق !

فهمهمت « كليوبترة » بقولها ، وقد طبعت على فمها ابتسامة مصنوعة : مبارك !

فاعتدل « أنطونيو » فى وقفته ، وأمال عمامته على رأسه ، وقال :

انهما ساذجتان يا مولاتى !.. لا تعرفان جذب الانوف ولاعرك الآذان !...

فصدفت « كليوبترة » عنه بنظرها فى استعلاء وازدراء، وتنحنح « زين السيوف باشا » مغضبا ، ودمدم بألفاظ لم تستبن . أما « مارتن » فتقدم وضرب بيده كتف «أنطونيو» وهو يقول : أنت ظريف على الرغم من حماقتك ، ولكن يبدو لى أنه سينتهى بى الأمر الى أن أفصل من وجهك هذا الانف الرومانى الاقنى وأستبدل به أنفا شرقيا يناسب ما ترتديه من الملابس !

فانحنى « أنطونيو » انحناءة مسرحية ، وهو يقول :

انى طوع أمرك يا صاحب الجلالة ....!

ثم رفع هامته وبالغ فى امالة عمامته الضخمة على فوده، واندفع ضاحكا فى ضجة ... ثم مضى بغادتيه الى مائدة على مقربة من مائدة « كليوبترة » وأخذ معهما فى الطعام والشراب . ولكنه كان يغالى فى التحبب الى الغادتين وفى التلطف بهما على نحو يسترعى النظر ...

ورأيت « زين السيوف باشا » ينحنى على « كليوبترة » ويقول :

ألا تأمر مـولاتى بشىء فى شأن هـذا الرومـانى السادر ؟ !

فأجابته وهى تتكلف الهدوء : لا ·· لا ··لا شأن لنا به

وقام « أنطونيو » يراقص غادتيه رقصا شرقيا عجيبا كان موضع اهتمام الجمع واعجابهم ، حتى كلت الأيدى من التصفيق ··· وكان فى أثناء رقصاته يخالس «كليوبترة» النظر ، فيراها وقد تصنعت الرزانة والاغضاء ، فيبالغ فى الرقص والتضاحك ···!

··· قضى الجمع وقتا طيبا فيما لذ وطاب من طعـام وشراب ، وفى أنس متواصل بالرقص والموسيقى وتجاذب الحديث ، وأعترف بأنى جاوزت الحد فى الشرب ، وأذكر أننى راقصت كبرى الوصائف مرات ، وأكبـر ظنى أنى اختلست منها بعض القبل فى زوايا أبى الهـول السمح الصفوح ···!

والتبس على الأمر فى النهـاية ، فخيل الى أنى أرى أبا الهول يتطاير وقد نشر جناحيه ودف بهما فى الهـواء حاملا على ظهره العملاق الروسى بغوانيه ···

رجعة إلى السماء

٤ فبراير

أمضيت صبيحة اليوم فى فراشى أشكو الصداع وقد اتخذت الكمادات المثلوجة على جبينى ، ولكننى استطعت قبيل الأصيل أن أغادر البيت ، فقصدت توا الى المعبد لأستطلع ما هنالك ، وأتعرف : على أى شىء استقر الرأى فى أعمال المؤتمر ؟ ... فطلبتنى من فورها « كليوبترة » حين علمت مقدمى ، وكان يبدو عليها بعض الضيق بالرغم مما تتظاهر به من تمالك ، ورغبت الى فى أن أدعو لها العالم الروحانى ، فلم ألاق عنتا فى الاهتداء الى مقره ودعوته الى موافاة الملكة ...

دخل عليها العالم الروحانى وصافحها فى سكون وصمت، ومضت هنيهة لم يبدأ أحدهما الحديث ... وكان العالم يرمق الملكة بين حين وحين بابتسامته الغامضة، وهى تسرح طرفها فى الأفق ، وتعبث بقلادة فى صدرها

ولما طال صمتها قال العالم الروحانى :

ألم ترسلى فى طلبى ؟

فخفضت من بصرها ، وما زالت يدها بالحلية عابثة ، وقالت بعد هنيهة فى تباطؤ : أردت باستدعائك أن أتحدث اليك فى شئون المؤتمر • يبدو لى أنك لست عن أعماله براض

ـ هذا أمر يطول الجدال فيه ، وليس هذا وقته ...!

ـ بل أراه أنسب الأوقات للخوض فيه ... أطلب اليك أن تفضى الى فى صراحة بكل شىء !... ماذا تأخذ على المؤتمر ؟...

ـ وهل أنت محتاجة الى بيان وتفصيل فيما أحسه نحو المؤتمر ؟

ـ الظاهر أن التغالى فى النظام الديمقراطى وأخذ الاصوات هو الذى لا يظفر برضاك ...

فتضاحك العالم الروحانى وقتا وقال : انها حقا لديمقراطية عجيبة هذه التى يتخذون أسلوبها ويستترون خلفها فى سبيل انفاذ المآرب والرغبات ... ومع ذلك فليفعلوا ما يشاءون ، وليقروا ما يوافق مزاجهم العام ... وهل أنا الا فرد ؟

ـ ان أردت الحق فانى أشاركك متاعبك فى صدد هذا المؤتمر ... لا أنكر عليك أنى أحس بشىء من الضيق بأحواله ، بل انى لأحس الضيق بكل شىء يحيط بى ... انى برمة بهذه البيئة التى تكتنفنى ... انه لجو خانق!.. خذ مثلا : أنطونيو ...

ـ ماله ؟ !

ـ ألا تراه قد بات لا يصلح له حال ... ؟ !

ـ لماذا ؟

ـ انه يخرج علينا كل يوم فى بدعة جديدة ...ألم تره فى خوذته الرومانية المنسوجة من اللبد التى يتخذها غطاء للرأس ؟ انها أضحوكة ، لقد أصبح أنطونيو حقا هزأة ... انه يعرض سمعتنا للسخرية ، سمعتنا نحن الذين جئنا من العالم العلوى !

فنظر اليها العالم الروحانى طويلا نظرة تفحص ، وقال: ان أمر أنطونيو بين يديك ...!

ـ بل بين يديك أنت ...!

ـ وماذا تريدين أن أفعل ؟

ـ افعل ما يروقك ... ولكنى أشفق عليك ... ان الألسنة قد بدأت تتحدث فى شأنك ...!

ـ ماذا يقولون ؟

ـ هذا التراخي ، هذا الضعف ، هذا السكوت ، هـذا الاغضاء ...!

ـ بل أفصحي وقولى الحق ... انهم يعزون الى أنى أعرقل سير المؤتمر ... ولذلك لزمت الصمت ...

ثم اعتدل فى جلسته ، وواصل حديثه قائلا :

أراك تعيبين على أنطونيو تصرفاته ، ولكن كل الأعضاء قد صاروا فى نظـرى أنطونيو ... كلهم ... لا أستثنى منهم من أحد ...!

فظهرت على « كليوبترة » مسحة امتعاض ، وهمهمت :

ماذا تريد أن تقول ؟

فنظر اليها نظرة جرأة ومصـــارحة ، وقال : اذا ألقيت نظرة واحدة على شكل المعبد الذى تأوين اليه بدا لك كل شيء كوضح النهار ... هبطت هذا العـــالم قديسة زاهدة متقشفة ... والآن ، كيف أنت ؟ !

ثم صمت ، دون أن يتم بيانه ، وحرف بصره عن الملكة ، فقالت فى صوت متهدج : أتمم ما تريد أن تقول ...

فتكلم وهو على حاله منحرف البصر :

نظرة الى هذا الخان الامريكانى ...

وأشار بسبابته اليه اشارة تحد واستنكار

فقالت « كليوبترة » على الأثر :

لم أطلب أن يقيموا لى هذا الخان ...

ـ ولكنك على كل حال مسرورة باقامته ... وما هـذا الترف البالغ الذى تمرحين فيه ؟... ان كل ما يحيط بك يدل على غلو واسراف ...

وأشار العالم الروحانى بيده الى ما فى القاعة من أثاث فقالت « كليوبترة » :

ان صحتى تتطلب شيئا من العناية بمسكنى ووسائل عيشى ...

فقال فى لهجة تشوبها سخرية واضحة :

كما تطلبت صحتك اجراء عملية الأنف ؟ !

فقالت « كليوبترة » محتدة :

كان بأنفى بعض الزوائد الباطنة التى تسبب لى عسر التنفس ...

فتابع العالم الروحانى قوله فى لهجته الساخرة : عملية فى معهد تجميل ؟ ! ... ومع ذلك فان أنفك ظل على حاله لم يظهر عليه أى تغيير ... انك تعيبين على أنطونيو تصرفاته ، وتغمضين عن تصرفاتك أنت ...!

فضربت « كليوبترة » المنضدة بيديها ، وقالت :

لقد جاوزت الحد يا سيدى العالم !

ـ لو أنصفت نفسك وأنصفتنى لقلت لى من فورك : أعد طائرة تحملنى أنا وأنطونيو وهذا التترى صاحب حمامة السلام ، لتعود بنا الى العالم الآخر ...!

ثم اندفع يقهقه ... وبعد لحظة التفت اليها ، وقال :

انى أرى لهذه الحمامة أنيابا كأنياب الافاعى ومنقارا كمنقار النسور !

فنهضت « كليوبترة » ، وهى تقول متعاظمة :

حسبك ماقلت ...حسبك... ما استدعيتك لتسمعنى هذا كله ...

فقال لها ، هادىء الصوت رزينا ، وهو يتفحصها بثاقب بصره :

ما دمت قد أثرتنى فعلى أن أنفض جعبتى لا أكتمك شيئا ولا أكذبك الحديث ... ألست على رأيى فى اعداد الطائرة لتعود بكم الى مقركم الأول ...؟

فظلت « كليوبترة » واقفة وقفتها الشامخة ، وقالت ، وهى تتجافى عنه بنظراتها :

أأحمل كلامك هذا على محمل الوعيد والتهديد ؟

ـ احمليه أى محمل تشائين ...

فالتفتت اليه ، وحدجته ببصرها ، وقالت فى لهجة اصرار وعزم :

لن أعود الى مقرى الأول قبل أن أتم المهمة التى هبطت من أجلها ...!

ـ أية مهمة يا سيدتى ؟ أتقصدين تلعيب فرسانك الثلاثة ... تؤججين بينهم نار المنافسة ، وترقبينهم فى تناحرهم وأنت طلقة المحيا بسامة الثغر ...؟! انى أمجد من بينهم أنطونيو ، لأنه الوحيد الذى استطاع أن يسبب لك بعض الضيق ... ألا تعترفين لى بالحقيقة ، وهى أنك لم تستدعينى الا لكى تطلبى نقله الى العالم الآخر تخلصا من مضايقاته ؟ !

فصاحت الملكة ، والرعشة تنتظم نبرات صوتها :

هذا كذب صراح ...!

وجعلت تشد منديلها بين يديها وهى مهتاجة النفس ، فقال العالم الروحانى ، وقد ألان من لهجته : لم أقصد أن أحرج الملكة ، فلتغفر لى ... انى رجل صريح ... عيبى أنى لا أقبل المداورة ...!

فظلت « كليوبترة » برهة صامتة ، وهى ما برحت تشد المنديل بين يديها ، ثم قالت فى صوت أبح يتخلله رنين الأسى والألم :

أنت رجل غليظ القلب ... لم أعهد فيك هذه القساوة ... كيف تسوغ لك نفسك أن ترمينى بكل هذا ؟

وبغتة خبأت وجهها فى منديلها وانطلقت تنشج ، فأدرك العالم الروحانى اضطراب بدت عليه آثاره . وشاع فى

حركاته الارتباك والحيرة ، وظل واقفا لا يدرى ماذا يفعل ، وجمجم قائلا : لم أقصد أن أزعج الملكة ...

وخطا نحوها خطوة ، وقال :

ألا تستريحين فترة على المقعد ؟ !

فقالت له ، وما زالت متمادية فى النشيج :

دعنى ، دعنى أنت رجل تخلت عنك الرحمة والاشفاق

ـ ناشدتك الله أن ...

فمسحت عينيها وقالت :

كان فى وسعك أن تتكلم كما تريد ، وأن تفصح لى عن طويتك دون أن تؤلمنى ... لم تتخذ لنفسك أسلوبا حكيما فى المصارحة ...

فاقترب منها أكثر من ذى قبل ، وقال لها فى مظهر من التوسل :

ما وددت أن أكون لايلامك سببا ، ولكن ثقى أنى لم أرد بك الا خيرا ...

وشغلت « كليوبترة » لحظة تصلح من أمرها ، ثم قالت فى لهجة وادعة وقد رنت اليه فى تلطف :

أترانى حقا قد انحرفت عن الجادة ؟ !

فتلاطمت الكلمات وقتا على شفتى العالم الروحانى ، ثم قال : ان الحق يا سيدتى يغضبك ...!

فأقبلت عليه فى رقة ، وقالت :

كلا .. كلا .. لن تغضبنى بعد الآن صراحتك ... فلا عليك .. يبدو لى أن لك فيما تقوله وجه حق !

ثم أمسكت بيده تشد عليها ، وهى تقول :

ناشدتك الله .. ماذا يجب على أن أفعـــل ؟ أعدك بأن أستمع لنصحك ... بيد أنى أطلب اليك ألا تغضب ...!

وأخذت تربت يده فى ملاطفة ظاهرة ، وقالت : أما زلت محنقا ؟

فأجابها ، وقد تنازعته عواطف متضـــاربة : كلا ... ليس بى حنق ؟ !

ــ ان وجهك محتقن ... مازلت فى غضبك ...!

ثم صاحت بالوصيفة تقول لها : علينا بأقداح الليمون

ثم التفتت الى العالم الروحانى ، وقالت :

أم تريد قهوة من التى اعتادوا أن يصنعوها لى خاصة ؟

فهمهم الرجل شارد البصر : قدح من الليمون فيه غناء !

وجلست « كليوبترة » ، وقالت له :

سنتناول الليمون معا فى صفاء وهدوء ...

ثم أشارت بسبابتها مداعبة ، وهى تقول :

يجب أن تعترف بأنك كنت قاسيا فى معاملتـــك اياى اليوم ... نستطيع أن نصل الى حل موفق ... كل شىء سهل ، فلم التعقيد والمشادة ؟

وجاءت أقداح الليمون ، فبالغت « كليوبترة » فى اعداد الشراب للعالم الروحانى ، وتقديم القدح له ، وطفقايكرعان وهى تزجى له من معســـــول القول ولين الملاطفة ما جعله يفاكهها متطلق الاسارير ...

ونهض العالم الروحانى يتأهب للانصراف ، فقـــــامت تصحبه الى الباب ، فقال لها : حسن أن أجد منك رغبـــة صادقة فى اصلاح نفسك وتقويم انحرافك

فقالت له فى توكيد : ثق أنى سأتوخى ما يرضيك !

وما كاد الرجل يطويه الباب،حتى ألفيت الملكةتستدعينى فى عجلة واهتمـــام ، وقالت لى : بى حاجة الى مقـــابلة زين السيوف باشا وتيمورلنك ... حالا ... اطلبهما ، وجئنى بهما من فورك ...

فخرجت مهرولا ، أبحث عنهما فى مختلف المظان ، وبعد

لأنى عثرت عليهما معا يلعبان البوكر فى نادى « الفرسان العشرة » وما هى الا أن قدما على « كليوبترة » ، وما أسرع أن اختلت بهما فى حجرتها الخاصة ، وبعد وقت هرولت الى كبرى الوصائف تطلب منى أن ألبى الملكة ...

فلما مثلت أمامها واجهتنى بقولها فى لهجة جد وعزم :

أنت سكرتير المؤتمر وكاتم أسراره ... وقد اخترتك لتنفيذ أمر يستوجب الأمانة والكتمان ، وأرجو أن تكون عند ثقتى بك ...

فانحنيت بين يديها ، وقد تقسمنى شعور غبطة ورهبة، وقلت :

ان ثقة مولاتى بى تملؤنى زهوا وشرفا ...

ـ أقسم أمامى أن تصون السر فلا تبوح به لأحد ، وأن تطيعنى فيما آمرك به طاعة لا عصيان معها مهما يكن من شأن !

فوجدتنى على الأثر أقسم على الطاعة وصون السر ... فقالت بصوت رقيق لين النبرات : أشكر لك يا حضرة السكرتير ... هاك يدى أمدها اليك ...

ومدت أناملها متراخية وهى تسبل جفنيها فى عطف وتودد ، فأسرعت الى يدها أقتطف منها قبلة شيقة أفعمتنى لذة ونشوة ، وأثارت بين حناياى جديدا من الاحساس لا عهد لى به من قبل

وألفيتنى أغمغم : مرينى أطعك يا مولاتى ... ماذا تبغين ؟

فانبرى « تيمورلنك » يقول : انتبه لما أقوله يا حضرة السكرتير . بوصفك كاتم أسرار المؤتمر ومندوبا مرافقا لجلالة الملكة ، قد أشركناك معنا فى انقاذ المؤتمر !

فقلت على الأثر دهشا : انقاذ المؤتمر ؟

فتابع « تيمورلنك » قوله : اعلم أن المؤتمر على وشك

الاخفاق ، والسبب فى ذلك هذا الشيخ الخرف البعيد عن روح الحياة العصرية ٠٠٠!

ففطنت على الفور الى أنه يعنى العالم الروحانى

وصمت « تيمورلنك » برهة ، ثم قال فى حزم :

لقد أزمعنا فيه أمرا !

والتفت الى زميله « زين السيوف باشا » ، وقال :

هيا الى العمل يا صديقى ٠٠٠

والتفت الى يقول : ستعلم كل شىء فى حينه

واستأذن من « كليوبترة » قائلا :

تسمحين لنا أن ننصرف ؟ وقتنا محدود !

وسار مسرعا يتبعه « زين السيوف باشا » ، وأنا معهما ألاحقهما ٠٠٠ وركبنا السيارة ، واذا بـ « تيمورلنك » يقول لـ « زين السيوف باشا » :

لن يكون هذا الرجل حجر عثرة فى سبيل تحقيق فكرتنا المثالية ٠٠٠ لن يكون !٠٠ لقد شرحت لك الخطة يا صديقى ٠٠٠

وقصدنا أولا الى مسجد السلطان حسن ، حيث نزل « تيمورلنك » ٠٠٠ثم يممت بنا السيارة شطر قصر الورد، فدخل فيه « زين السيوف باشا » وحده وبعد لحظات عاد الى السيارة يرافقه العالم الروحانى ، وصعدا فيها . وكان «زين السيوف باشا» يبالغ فى تحيته والحفاوة به ، ثم أخبره بأن « تيمورلنك » يرغب فى أن يراه . وعادت بنا السيارة أدراجها الى مسجد السلطان حسن ، وكان ببابه « سيد متولى » ينتظرنا ، فتقدم « زين السيوف باشا » بعد أن أدى له التحية فى حركاته الصلبة العنيفة كأنه آلة صماء... وهو يقول :

مولاى تيمورلنك ينتظركم فى خلوته حيث يتعبد ...

وسار أمامنا ونحن خلفه ، فاخترقنا شبه سرداب ينتهى

بباب ضخم ، فدفعه يفسح لنا ، وقال : تفضلوا ...

ورأينا شبح « تيمورلنك » يتقدم من العالم الروحانى خطوات مرحبا به محييا له ، وقال له على الفور : أشكر لك يا سيدى تكرمك بهذه الزيارة ... لدى أمر أريد أن أفضى به اليك ... تفضل بالجلوس ...

فجلس العالم الروحانى على دكة عتيقة ، وبقى « تيمورلنك » واقفا تجاهه ، أما « زين السيوف باشا » فلم أر له من أثر ، وجلت بعينى فى الحجرة ، فاذا هى ضيقة رطبة ليس بها من الأثاث الا الدكة وحصير عليه بعض الحشايا ... وفى أعلى الحائط كوة عليها شبكة من الحديد ...

وسمعت « تيمورلنك » بغتة يدق بعصاه الأرض دقة عنيفة ، وقد نصب قامته وتنفخ فى وقفته ، وقال بصوت مهيب : باسم مؤتمر المدينة الفاضلة لدعم السلام أعتقلك يا سيدى العالم ... فأنت منذ اللحظة أسيرى ...!

تم ذلك فى لمحة خاطفة ، ومباغتة طارئة ، لم تدع للعالم الروحانى أن يتمالك فينبس ، ولكنى لاحظت أن وجهه قد شاع فيه الامتقاع ...

وتابع « تيمورلنك » قوله : ستبقى فى هذه الحجرة حتى ينتهى المؤتمر من مهمته ... لا تخش بأسا ... ستعامل معاملة عظماء الأسرى ... لك حريتك كاملة فى نطاق هذه الحجرة . ولك مطالبك ميسرة فى حدود القانون ...

وأدى له تحية عسكرية بالغة ، وخرج على الفور وأنا أتبعه سليب اللب !

وأغلق « تيمورلنك » الباب الضخم بمفتاح غليظ ألقاه فى جيبه . ولم ألبث أن رأيت « زين السيوف باشا » مقبلا بثلة من الحراس على رأسهم « سيد متولى » فاصطفوا أمام الباب . ووقف « تيمورلنك » يقول لـ « سيد متولى » :

عينتك رئيس الحراس فى هذه المنطقة ، ومنحتك نوط النظام الفضى
ودنا منه يعلق على صدره هذا النوط ، على حين كان « سيد متولى » تلتمع عيناه غبطة وزهوا ، وهو يزداد صلابة وعنفا ...

وفارق « تيمورلنك » الجمع ، ومضى الى السيارة وأنا أقتفى خطاه ، وتركنا « زين السيوف باشا » يرتب مواقف الحراس من محبس الأسير ... وفيما كان « تيمورلنك » خارجا من الباب صادف كلبه الذى تعهده برعايته مقبلا يبصبص بذنبه ويهش له ، فالتفت الى البواب ، وقال له :

عليك أن تعامل هذا الحيوان معاملة كرم وعطف على الدوام ، انه حيوان أعجم ... لقد أفهمتك ذلك غير مرة... حاذر أن تسىء اليه ...!

ودنا منه الكلب يهر له ويتلاعب أمامه ، فقال له « تيمورلنك » ، وقد مد عصاه فى وجهه : قف ولا تدن منى . لا تنس أنك حيوان نجس . لقد توضأت !

فأراد الكلب أن يحييه بقفزة تلطف وتحبب ، فما كان من « تيمورلنك » الا أن هوى عليه بعصاه صائحا : جاوزت الحد ... اغرب عن وجهى ...

وفر الكلب مذعورا يعوى أحد عواء !

١٩ فبراير

أسبوعان انقضيا دون أن أخط حرفا فى دفتر مذكراتى ؛ وأغلب الظن أن ذلك مبعثه اضطراب نفسانى من جراء ما أحاط بى من أحداث شتى ... الى أن أعترف بأنى قد ضقت بهذا المؤتمر ذرعا ؟ لقد خامرتنى فكرة الاستقالة فترة بعد فترة ، وهممت بأن أنتبذ مكانا قصيا لا ألاقى فيه من أحد ، ولا أفكر فى شىء من هذه المشكلات التى صدعوا

بها رأسى لاصلاح المجتمع واحلال الوفاق محل الشقاق وبسط السلام على ربوع البشر ... لقد أمضيت هذين الأسبوعين، وليس لي رغبة فى أن أتناول القلم ملالة وسأما . ولكنى الآن ، وقد أحسست بعض الاستجمام والترفيه ، أجلس لاستئناف تدوين مذكراتى

أذكر أنه فى اليوم التالى لاعتقال العالم الروحانى انعقد المؤتمر فى البهو الكبير من معبد أبى الهول بجوار الخان الأمريكانى ، وأن « تيمورلنك » قام يعلن للأعضاء هذا الحادث بالبيان الآتى :

« يسوءنى أيها الرصفاء الأمجاد أن أفضى اليكم بنبأ يبعث على الأسف ، وهو أن صديقنا العالم الروحانى قد أصابه مس ، وأن حالته العقلية لا تسمح له بمزاولة عمل »

فسرت بين الأعضاء همهمة دهشة وتساؤل ، ولكن « تيمورلنك » واصل بيانه قائلا :

« ولكن ثقوا أيها الرصفاء أن غيبته عن المؤتمر لن يطول أمدها ، فنحن نبذل فى سبيل علاجه وتوفير أسباب الراحة له أقصى المستطاع ، ولكم أن تطمئنوا ... »

فاشرأب رئيس المؤتمر بعنقه ، وقال مترددا :

هل من سبيل الى عيادته ؟ !

فحدجه « تيمورلنك » بنظرة نكراء ، وقال :

كل زيارة له زيادة فى متاعبه ... حسبك يا سيدى الرئيس أن تكل هذا الى ، فانى أرعاه نائبا عن المؤتمر كله !

فجعل رئيس المؤتمر يتصفح وجوه الأعضاء مخالسة ليتبين الى أى مدى يشايعونه فى رأيه ، فلم يشهد الا وجوها صلبة الملامح ، فطأطأ رأسه ، وانهال على جلدة صلعته يحكها بأنملة خنصره ...

ولم يقع فى هذه الجلسة شىء يستحق الذكر ، فقد كان لنبأ اعتلال العالم الروحانى وتبليغ « تيمورلنك » ذلك النبأ

للمؤتمر على هذه الصورة أثر فى نفوس الأعضاء أشاع بينهم الحيرة والوجوم

وفى اليوم نفسه ، بينما كنت فى قصر الورد مساء أخطو فى أحد الممرات أمام حجرة رئيس المؤتمر ، اذ استرعى انتباهى همسات مختلطة ، فوقفت أسترق السمع ، فطافت بأذنى ألفاظ ذكر فيها اسم « تيمورلنك » والعالم الروحانى ، ففهمت منها أن رئيس المؤتمر وبعض شيعته من الأعضاء مجتمعون يأتمرون بشىء ... فلم أطل وقفتى خشية انكشاف أمرى . ومضيت فى سبيلى ...

وأما « عبد العال » فقد ذهبت لعيادته ، فأعلمتنى زوجه فى لهجة ملتوية مريبة بأنه ارتحل وحيدا الى بلد غير بعيد ، يقضى فيه فترة النقه من العلة . فلم يطمئن لى بال ، وساورتنى أشتات من الشكوك ...

وقد والى المؤتمر اجتماعه فى المعبد بجوار الخان الامريكانى ، وكان « مارتن » يقتحم علينا الجلسات ، ليتحدث بما تم فى شأن الفلم ، فكانت الجلسة تتحول من البرنامج المرسوم لها الى الفلم ومراحله ، واشتراك الأعضاء فيه ... وانتهى الأمر بأن صار ذلك الفلم هو المحور الذى تدور عليه أعمال المؤتمر ، فأصبحت الجلسات خاطفة لا تكاد تنعقد حتى تنفض ويتفرق الأعضاء مع « مارتن » لاجراء التجارب الفنية ... على أننى أقرر أنه على الرغم مما كان ظاهرا من وئام بين الأعضاء ، كانت تنم بعض الحركات عن تيارين متنازعين يدلان على أن المؤتمر منقسم على نفسه . ففئة الأكثرية التى من بينها وزير المناطق الجنوبية السبع ومندوب اتحاد الشرق الأعلى ، و « زين السيوف باشا » و « كليوبترة » تؤلف حزب « تيمورلنك » الغلاب . وفئة الأقلية التى من بينها مندوب اتحاد أوربة الشمالية تؤلف حزب الرئيس الذى لا سلطان له فى كثير ولا قليل

ولا أكتم اني كنت مسوقا بدافع لا أدرى كنهه الى مناصرة حزب الأكثرية ، حتى اني كنت أتجسس من تلقاء نفسي لأتعرف خفايا حزب الأقلية مستطلعا أسراره وتدابيره

ولقد كان أمر « أنطونيو » أعجب العجب ... لم يكد ينقضي على حفلة أبي الهول الأخيرة يومان ، حتى رأيته يقدم لزيارة « كليوبترة » في المعبد متذللا متصاغرا ، فصفحت عنه وضمته الى مجلسها الخاص ، وعاد الصفاء شاملا بعودة الفرسان الثلاثة الى ميدانهم المعهود ، كل منهم يقوم بشوطه بحسب ما يعن له . وعلى الرغم من تباين منازعهم ومحاذرة بعضهم لبعض تلاقوا كلهم على غرض واحد هو ابتغاء مرضاة الملكة وتوخي هواها ، فكان يتعذر الا تجدهم متلاقين يقضون معا سهرات مديدة في سمر وشراب وايناس يتنقلون من ناد الى ناد ومن مرقص الى مرقص ...

وعلى هذا النحو انقضى الأسبوعان ، وأنا لا أدرى الى أى طريق يساق المؤتمر ؟ والى أى مصير ينتهى ؟...

٦ مارس

ترادفت على الأحداث خلال هذين الأسبوعين ، أحداث جسام كان يزحم بعضها بعضا في اختلاط . حتى ما أدرى كيف أرتبها في فكرى ؟ وكيف أجريها على قلمي ؟...

صرف المؤتمر ، أو على الأصح حزب الأكثرية فيه ، كل اهتمامه الى شئون الفلم ، اذ كان ــ كما يزعمون ــ أرحب خطوة عملية يمكن بها أن يواجهوا العالم المتعطش الى دعاية ناجعة للسلام ولم يكن حزب الأقلية متحمسا لفكرة الفلم ، ولطالما تخلف عن شهود التجارب والاشتراك فيها ، بيد أنه لم يكن يجاهر بعدائه للفكرة تجنبا لاثارة الشبهات ونأيا بنفسه عن اتهامه بغرس بذور الشقاق ... وكثيرا ما كان الأعضاء يشهدون جلسات المؤتمر في أزياء الفلم ، وخاصة « تيمورلنك » الذى كان لا يخلع زيه بوصفه قائد سورية

الأكبر ، فاذا خوطب فى ذلك ، قال :

ليس عندى من فسحة الوقت ما أبدل فيه ملبسى !

وكان يقضى معظم يومه فى التجارب ، يزعم على الصفوف ويرسم خطط الحرب ، مهاجما تارة مدافعا أخرى ، وهو فى هذه وتلك بادى النشاط قوى الحماس ...

أما « كليوبترة » فقد كانت تحيا حياة الملكة « نفرتيتى » متشبهة بها فى كل شىء ، حتى كأنها قد تقمصت روحها . واستطاع « مارتن » أن يقلب لها المعبد مرة أخرى قصرا من قصور تلك الملكة الغابرة ، فالجدران حافلة بالنقوش والتهاويل التى تمثل عصر « أخناتون » ، وقرص الشمس ــ المعبود الأعلى فى ذلك العهد ــ يشرق فى كل مكان ، وكذلك هندسة بناء الأعمدة كانت من ذلك الطراز الأخناتونى ، وكل شىء فى الجملة كان يحمل طابع ذلك العهد بدقة وأناقة . وقد استكثرت الملكة « كليوبترة » من الوصائف ، فكنت تراها تتخطر فى البهو وحولها هالة منهن ، و « زين السيوف باشا » يتبعها كالظل وهو بلبوس « حور محب » قائد مصر الأول . وقد سمعتها غير مرة تقول لـ « مارتن » : صنيعنا هذا أدعى الى اتقان دورنا ... يجب أن نشرب نفوسنا روح ذلك العصر الغابر ونصطبغ به ونحيا فيه كأننا أهلوه ...

أما فيما يتعلق بحزب الأقلية ونشاطه الخفى ، فلم يعد فى الامكان أن يعقد رئيس المؤتمر جلساته الخاصة فى حجرته من قصر الورد ، اذ توجس خيفة من رقابة الأرصاد التى بثها حوله « زين السيوف باشا »

وقد حدانى الفضول على أن أراقب حزب الرئيس بنفسى . فانكشف لى بعد مراقبة حركاتهم وتأثر خطاهم أنهم قد اختاروا منزلا فى حى « الحسين » منزويا فى زقاق مهجور ، فهم يجتمعون فيه حيث لا يحس بهم أحد . وفى احدى الأماسى كنت على مقربة من ذلك المنزل أرتقب فى

مكمن لا تراه العيون انفضاض اجتماعهم ، فلمحت البــاب يتثاءب فى حذر عن ثلاثة أشباح تسللوا لواذا . وبعد لحظة بوغت بأن وجدتنى فى قبضة هذه الأشباح تحملنى الى داخل المنزل ، وتلقيننى فيه واذا بالباب يرتد خلفى ، واذا انا فى ظلام دامس . . . ولم تمض برهة حتى رأيت « عبد العال » يتقدم منى حاملا مصباحا شحيح الضوء ، تركه فى جانب وأقبل على ، فشد على يدى شدة عنيفة لم أستطع معهــا حراكا ، فكان ذلك مفاجأة ارتعت لها وسرت الدهشـــة فى أوصالي . وأرسل « عبد العال » من حلقه ضحكة النمر ، وقال :

لعلك تعجب كيف أوتيت تلك القوة ؟ ألا فاعلم يا سيدى السكرتير أنى أخذت برأيك واستجبت لنصحك . . . أتذكر أنك رغبت الى فى أن أتعلم المصارعة فأشد من أسرى وأقوى من عضلاتى ؟ لقد تم ذلك فى تلك الأيام التى غبتها عنك . . .!

وصمت برهة ، ثم عاد يقول وهو ما برح قابضــا على يدى :

نأسف اذ أزعجناك ، ولكن عذرنا أنه لم يكن مما صنعنا معك بد !

فقلت وأنا أتفحص « عبد العال » بنظرات حائرة :

انى أكذب عينى يا عبد العال . . . ماذا أرى ؟

ــ لا تكذب عينيك يا سيدى السكرتير . . . لقد علمنا مؤتمركم تعاليم جديدة . . ثق أننا نسير على هديه !

وقادنى الى احــدى الحجــر ، وقد أطلق يدى ، وقال :

سنمكث هنا فترة نتحدث

وجلسنا على الحشايا ، فقال « عبد العال » :

ماذا تحب أن أطلب لك ؟

فقلت على الأثر : مغلى النعناع !

فقهقه « عبد العال » طويلا ، ثم قال :

لم يعد لمغلى النعناع مكان عندى ... سآمر لك بكوب من الزنجبيل أو من القرفة ... أو من كوكتيل مارتن اذا أردت ... ولكن اعلم قبل كل شيء أنك ستكون ضيف هذا المنزل أياما لا أدرى مداها . وانى أرجو منك بحق الصداقة التى بيننا أن تكون حكيما فى تصرفاتك ، والا تضطرنى الى اتخاذ العنف معك . ان لدينا من الأحراس الأشداء ما يكفل للبيت حراسة منيعة !

فصعدت فيه بصرى ، وأنا أقول :

أتعنى أنى أصبحت سجين هذا المنزل ؟ !

ــ ولم تعد نفسك سجينا ؟ فلتسم نفسك ضيفا ، ضيفا له حدود يجب الا يتخطاها ! ثق أن فترة بقائك هنا لن تطول ، فالمؤامرة على وشك الانتهاء

ــ أية مؤامرة يا عبد العال ؟ !

ــ أعترف لك بأن فمى قد انزلق بذكر هذه الكلمة ، فانس أنى قلتها ... على أية حال أرجو أن يقصر انتظارك !

ونهض عنى بعد أن قال لى :

أنا مضطر الى الانصراف عنك لبعض عملى ، وسأعد لك كل ما يضمن الراحة

وأخذ من ركن الحجرة عصا ضخمة قرع بها الأرض أمامى بضع قرعات وقال :

منذ تركت خدمة المؤتمر تخذت العصا شعارا لحياتى ... ولكنها لا تحمل حمامة السلام كعصا صاحبك التترى ...!

ولزمت هذا المنزل مخلدا الى السكينة ، ولست انكر أن الحياة قد طابت لى فيه بما أحسست من هدوء ودعة وعزلة عن أعباء أثقلت كاهلى فترة من الزمن ، وأنا فى خدمة ذلك المؤتمر الصاخب . وصفت مودة « عبد العال » لى كعهدى به فيما مضى ، فكان يتعهدنى باكرامه ، ويجلس الى كلما خلا من عمله نتحدث ونسمر ، ولكننا لا نخوض فى شيء من

حديث المؤتمر وذيوله وشئون أعضائه ...
وتواصلت الأيام على هذا المنوال ...
وفى ذات صباح ، بينما كنت أتناول فطورى ، اذ أقبل على « عبد العال » وقال لى فى هشاشة وبشر :
أنت منذ الساعة حر طليق !
فنظرت اليه مبهوتا متسائلا ، فتابع قوله :
لقد انتهى كل شىء !
ــ ماذا تعنى ؟
ــ ستعرف تفصيل الأمر من بعد ...!
ــ الا تخبرنى اجمالا ... ماذا حدث ؟
ــ حدث كل خير ... اكمل فطورك ...
وازدردت بضع لقيمات صامتا ، وقد ذهبت بى الأفكار شتى المذاهب
وسمعت « عبد العال » بعد قليل يتكلم كأنه يناجى نفسه قائلا :
لقد أعلن الرئيس أمس فى جلسة المؤتمر ــ أقصد الرئيس الحقيقى الذى لا يفتأ يحك جلدة صلعته بخنصره ــ أن جلسات المؤتمر قد تأجلت الى أجل غير مسمى ...
ــ أتقصد أن المؤتمر قد منى بالاخفاق ؟ !
ــ لا أقصد شيئا ... فلنقل انه أخفق ، أو فلنقل انه تأجل اجتماعه للاستعداد ، غاية الأمر انه وقف أعماله وكفى !
ــ والأعضاء ...؟ !
ــ رحلوا ...
ــ كيف ؟ !
ــ رحلوا أجمعين ... لقد أقلتهم الطائرة أمس ، وقد حملت بنفسى خزانة مندوب البلاغة الدولية الى مكانها من الطائرة ... والحمد لله على أنى كنت حائزا لرضاه ، فقد مسح على رأسى يباركنى ...!

فقلت ، وقد اشرأب عنقي اليه : وكليوبترة ؟ !
ـ ولماذا تريد أن تبقى كليوبترة والأعضاء راحلون ؟ !
ـ كيف كان مصيرها ؟ !
فدنا منى « عبد العال » ، وقال هامسا فى اهتمام وجد :
استمع الى ... بعد أن استنقذنا العالم الروحانى من محبسه ، ودبرنا مؤامرتنا أحكم تدبير ، تسلم حزب الأقلية زمام الأمر ، فبت فى شأن المؤتمر برأى لا محيص عنه ...
ـ ولكن كليوبترة ... ماذا صنعتم بها ؟
فرنا الى طـويلا يتفحصنى وقال : اطمئن ... لا بأس عليها ... أن العالم الروحاني كان بها وبصاحبيها رحيما ... لقد استقدم لهم السحابة الوردية وودعهم حتى المطار ، ومكثنا حتى تزايلت السحابة فى عرض الأفق ...
ـ ولكن أخبرنى يا عبد العال ... كيف كان حالها ؟
ـ تظاهرت بالوقار ، وقلبها يتلظى بغيظ مكتوم ... فلم تكن تلفظ من قول ، ولكنى لاحظت أن عينيها كانتا نديتين
وأظلتنا فترة صمت شاعت فيها الكآبة بين جوانحى ، وتوالت فى خاطرى مسرعة مشاهد شتى من حياة الملكة فى عهد المؤتمر ... وانطلقت من أعماق صدرى تنهدة حزينة دون أن أستطيع لها ردا ...
وبعد حين نظرت الى «عبد العال» وقلت : وتيمورلنك ؟ !
ـ لقد عاد الى لبس طرطوره ... ولاذ بصمت مديد ، فلم أسمعه ينطق الا جملة واحدة رددها وهو على أهبـة امتطاء السحابة الوردية ، اذ قال : « يريد العبد شيئا والله يفعل ما يريد ! » ... أما عصاه ذات حمامة السلام فهى كل ما ورثته أنا من تركة المؤتمر ... هاكها ...!
وعمد الى بعض الحشايا ، فاستخرج العصا منها ، وقال ، وهو يقرع بها الارض : ستكون عمادى فى الحياة ... ولكن بطريقة أشرف من طريقة صاحبـك ، وأسلوب أنبل من أسلوبه ...!

ـ وكيف انتهت الحال بزين السيوف باشا ؟
ـ شـدما سخط وغضب ، وأرغى وأزبد ، وأقسم أن ينفض يده من أمثال هذه الهيئة ، مؤثرا العودة لاتمام عمله فى أعالى النيل حيث يكافح الملاريا ويزيل السدود

فقلت وقد سرحت بصرى التائه فى أرجاء الحجرة :

وا أسفا على المؤتمر . . وفى ذمة الله آمال رطاب عقدناها به !

فأمسك « عبد العال » يدى وضغطها قائلا :

فى نظرى أن المؤتمر نجح أيما نجاح . . . لقد بصرنا بمسالك الحياة ، وعرفنا أى الأساليب أهدى للفوز فى مضمار العيش ؟

فقلت « لعبد العال » : انك لم تخبرنى خبر انطونيو . . .

ـ كان وحده المرح الطروب لعودته الى مقره الأول . . . ان المسكين يحلم بأن يقضى فى العالم الآخر أيامه كلها تحت أقدام كليوبترة لا ينازعه فيها منازع !

. . . غادرت المنزل ، أو بالحرى المحبس ، فكان أول ما عملته أن قصدت الى معبد أبى الهول ، فوجدته قاعا صفصفا تسفى الرياح فى مناحيه ، وقد تناثرت فى مكان البهو أوراق مهملة وأعقاب لفائف التبغ . . . وبعض مناضد عليها أكواب ما زالت تعلق بقرارتها صبابة من كوكتيل مارتن . . . فجعلت أرجع الطرف هنا وهناك متمثلا ذكريات الليالى العذاب والأيام الهانئة التى سعدت بها هذه البقعة منذ قليل . . . !

ومضيت الى استوديو « مارتن » فأخبرونى بأن الفنان قد بارح مصر الى أمريكا حيث اعتزم اخراج فلمه فى موطن السينما الأكبر . . .

فأخذت طريقى الى قصر الورد ، فألفيت على بابه الشاويش « سيد متولى » واقفا فى مهانة وذلة كأنه آلة قد لحق بها العطب ، فقلت له : كيف الحال يا سيد متولى ؟

ـ أسوأ حال . . . لقد طردونى . . .

وكلاء مجلات دار الهلال

بيروت ولبنان :	السيد خليل طعمه ـ السور ـ العسيلى · المدخل الشمالى ص · ب ٥٤٣ بيروت
حلب :	الشيخ طاهر النعسانى
حماه :	السيد سعيد نجار
اللاذقية :	السيد نخله سكاف
حمص :	السيد عبد السلام السباعى ـ ص·ب ٤٩
مكة المكرمة :	السيد هاشم بن على نحاس ـ ص·ب ٩٧
البحرين والخليج الفارسى :	السيد مؤيد أحمد المؤيد ـ مكتبة المؤيد ـ البحرين
البرازيل :	Snr. Jorqe Suleiman Yazigi, Rua Varnhagem 30, Caixa Postal 3766, Sao Paulo, Brasil
ساحل الذهب :	The Queensway Stores, P.O. Box 400. Accra, Gold Coast, B.W.A.
نيجريا :	Mr. M.S. Mansour, 110, Victoria Street, P.O. Box 652, Lagos, Nigeria, W.C.A.
انجلترا :	مكتب توزيع المطبوعات العربية Arabic Publications Distribution Bureau 15 Queensthorpe Road, London, S.E. 26.

هذا الكتاب

للأدباء رسالة فى الحياة العامة ، هى رسالة الهداية الى الحق والجمال ، والدعوة الى السمو الانسانى ، وسيادة الحرية ، ورفع مستوى المجتمع ، وتطهيره من مساوئه ، وتوجيهه الى حياة أرقى

وقد اعتاد الأديب الكبير محمود تيمور بك ان يؤدى رسالة الأدب فى قصص اجتماعية تتناول مشاكل المجتمع الحاضر ، أومآسى التاريخ وما لعب على مسرحه من شخصيات بارزة .. ولكنه فى السنوات الأخيرة نحا نحوا جديدا ، فوضع هذه القصة السياسية التى يحويها هذا الكتاب . وقد أوحت بها المؤتمرات الدولية التى يعقدها أعلام السياسة ، ويؤكدون فيها حقوق الانسان ، ويعترفون بحريات الشعوب

ولقد كان المؤلف يتمنى أن يكون هؤلاء الساسة جادين فى تأكيدهم ، او صادقين فى اعترافهم . ولكن شعوره الخاص لم يكن يطمئن الى تلك المؤتمرات وما فيها من دعايات ظهر فيما بعد أنها محض اكاذيب . ولهذا وضع هذه القصة مستوحيا حوادثها من المؤتمرات الدولية فى اسلوب تهكمى لاذع . وقد اختار كليوبترة ومن معها من شخصيات جاءوا من عالم النور ولكنهم لما وصلوا الى الأرض صبغتهم الدنيا بلونها ، فاذا هم كغيرهم ينزعون منازع الآدمية الخالدة ..!